

لقيط بن يعمـر الـإـيـادـي

أول شاعـر قـومـي فـي الجـاهـلـيـة

يعد لقيط في المقدمين من شعراء الجاهلية ولكن الذين ترجوا له أغفلوا الحديث عن حياته وشعره إلا نفراً يسيرة، ويبدو أنه عاش في فترة عصيبة من تاريخ العرب حين اتحدت قبائل الحيرة العربية لأول مرة وثارت على الحكم الفارسي وكان للفيظ دوره الفعال في تلك اليقظة القومية، إذ استطاع بقصيدته العينية المشهورة أن يقنع قبائل إباد بالاتحاد والاحتشاد للواجهة الجيوش الفارسية الزاحفة، كي تتمكن من طرح النير الفارسي، ومن أجل هذا الموقف التاريخي تستحق حياة لقيط وعصره وشعره دراسة مفصلة، غير أن الدارس، لسوء الحظ، يواجه روايات متعارضة متلازمة تحول اسمه وحياته والمناسبة التي قال فيها قصيده المشهورة، وهذه حاولت فيها بلي أن أوضح التعارض وأن أحد عصره وأن أرسم صورة حكمة حياة لقيط وشعره في إطار صحيح.

اسم الشاعر: هو لقيط الإيادي عند كل من ابن عبد ربه^١ (المتوفى ٣٢٧) والمبرد^٢ (٢٨٥-٣٢٢) ولكن كلام ابن دريد^٣ (٢٥٥-٣٧٠) والجاحظ^٤ (٢٥٥-٣٧٠) يسميه لقيط بن معد. بينما يرد اسمه عند فريق ثالث

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه: ٩٧ : ٣ . (٢) رغبة الآمل للرصفي: ٩٨ : ٥ .

(٣) الاشتاق لابن دريد: ١٦٨ :

(٤) يورد الجاحظ يتنا من الشعر فيه لقيط بن معد، ولكن يمكن أن يقرأ «لقيط بن يعمـر» أو «معمر» دون أن يذكر الوزن، إن اعتربنا ذلك خطأ من الناشر أو من عتقـن الكتاب (البيان والتبيـن) (تحقيق السندي ١٩٤٧) ١ : ٥٧ ، ٦٩ .

(٥) معجم الشعراء للرزباني، تحقيق كرتوك: ١٢٥ .

فيهم ابن الشجري^١ (٥٤٢-٤٨٧) والبكري^٢ (٦٢٦) لقيط بن يعمر، ويسميه ابن قبيه^٣ (٢٧٦) وابن منظور^٤ (٧١١) صاحب لسان العرب «لقيط بن معمر» وينفرد أبو الفرج الاصفهاني^٥ (٣٥٦) بتسميته «لقيط بن بكر». وأما المؤلفون المحدثون مثل الزركلي^٦، والمرصفي^٧ ورضا كحالة^٨ فقد آثروا تسميته «لقيط بن يعمر» استناداً على ما ذكره ابن الشجري، وذلك هو ما ورد في نسخة ديوانه، وهو ما يمكن أن يؤخذ بالقبول.

قبيلة الشاعر: لم ينسبه أحد إلى قبيلة أزد سوى ياقوت الحموي^٩، وأما سائر المصادر فإنها تنسبه إلى قبيلة إياد، أحد الفروع الأربع التي يتفرع فيها نزار بن معد بن عدنان، وهي: ربيعة ومضر وأنمار وإياد، وهم الذين يعدهم النسابون أبناء نزار الذين استقروا في تهامة^{١٠}، وكانت إياد بينهم تحظى بمنزلة عالية وقدير بالغ، ولكنها اضطرت لغادر مستوطنهما وتهاجر إلى مناطق مختلفة في الجزيرة العربية، لأسباب مختلفة، فيقال إن إيادا غادرت تهامة بسبب الفحط، ونزلت في نواحي العراق في منطقة واقفة بين البحرين وسداد والخورنق، وبدأ عددها ينشر على ضفة الفرات حتى بلغت حدود الجزيرة العربية، ثم أخذت تهاجم المواطنين الآمنين في العراق، وبلغت هجاتها ذروتها حين سبت عروساً فارسية نبيلة المحمد كانت تزف إلى زوجها، فأثار ذلك

- (١) مختارات شعراء العرب : ٧٢ .
- (٢) معجم ما استجم للبكري : ٢٠ .
- (٣) معجم البلدان للحموي ٥ : ١١٤ (طبعة الحاخامي) .
- (٤) الشعر والشعراء ٩٨-٩٧ (ط. دى خويا) .
- (٥) لسان العرب (إياد) .
- (٦) الأغاني ٢٢ : ٢ (طبعة بولاق) .
- (٧) الأعلام ٢ : ١٠٩ .
- (٨) رغبة الآمل ٥ : ٩٨-١٠٠ .
- (٩) معجم المؤلفين ٣ : ١٥٧ .
- (١٠) معجم البلدان ٥ : ١١٤ .
- (١١) معجم ما استجم ١ : ٦٧-٧١ .

غضب الملك الفارسي ، وحفره إلى إرسال جيش كبير من الفرسان لمهاجمة إياد ، فهجمت إياد على جيش الملك وقضت عليه ، وتکدت جاجم القتل في أرض المعركة ، حتى سمي اسم الدير الذي أنشئ هنا لـك باسم دير الجاجم^١ ، فأعاد كسرى الكرة وأرسل جيشاً أقوى وأكبر استطاع أن يقضي على باس إياد ، فنزل بعض من بقى منها في منطقة رومانية في حوض الفرات الأعلى ، ووالي بعضهم ملوك الحيرة ، وتفرق آخرون في جهات مختلفة من جزيرة العرب .

وتقول رواية أخرى إن إيادا غادرت تهامة موطنها الأصلي واستقرت في نواحي الجزيرة العراقية حين هزمت في الحرب التي نشب بينها وبين مصر وريعة ، وبعد سبي العروس الفارسية المذكورة نقلاً عنها الجيوش الفارسية عن العراق كله^٢ . وينقل مؤلف معجم قبائل العرب^٣ عن تاريخ الطبرى وطبقات ابن سعد أن إيادا اضطرت إلى الهجرة نحو الجزيرة العراقية في أول القرن الثالث الميلادى حين استولت مصر على ما جاور الكعبة من مناطق مقدسة ، وحين غادرت موطنها سكنت في ضواحي الكوفة ، فلما أصابتها مجاعة شديدة اقسمت في ثلاثة فرق ، فرقة ذهبت نحو البحر وهلكت ، وفرقة توجهت إلى اليمن ، بينما قصدت الفرقة الثالثة ديار بكر بن وائل ، فتوزعت بين سنداد وكاظمة وبقيت هنا لـك تغزو المستوطنين من فلاحي الجزيرة العراقية حتى طردتها الجيوش الفارسية من ذلك الوطن ، وبعد حادثة السبي هاجرت إلى نواحي الشام .

ويبدو أن هذا النفي قد تم قبل عهد لقيط بزمن طويل ، إذ أنه يصف

(١) معجم ما استجم ١: ٧٧-٧٨ ، والأغاني ٢٠: ٢٣ .

(٢) معجم ما استجم ١: ٧٧-٧٨ والأغاني ٢٠: ٢٣ والشعر والشعراء (طبعة دى خوبى) : ٩٧-٩٨ .

(٣) معجم قبائل العرب ١: ٥٢ وانظر كتاب المتنبي للفاكهي (طبعة ووستفليد ، ١٨٥٩) ٢: ١٢٧ .

إِيَادٌ فِي بَيْتَيْنِ مِنْ قُصْدِيَّتِهِ (رَقْم١٦، ١٧) فِي ضَرْبٍ مِنَ السُّخْرِيَّةِ بِأَنَّهَا مُنْهَمَّةُ
فِي جَيْرِثِ الْأَرْضِ وَاسْتِنَاجِ الْمَوَالِيِّ يَبْنَا يَدْبَرِ الْفَرَسِ الْحَظَّةِ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهَا.
وَمَا يُؤْيدُ ذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَفْرَادِ تَلْكَ الْقَبْيلَةِ قَدْ تَخَلَّوْا عَنْ حَيَاةِ الْبَدَوْنِ
وَاتَّحَلُّوا شَيْئًا مِنَ الْحَضَارَةِ وَأَصْبَحُوهُمْ صَيْتَ فِي الْعِلْمِ وَالْفَرَوْسِيَّةِ وَالْكِتَابَةِ
عَنِ الْمَلْوِكِ. وَيَذَكُرُ الْجَاحِظُ عَدْدًا مِنْ خُطَبَاءِ إِيَادٍ، وَيُؤْيدُ قَوْلَهُ مُسْتَشْهِدًا
بِهَذَا الْبَيْتَ^١:

كَفَسٌ إِيَادٌ أَوْ لَقِيطٌ بْنُ مَعْبُدٍ وَعَذْرَةٌ وَالْمَنْطِيقُ زِيدٌ بْنُ جُنْدِبٍ
كَذَلِكَ أَنْجَبَتْ إِيَادٌ شِعَارَاءً مِشْهُورِينَ مِثْلَ أَبِي دَوَادَ بْنَ جَرِيرِ الْأَمِيَّادِيِّ
الَّذِي كَانَ عَلَى خَيْلِ الْمَنْذَرِ الْثَالِثِ^٢، وَلَقِيطٌ بْنُ يَعْمَرِ الَّذِي كَانَ كَاتِبًا عِنْدَ مُلُوكِ
الْفَرَسِ فِي الْدِيْوَانِ^٣. وَيَقَالُ إِنَّ بَعْضَ الْإِيَادِيِّينَ كَانُوا رَمَاءَ بَارِعِينَ^٤ وَانْهُ
كَانَ مِنْهُمْ أَيْضًا كَتَابٌ تَعْلَمُ الْعَرَبُ مِنْهُمُ الْكِتَابَةَ^٥.

دين إِيَادٍ: ذَكَرَتِ الْمَصَادِرُ أَنَّ إِيَادًا كَانَتِ فِي الْقَدِيمِ تَعْبُدُ صَنَاعَةَ يَدِيَّ ذَا
الْكَبِيْنِ أَوِ الْكَعْبَاتِ، بَنْتَ لَهُ هِيكَلًا فِي سَنَدَادِ عَرَفَ بِاسْمِ كَعْبَةِ شَدَادِ،
وَلِكَنْ حِينَ دَخَلَ بَنُو إِيَادٍ الْمَنْطَقَةِ الْرُّومَانِيَّةِ مَعَ جَبَلَةَ بْنَ الْأَيَّمِ وَاسْتَوْطَنُوا
الشَّامَ، اعْتَقُوا الْمَسِيحِيَّةَ. كَذَلِكَ فَانَّ إِيَادَ الْحِيرَةَ اعْتَقُوا الْمَسِيحِيَّةَ حِينَ
سَكَنُوا فِي دِيرِ الْأَعْوَرِ وَدِيرِ الْجَاجِمِ وَدِيرِ قَرَةِ وَكَانَتْ هَذِهِ مَوَاطِنُهُمُ الْمُشْهُورَةُ،
ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ اعْتَقُوا الْإِسْلَامَ^٦، وَمَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ لَقِيطًا كَانَ مَسِيحِيًّا
إِلَيْتَ الْحَادِيِّ عَشَرَ فِي قُصْدِيَّتِهِ حِيثُ يَعْدُ قِيلَتَهُ أَكْثَرُ تَدِينَا مِنَ الْفَرَسِ، وَمَا

(١) التبيان والبيان ١: ٦٩-٥٧ (طبعة السنديون، القاهرة ١٩٤٧).

(٢) المفضليات ٢: ١٥٢-١٥٣ (تحقيق ليال).

(٣) محارات شراء العرب لابن الصحرى: ١ ويعجم ما استجم ١: ٧٢.

(٤) يعيجم ما استجم ١: ٧٢.

(٥) معيجم قبائل العرب ١: ٩٢.

(٦) معيجم ما استجم ١: ٧٧، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، والأغاني ٢٤: ٢٣ ويعجم قبائل العرب ١: ٩٢.

أنه يقول في هذا البيت أن الفرس لا يشعرون أضر الله أم نفعا، فهذا يعني بالضرورة أن قبيلته كانت أكثر رعاية لأمر الدين، وهذا يشير بطريقة غير مباشرة إلى أنه كان مسيحيا.

نسب لقيط وحياته وشعره: ذكر البكري^١ صورة موجزة من نسبه، فهو لقيط بن يعمر بن خارجة بن عوبثان اليمادي. أما هشام بن محمد الكلبي (٢٠٦) فيورد النسب هكذا^٢: لقيط بن معد بن خارجة بن حطيط بن غوثجان بن الهون بن وائلة بن الطمثان بن عود مناة بن يدوم بن أقصى بن زهر بن إياد. وإذا تأملاً هذا النسب وجدنا صدر الدين بن أبي الفرج مخططاً في قوله إنه لقيط بن حارثة بن معد اليمادي^٣. ولا نعرف شيئاً عن أجداد لقيط أو عن مولده أو عن شأته، ويقال إنه كان من خير خطبائهم إياد وشعرائهم^٤ كذلك يقال إنه كان مترجماً وكانت له رسائل في الديوان^٥. وبما أن عدي بن زيد العبادي كان أول كاتب عربي في ديوان كسرى^٦، فربما كان لقيط في تلك الوظيفة نفسه في ديوان الأكاسرة في زمن متأخر. وتحدثنا الروايات أيضاً أن زيد بن عدي خلف أباه في منصبه بعد وفاته في سجن النغان بن المندر ملوك الحيرة^٧. ولذا قد نفترض أن لقيط عين مع زيد بن عدي أو بعد أن تخلى زيد عن منصبه لسبب مجهول. ولكن متى درس لقيط اللغة الفارسية وأين؟ إذا كان إنقاذه أمراً ضروريَاً لكاتب عربي لدى

(١) معجم ما استجم ١ : ٧٢

(٢) جمهرة الأنساب لشام بن محمد الكلبي ١ : جدول إياد (تحقيق الاستاذ كاسكل، ليدن).

(٣) المخasse البصرية ١ : ٨٩ (تحقيق الاستاذ محتر الدبن أحد، طبعة دائرة المعارف، حيدرآباد).

(٤) البيان والتبيين ١ : ٦٧ ، ٦٩

(٥) معجم ما استجم ١ : ٧٢ ومحاترات ابن الشجري : ١

(٦) الأغاني ٢ : ٢٨ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٢

٠

٠

ملك فارسي ، فذلك ما لا نعرفه . وليست هناك أخبار أخرى عن حياة لقيط ووظيفته لدى من أوردوا ترجمته إلا قوله إنه اتهم بأنه كان يجب زوجة كسرى ، وأن كسرى حين بلغه أن لقيطاً أبلغ قييلنه عن توجه الجيوش الفارسية لغزوهم قطع لسانه ثم قتلها^١ .

ولم تبق من شعر لقيط إلا قصيدة واحدة وبضعة أبيات ، يقول أبو الفرج الإصفهاني ، لقيط بن بكر شاعر جاهلي قديم مقل^٢ ليس يعرف له شعر غير هذه القصيدة وقطع من الشعر^٣ ، ويقول إن لقيطاً خلف ديواناً ، ولكن الديوان الموجود لدينا اليوم لا يحتوى إلا على قصيدة طوبلة وبضعة أبيات من قصيدة أخرى ، وقد وقع ديوان لقيط في المكتبة الفيوضية (مكتبة فيوض الله) في جامع الفاتح وأصف آفندى تحت رقم ١٦٦٢ (من الورقة ٢٠٤-٢٠٧) حسبما ذكر عثمان رisher في مقالة له^٤ ، كذلك يذكر ديوان لقيط في فهارس المكتبات التالية :

- ١ - ديوان لقيط بن يعمر اليمادي ، جمعه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٦) فيوض الله برقم : ١٦٦٢ (٤ ورقات^٥) .
- ٢ - نسخة أخرى منه في آيا صوفيا رقم ٣٩٣٣ (١٠ ورقات^٦) .
- ٣ - ديوان لقيط بن يعمر ، بمكتبة شستر بيتي دبلن ، رقم ٥٤٧٤ (٩ ورقات) .

٤ - قصيدة لقيط بن يعمر اليمادي ، فهرسة أبي بكر محمد بن خير

(١) معيجم ما استعجم ١ : ٧٢ وختارات ابن الشجاعي : ١ .

(٢) الأغانى ٢٠ : ٢٣ .

(٣) ZDMG 68. P. 382 وانظر بروكلان ، التكملة ١ : ٥٥ .

(٤) فهرست موهف المخطوطات العربية ، القاهرة (فهرست المخطوطات المchorة ١ : ٤٦٦ (١٩٥٤) .

(٥) المصدر نفسه .

الإيشيل (ص ٣٩٨).

أما ديوان لقيط الذي اختراه للتحقيق فهو النسخة المحفوظة في مكتبة شتربيري وقد كتبه بخط نسخ جميل^١ ياقوت المستعصم^٢ (٦٩٨)، وانا لدرك أية أهمية بلغتها قصيدة لقيط، وأى تقدير بلغ استحقنه إذا ذكرنا أن ابن الشجري قد جعلها أول قصيدة في مختاراته ، وأن الذى توفر على كتابتها كاتب بارع مثل ياقوت المستعصم ، ويقال إن ابن دريد ذكر أنه ليست هناك قصيدة تحذير نظمها العرب خير منها ، كذلك فان المبرد اقتبس بعض أبياتها في الكامل مثلا على خير وصف للقائد^٣.

تاريخ نظمها : نظرا لتضارب الروايات يعسر أن نحدد تاريخ الحادثة التي نظمت فيها القصيدة وأن نعين مكانها ، وأقدم مصادرنا عن قصيدة لقيط وهو الشعر والشعراء لابن قتيبة لا يذكر المكان أو اسم اليوم الذي بسيبه نظمت القصيدة ، وخلاصة ما يقوله إن إياد هاجمت مناطق أتو شروان واستولت على ثروته ومتلكاته ، فأرسل الملك الفارسي جيشه ضد إياد ، فانكسر في غير التحام واحد ، وبعد أن نزلت قبائل إياد في الجزيرة العربية أرسل كسرى جيشا أكبر فيه ستون ألف محارب فأرسل لقيط وكان يومئذ مقينا بالجزيرة قصيدة يحذّر فيها قيبلته من تقدم جيوش الملك الفارسي نحوهم . فاستعدت قبائل إياد للحرب ، وحاربت بيسالة حتى اضطررت الفرس للتفهقر^٤.

(١) ذكر الأستاذ نزاد سيركين ديوانا بخط ياقوت ولكن نسبه إلى لقيط بن بكيه العربي انظر (Suppl. Geschichte)

(٢) انظر عن حياته وآثاره في الموسوعة الاسلامية (مادة ياقوت).

Orient and Occident, by Th. Benfey VoI. I Th. Noldeke's Contribution. (٣)

(٤) الشعر والشعراء : ٩٧-٩٨.

وفي الأغاني، وهو مصدر قديم أيضاً، أن إبادا استمرت تهاجم الموطنين الآمنين في نواحي العراق، وقى إحدى الهجمات سبوا عروسًا فارسية نيلة الحند، فهاجمها الفرس المجاورون ولكن إبادا دحرتهم وجاء من جاجهم أكواها في مكان على مقربة من دير شئ من بعد باسم دير الجنائم، فلما بلغ كسرى أرسل ٤٠٠٠ من فرسانه لمحاربة إباد، فأرسل لقيط إلى قبيله يحدّرها غزو الفتن من قضيدة إلا أنها أهملت الاستئناف لصحه، وفاجأها الجيش الفارسي في مكان يدعى مرج الآكام وهزمها في موقعة يوم الفرات، فهاجرت بعد إلى نواحي الشام^١.

وهاتان الروايتان غامضتان متناقضتان في آن معاً، فرواية ابن قيبة تجعل المعركة التي لا يذكر اسمها ناجحة عن هجمات إباد، وأن إبادا استعدت حين حذرها لقيط ودحرت الجيش الفارسي، ورواية الاصفهاني تذكر سبي إباد للعروس الفارسية سبياً في الحروب، وتقول إن إبادا أهملت نصيحة لقيط وإنها لذلك أخذت على غرة ودحرت. وقد أقر الاصفهاني رواية عن الزيادي أن كل ما نقل حول عدى بن زيد والنعسان بن المنذر الذي سبّت علاقاته السياسية للملك الفرس تلك الحروب بين إباد والجيوش الفارسية - أقر أنها مليلة بالاضطراب وأنها غير موثقة وأن لا أهمية كبيرة لها^٢. ومع أن رواية ابن قيبة غامضة فإنها تتفق من وجوه مع ما جاء في العقد الفريد والتاريخ الطبرى. وينفرد العقد الفريد بين المصادر القديمة بقوله إن قضية لقيط المشهورة نظمت في يوم ذى قار^٣، وقد قبل المؤرخون المتأخرلون هذه الرواية مثل جاد المولى والجاوى في كتابهما أيام العرب^٤.

(١) الأغاني ٢٣ : ٢٣ وانظر أيضًا معجم ما استعجم ١ : ٦٧-٧١.

(٢) الأغاني ٢ : ٢٥ . (٣) العقد الفريد ٣ : ٩٧ .

(٤) أيام العرب ٨ (١٩٤٢)، وانظر عن معركة ذى قار الأغاني ٢ : ٢٢-٣٥ والعقد ٣ : ٧؛ ومعجم البلدان ٧ : ٨ .

ولكن الربط بين قصيدة لقسطنطين ومعركة ذي قار يتطلب منا أن نحدد التاريخ الذي وقعت فيه فنجن الأستاذ ليال في تعليقه على البيت ١٦ من قصيدة الأحسن بن شهاب التغلبي في المفضليات يقول : «نظراً لعدم وجود ما يدل على التواریخ في هذه الروایات المضطربة فإنه من غير الممكن تحديد العام الذي حدثت فيه تلك المعركة^١». وهناك أخبار مضطربة متناقضة حول تاريخ تلك المعركة والملك الفارسي الذي وقعت في زمانه ، فقد جاء في العقد ومحنارات ابن الشجاع والأعلام للزرکان ومعجم المؤلفين أنها حدثت أيام سابور ذي الأكتاف^٢ الذي نزع أكتافه باغوه ذريمة جشه . أما ابن قتيبة^٣ والأدمى^٤ فيذكران أن أنوشروان هو الذي هاجم قبائل إيداد وأن لقسطنطين قد أرسل قصيده حينئذ . ويقول أبو الفرج في كتاب الأغاني^٥ أنها كانت في عهد كسرى ، ويقول البكري في معجم ما استجم^٦ أن الذي حارب إيدادا إما كسرى بن هرمنز وإما أبو شروان بن قباز ، ولكن لم يذكر واحد من هذه المصادر متى كانت معركة ذي قار ، مع أنها أشارت إشارات غامضة إلى بعض الحالات التي حدثت في أزمنة قريبة من زمان تلك الحادثة . وقد قرر الطبرى جازماً أن معركة ذي قار حدثت في حكم كسرى أبوريز بن هرمنز^٧ ، وتعتمد رواية الطبرى على المعلومات التاريخية التي جمعها عن مدى حكم كل ملك من ملوك الفرس .

وتدل الدراسة على أن النعسان بن المنذر أبو قابوس الذى كان موته هو

(١) المفضليات للفضل الضي ٢ : ١٥٢-١٥٣ .

(٢) العقد الفريد ٣ : ٩٧ ومحنارات : ١ ومعجم المؤلفين ٨ : ١٥٧ .

(٣) الشعر والشعراء ١ : ٩٧-٩٨ . (٤) معجم الشعراء للرزباني : ١٧٥ .

(٥) الأغاني ٢٠ : ٢٣ . (٦) معجم ما استجم ١ : ٦٧-٧١ .

(٧) تاريخ الطبرى ١ (القسم الثاني) ١٠١٥ (طبعة بريل ، ١٨٨١) .

السبب الأكبر في موقعة ذى قار، حكم الحيرة سبع سنوات وثمانية أشهر، أيام هرمز بن أنو شروان، وأربع عشرة سنة وأربعة أشهر في عهد كسرى أبوريز بن هرمز^١، وبعد وفاة قابوس عين كسرى أبوريز إياس بن قبيصة الطافى حاكما على الحيرة، وفي عهده حدثت المعركة^٢. وما يؤيد هذه الحقائق ما ذكره الطبرى أيضا حول تاريخ مولد النبي ﷺ وبعثه وهجرته، ذلك أن النبي ولد في السنة الثانية والأربعين من حكم كسرى أنو شروان بن قباد، أى عام الفيل سنة ٥٧٠ م ولما كان أنو شروان قد تولى العرش سنة ٥٢٨ ودام حكمه ٤٨ سنة فان النبي كان في السادسة من عمره حين توفي أنو شروان وخلفه ابنه هرمز (٥٧٦ م)، وقد حكم هرمز ١١ سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام، ومعنى ذلك أن النبي كان في حوالي الثامنة عشرة من العمر عند ما تولى العرش كسرى أبوريز، (٥٨٨ م) وبعث نبأ في السنة العشرين من حكم كسرى أبوريز وهذا يؤيد ما قاله المؤرخون الآخرون من أنه بعث وعمره أربعون سنة (أى سنة ٦١٠). ويقول الطبرى أيضا^٣ إنه بعد مرور اثنين وثلاثين سنة وخمسة أشهر و١٥ يوما من تولي أبوريز هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وهذا ما قدره المؤرخون الآخرون أى عام ٦٢٢ تاريخا للهجرة، وإذن فان معركة ذى قار حدثت بعد وقت قصير من بعثة الرسول، وبما أن إياس بن قبيصة ول حاكما على الحيرة سنة ٦٠٢ ودام في الحكم تسعة سنوات، فمعنى ذلك أن حكمه انتهى سنة ٦١١ وهذا يجعل تاريخ

(١) الطبرى ١ : ١٠١٦ - ١٠١٥ .

(٢) المصدر نفسه : وهذه التواريخ يمكن أن تقارن بما ذكر السير برسي سايكس في كتاب تاريخ فارس History of Persia (١ : ٤٤٩-٤٨٦) فقد ذكر هنا ذلك أن أنو شروان تولى الملك سنة ٥٣١ وكانت حملة ضد الأحباش سنة ٥٧٦ وكانت تولية كسرى أبوريز سنة ٥٩٠، ومعركة ذى قار سنة ٦١٠ وتحية كسرى أبوريز وموته سنة ٦٢٨ .

المعركة بين سنتي ٦١٠، ٦١١ وهو التاريخ الذي بعث فيه الرسول الله ﷺ ومن ثم قال المؤرخون مثل الطبرى^(١) وغير المؤرخين مثل ابن عبد ربه^(٢) وياقوت الحموى^(٣) وابن سعد المحدث^(٤) إنه عند ما وصلنا هزيمة الجيش الفارسي في ذى قار إلى الرسول ﷺ قال: «هذا أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم وبى نصرها» وفي رواية: «اليوم اليوم انتصرت العرب ملك العجم». ويتردد ياقوت الحموى في ما يورده فهو يقول حيناً: وكانت وقعة ذى قار المشهورة في التاريخ يوم ولادة رسول الله ﷺ ويقول أيضاً: وقيل: وكانت وقعة ذى قار عند منصرف النبي ﷺ من وقعة بدر الكبرى، ولكن الطبرى وابن عبد ربه متذمغان على أنها حدثت بعدبعثة، والرواية الأولى التي نقلتها عن ياقوت واهية، لأن النبي ﷺ ولد في عهد أبو شروان، والرواية الثانية خاطئة كذلك لأن إIAS بن قبيصة لم يتجاوز عام ٦١١ بينما حدثت بدر سنة ٦٢٤.

وقد توصل المؤرخون المحدثون إلى مثل هذه النتيجة، فعند ما تحدث السير برسى سايكس عن معركة ذى قار قال: «في هذه الفترة بين ٦٠٤، ٦١٠ حسبما يقول نولنوك، وفي سنة ٦١١ كما يقول موير، حدثت معركة صغيرة لم تلفت الانتباه في حينها ولكنها من بعد أصبحت حدثاً يحمل تداعياً بالغة الخطورة». ثم يقص قصة معركة ذى قار التي قال فيها الطبرى: وهي أول

(١) هذا أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم وبى نصرها، راجع الطبرى ١: (القسم الثاني) ١٠١٥

(٢) العقد الفريد ٩٥: ٢. (٣) معجم البلدان (طبعة الخامنوى، ١٩٠٦).

(٤) طبقات ابن سعد (طبعة بيروت، ١٣٢٢) ٧: ٥٤. أخبرت عن خليفة بن خياط قال حدثنا محمد بن سواد قال: حدثنا الأشعوب الضبعى عن بشير بن زيد الضبعى وكان قد ادرك الجاهلية قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ذى قار البريم اليوم انتصرت العرب ملك العجم.

يوم اتصف فيه العرب من العجم ، ويضيف سايكس قائلاً : لو لم يحرز العرب فيها النصر ل كانت الصعوبات التي واجهتها الجيوش الإسلامية الفاتحة من بعد أشد^١ .

هل أرسّل لقيط قصيدة التحذيرية إلى قومه إباد في يوم ذي قار ؟ لا يذكر ابن قتيبة والأمدي وابن الشجري اسم اليوم ، بينما يقول أبو الفرج إنه نظمها في يوم الفرات ، كما أن البكري يقول إنه أرسلها في حادثة يوم الجماجم ، ويقرن ابن عبد ربه وحده هذه القصيدة يوم ذي قار . وإذا شئنا تحديد اليوم فلا بد من تفحص الآيات على ضوء الشواهد الخارجية والداخلية . وأول الشواهد الخارجية أن نسأل : ما هي القبائل التي وقفت في الحرب ضد الفرس وأين وقعت المعركة والأسباب التي أدت إليها وأن نحاولربط ذلك بالزمان والمكان اللذين عاش فيها الشاعر .

أما القبائل التي وقفت ضد الفرس في تلك المعركة فهي بكر بن وائل وبنو عجل وبنو يشكر وبنو شيبان ، وكانت إباد في جيش إياس بن قبيصة أى موالية للفرس ، ولكن إباداً راسلت قبائل بكر سراً تسألاًها في أى جانب تقف ، فكان أن نصح إباد بأن تظل ظاهرياً مع إياس بن قبيصة حتى إذا نشب المعركة انحازت إلى جانب بكر ، وأما موقع المعركة فهو مكان كانت تتخذه قبائل بكر مصيفاً لها في الجزيرة العراقية ، وأما الأسباب التي أدت إلى المعركة فهي مقتل النعاف بن المنذر وغضب كسرى على القبائل المذكورة التي أغارته .

ونحن نعلم أن زيد بن عدى العبادي كان كاتباً عند كسرى أبوريز وأنه تولى بعد وفاة أبيه عدى بن زيد سنة ٥٨٧، وأن لقيط بن يعمر كان أيضاً كاتباً عند كسرى أبوريز إما مقارناً لزيد وإما خلفاً له ، وبين هذا

التاريخ ومعركة ذي قار ٢٣ سنة، قتل في أثناءها النعمان بن المنذر، وكانت فترة هامة ثورية في تاريخ العرب، فإن مقتل النعمان لم يوقظ الروح القومية لدى العرب وحسب بل وحدهم لأول مرة في حرب ضد دولة قوية.

وبعد أن حددنا عصر لقيط وتاريخ الحادثة ومكانها دعنا تفحص الشواهد الداخلية في قصيدة لقيط نفسها، يبدو من النظرة الأولى أن الشاعر وجه قصيده إلى قبائل إمداد التي كانت تقطن الجزيرة حيث وقعت معركة ذي قار، وكان خذلان إمداد للجيش الفارسي ذا دور كبير في الهزيمة التي حلت به، وقد كان حديث الشاعر موجهاً إلى رؤساء القبائل الذين كانوا منقسمين في الرأي قبل حدوث المعركة (البيت: ٨) ولهذا يقول الشاعر إن فريقاً يعد نفسه ضعيفاً عاجزاً عن القتال وفريقاً يخاف سطوة الفرس وهذا القول الثاني يتفق مع ما قاله هاني بن قبيصة حين زعم أنه وقومه يجب أن يذهبوا في الصحراء لأنهم ليس لديهم قوة يواجهون بها الجيوش الفارسية الجبعة، كذلك فإن بني حنيفة لم يحضروا الاجتماع، ولم يكن في المجتمعين من يؤيد الحرب إلا سيار العجل^١. وفي هذه اللحظة الحرجة أرسل الشاعر إليهم يحذرهم غزو الجيش الفارسي الكبير (٦آلاف) ويقنعهم بالاتحاد والتكافل، وأن يستعدوا للحرب ويتخلوا عن حرث الأرض واستجاج المواشي (البيت ١٧-١١ من العينة والبيان ٢ ، ٣ من الدالية)، ويحضهم على ألا يأمنوا كسرى على النساء بل عليهم حمايتها، وهذا هو السبب الذي جر إلى مقتل النعمان، أعني أن كسرى حاول أن يتخذ لنفسه نساء من العرب فأبى النعمان ذلك. كذلك فإن الأمكنة المذكورة في القصيدة هي تلك الأمكنة التي تحف بدبي قار (وهي الجزيرة، ذات الجزع، يشة، ثهلان... الخ) وكلها تقع في الجزيرة العراقية.

(١) العقد الفريد ٣ : ٩٥ .

وعلى أساس هذه الشواهد يمكننا القول إن قصيدة لقيط نظمت قبل يوم ذي قار، كما ذكر ابن عبد ربه.

نظرة في شعر لقيط: بقى من شعره مقطوعة وقصيدة، ويبدو أنها بقية من ديوان المقطوعة الدالية في ٤ أبيات والقصيدة العينية بقى منها خمسة وخمسون بيتاً، وقد أورد ابن قيبة الدالية كلها و ٩ أبيات من العينية ومثل ذلك فعل الإصفهاني والأمدي والبكري وابن عبد ربه، أما ابن الشجري وعنده ينقل صاحب رغبة الآمل فإنه أورد ٥٥ بيتاً في العينية بينما لا يحوي الديوان الذي نشره نولدكه منها إلا ٥٢ بيتاً والأربعة الدالية، أما الديوان الذي وصلنا بخط ياقوت المستعصمي فيحوي الدالية و ٤٦ بيتاً من العينية.

وإذا قارنا الديوان الذي نشره نولدكه بالديوان المكتوب بخط ياقوت وجدنا أن نسخة ياقوت أكثر أصالة وصواباً، وقد اعتمد نولدكه على ثلاث نسخ برلينية برقم ١١٧٦، ١١٨٠، ١١٢٣ كتبت جميعاً في القرن السابع المجري، برواية هشام بن الكلبي. ويبدو أنها تشبه النسختين المحفوظتين في استانبول تحت رقم ١٦٦٢ فيض الله، ٣٩٣٣ آيا صوفيا. ومقدمة الديوان الذي نشره نولدكه تحتوى أخباراً مشابهة لما ذكره ابن قيبة عن إبراد ولقيط وقصيده، غير أن البكري يقرر أن لقيطاً كان كاتباً في ديوان كسرى فأخبر قبيلته باستعداد الجيش الفارسي لغزوها لكن طبعة نولدكه لا تذكر سوى أن لقيطاً كان يقطن الحيرة، وعند ما علم بزحف الفرس أرسل إلى قبيلته يحذرها. وقد وردت في نسخة ياقوت إشارة إلى هذه الحادثة أيضاً، وهي نسخة لم يعتمدتها نولدكه. كذلك فإن هذه النسخة تخلو من الآيات (١٥، ١٩، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤) التي وردت عند نولدكه كما أن البيت ١٢ عند ياقوت لم يرد في نشرة نولدكه.

وبنفق الشرح في النسختين، إلا أن بعض الشرح في نسخة ياقوت

لم ترد عند نولدكه والعكس بالعكس ، وفي الآيات نفسها خلافات في الرواية . وقد توقف كاسكل متبنا خطى نولدكه^١ عن البيت ٢٦ فزعم أنه صورة أخرى من البيت ٣٧ وهذا غير صحيح ، لأن الشاعر في البيت الأول ينصح قبيلته أن تضحي بكل عزيز لديها كي تحمى شرفها وشرف نسائها ، أما في البيت ٣٧ فإنه يركز القول حول حماية شرف النساء من كسرى وجيشه . وكذلك يمكن أن يقال حول نولدكه للبيتين ١١ ، ٣٥ في أنها يحويان مفهومات إسلامية وأنهما إضافة متأخرة ، ومثل هذا النقد تتج عن سوء التفسير والفهم للوصف المحقق ، ففي البيت ١١ يذكر الشاعر قومه أن الفرس غير متدينين ، فهم أشرار لأنهم لا دين لهم ، وفي البيت ٣٥ ينصح الشاعر قومه ألا ينغمموا في مغريات الحياة ، وهاتان الفكرتان إسلاميتان وهما في الوقت نفسه مسيحيتان ، ونحن نعلم أن لقيطا وقبيلته كانوا نصارى وأن الفرس كانوا زرادشتيين ، ولهذا فإن الفكرتين تتفقان مع المعتقد الديني لدى الشاعر . ولكن نولدكه لم يستطع أن يرى لقيطا ضمن هذا الإطار الصحيح وذلك بسبب الاضطراب والتعارض في القصص التي نسجت حوله .

الدكتور عبد المعيد خان

حيدرآباد (الهند)

(١) أشهر الأستاذ روزنتال لانه ترجم لي بعض ما ورد في اللتين الألمانية والفرنسية عند كل من نولدكه وكاسكل .

تأملات في سورة الكهف في ضوء

ما بحث عن شخصية ذي القرنيين

إن سورة الكهف تهتم إهتماماً بالنسبة إلى أنها تقص علينا ثلاثة قصص تحمل معنا ضخماً في كيانها ألا وهي قصة أصحاب الكهف، قصة لقاء موسى بالخضر وقصة ذي القرنيين.

وقد اختلف في سبب نزولها، فنهم من يقول:

إن المشركين من مكة بعثوا وفدا إلى يهود المدينة ليستولوهم عن محمد ويصفوا لهم صفتة ويخبروهم بقوله لأنهم كانوا أهل الكتاب الأول وكان عندهم علماً ليس عندهم من علم الأنبياء فأتوا إلى المدينة وسألوا أحبار اليهود عن رسول الله عليه السلام ووصفو لهم أمره وأخبروهم بعض قوله فقالت لهم أحبار اليهود:

سلوه عن ثلات نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو رسول مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإن قد كان لهم حديث عجب. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبته؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنهنبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم^١.

فرجعوا إلى قومهم وأشاروا عليهم ما أشروا. فقدروه وتقربوا بها إلى رسول الله فنزلت.

(١) السيرة لابن هشام، ٢٢: ١

ومنهم طائفه تقول إن هذه الاستئلة التي سبق ذكرها طرحتها يهود المدينة في المدينة. ولكن هذا الرأي لا يمكن قبوله لأن السورة نزلت بمكة كما اتفقا عليه ولا خلاف فيه.

أما من يرى الأول فذكر الاستاذ مولانا حفظ الرحمن^١ أن هذا القول رواه المحدثون عن طرق عديدة وحسنوه ولكن ما أشار إلى مرجع . ولذلك لا يمكن لنا البحث عن اسناده بحثاً حتى ، إلا أن تتحدث شيئاً عن قصة الوفد التي رويت عن ابن عباس رضي الله عنه . فقد رويت في سيرة ابن هشام^٢ بدون سند . ولم يبحث عنها شيئاً أبو القاسم السهيلي في «الروض الأنف» كذلك .

ورواها الطبرى فقال^٣ :

«حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بکير عن محمد بن اسحق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع واربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس الخ . ولكن يحمل شخص استاذ ابن اسحق مع ان ابن اسحق قرأها على يونس بن بکير بعد ما مضى اربعون سنة على لقائه بالشيخ المصرى . ولذلك لا بد ان يشق على يونس ان يشخص هذا المجهول فلا تتمكن الثقة بها .

وذكر السيوطي^٤ أن الحديث ذكره ابن المنذر وأبو نعيم والبيهقي في كتبهم وسمى الآخرين بـ «دلائل النبوة»، وحذف الاسناد كما هي عادته . ولم أجده أنا هذا الحديث في دلائل أبي نعيم الذي طبع فلا ينبغي لنا أن تتحدث شيئاً عنها .

(١) قصص القرآن ٣ : ٢١٣

(٢) السيرة ٣ : ٣٢١

(٣) التفسير الطبرى ١٥ : ١١٨

(٤) الدر المثور ٥ : ٢١٠

وقد نقل السيوطى فى الدر المنشور حديثا آخر من دلائل أبي نعيم
وهو كذلك لا يوجد فى المطبوع ولكن السيوطى نقل عنه:

«من طريق السدى الصغير عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس الخ». أما السدى فهو من غال الشيعة - وأما الكلبى فقد تركه المحدثون كما قال أبو حاتم - واتهمه ابن حبان بالسبائية - وعلى قوله كان معتقدا بجحابة على ورجوعه إلى الدنيا وخلافه بالعدل مرة أخرى - وكان يفسر بواسطة أبي صالح عن ابن عباس ولم يسمع قط عن أبي صالح ولم ير أبو صالح ابن عباس^١.

والظاهر أن في هذه الحالة لا يمكن الاعتماد على هذه الرواية أيضاً. أما الدراسة فلا تقتضى القول الأول كذلك عن الوجوه الآتية:

١ - هذه الروايات كلها تستدعي أن هذه الأسئلة عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح قد أقيمت في حين واحد وبها نزلت السورة ولكن ما نزل شيء في السورة عن الروح ، وذكر عنها في سورة بنى إسرائيل - وإن كان كذلك كما هو في الرواية لا بد أن يرد عليه في السورة نفسها فلا يلتفت النظر إلى الروايات التي تدل على أن هذه الأسئلة الثلاثة وقعت في حين.

٢ - وقع في القرآن كثير من الأسئلة وأجبتها ولكنها ابتدأت بـ «يسئلونك» ثم جاء الرد عليها . وإن هذه الرواية تدل على أن النبي ﷺ كان سئل عن أصحاب الكهف ولكن القرآن لم يذكر سوالاً عنهم ، بل بدأ به «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ، الآية»، وهذا عدول عن رسم القرآن الذى ليس عندنا له سبب ، فكان المسئلة لم تكن عن الكفار ولذلك لم تكن نسبتها إليهم .

٣ - وإن كان السوال على اشارة اليهود كان له علاقة بهم وكان لازماً أن تكون هذه القصة في صحفهم ليستخدموها لتصديق النبوة أو تكذيبها ولكن

(١) راجع خاتمة تفسير الثورى ٤٢٠

المفسرين كلهم اتفقوا على أن أصحاب الكهف كانوا على ملة عيسى عليه السلام الذين آتوا إلى الكهف صيانة لدينه .

ولو اطلع المشركون على القصة الصادقة لما لوا إلى النصارى أكثر من اليهود الذين كفروا النصارى وجعلوهم أدلة بازائهم فكيف يرضى به اليهود . وبالإضافة إلى ذلك لا نجد شيئاً من أصحاب الكهف في كتبهم فالذى ما كان لهم به علم كيف كان السؤال عنه^١ .

٤— ويمكن لنا أن نقول إن السؤال ما وقع على إشارة اليهود ، لأن التوراة لا تذكر عن ذى القرنين ولا عن رجل تسلط وفاز بهذه المهام الثلاثة . فكيف كان السؤال على طلب اليهود عن رجل ما كان لهم به علاقة ولا في كتبهم إلى ذلك إشارة .

٥— وكما روى ابن اسحق ، قال أحبار اليهود للوفد «إن أخبركم بهن فهونبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيك» وهذا كذلك مما لا يقتضيه العقل لأن اليهود لم يكونوا أن يرضوا برسول ما كان منهم وكان لهم مقياس الرسالة أن تكون لها علامات في صحفهم . والعلامات التي ظهرت للكفار قريش لم تكن لمن يتظرون به رسول ، وإن كان كذلك فكان واجباً أن يقولوا :

إن صدق الرسول في الرد على الأسئلة لتؤمن به جميعاً .

(١) ذكر إبراهيم ونقضن في كتابه «تاريخ اليهود في بلاد العرب» ص ٩٨ : «وعندنا دليل يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الرواية من المحتمل أن تكون واقية وهي أن في التلود قصة مشهورة تشبه قصة أهل الكهف ومن هذه القصة أخذ أحبار اليهود الأسئلة التي وجهوها للرسول بواسطة وفد بنى قريش» .

وكما أرى لم يكن السؤال عن اليهود ، أما القصة فهي أن يهودياً رأى بعض المؤمنين مستائين على ظهورهم في سيناء في عهد موسى فان كان السؤال عن هذه الواقعة لكان واجباً أن يخالفوا ما ذكر القرآن .

٦— وفيها روى الكلبي «إنهم إذا وصفوا لهم صفة رسول الله قالوا لهم
نجد نعمته وصفته وبعثه في التوراة فان كان كما وصفتم لنا فهونبي مرسلا
وأمره حتى يأتيعوه ولكن سلوه عن ثلاثة خصال فإنه يخبركم بخلصتين ولا
يأبى أن يخبركم بالثالثة إن كان نبيا وإنما قد سأله مسيئة الكذاب عن هؤلاء الثلاث
فلم يدر ما هي^١.

وهذه من أضعف الروايات دراية لأن فيها يقر اليهود أن الميزات التي
بشرت بها التوراة لمن تنتظرون لا يتصل بها رسولكم فلا بد أن تطيعوه رسولا
صادقا، ولأن تزيد قلوبكم طمأنينة قوموا بهذه الأسئلة، ومع ذلك لم يقلوا
لئومن به ولم يتقدموا بأنفسهم للبحث عنها ولم يتحنوه مما كانوا يحفظون من
التوراة ولم يستعدوا أن يومنا به كما تقتضي صحفهم.

٧— وفي رواية ذكر ذو القرنين بمحولا بـ «رجل طراف بلغ مشارق
الأرض ومغاربها» وفي رواية أخرى «رجل كان يسجح في الأرض» وتعيم
السؤال هذا لا يقبل لأن السائل الفطن لا يسأل سوالا ليس له جواب يتعين
في معناه.

٨— وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال قالت اليهود للنبي ﷺ
يا محمد إنما تذكر ابراهيم وموسى وعيسى والنبيين، إنك سمعت ذكرهم منا فأخبرنا
عن النبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد قال: ومن هو؟ قالوا
ذو القرنين. قال: ما بلغني عنه شيء، فخرجوا فرحين، وقد غلوا في أنفسهم
فلم يلغوا باب البيت حتى نزل جبريل بهولاء الآيات^٢.

ورأى الشيخ حفظ الرحمن نقدا على الرواية أنها رويت بايجاز وفصلها
هو: بأن الأسئلة اختارها اليهود ولكن قدمها قريش، وهو يرى: يمكن أن أحدا من

(١) الدر المنشور ٤ : ٢١٠

(٢) الدر المنشور ٤ : ٢٤٠

الرواة رأى لفظ التوراة في السؤال ووهم بها أن السؤال كان من اليهود مباشرة^١.

وكما أعتقد هي أحق بالنظر فيها لأن فيها أن ذا القرنين كان نبياً واليهود لا يقرنون نبياً من غيرهم. وفيها أن ذكره في التوراة إذ لم يذكر فيها وإن أريد به «خورس» الذي رأه «دانايال» في منامه فذكر في كثير من الآيات وإن قيل يقصد به الرواى أنه ذكر بذى القرنين مرة واحدة فلا يوجد ذكره وسيأتي البحث عنه.

والمراد بـ «الكبش الذى كان له قرنان» إنما هو ملك من ملوك الفارس خسب.

فثبت بذلك أن الروايات في سبب نزول السورة كلها ضعيفة لا تعتبر، مشكوكه لا توثق بها. فلم تطرد الأسئلة في حين ولم تكن ثلاثة والسؤال عن الروح وقع في حين آخر ولذلك وقع في سورة أخرى.

قصة ذى القرنين :

إن أم القصص وأعدها هي قصة ذى القرنين والعقدة إنما هي في تشخيصه ولأن القرآن لم يذكر اسمه ودوره أو وطنه، لم يزل المفسرون يبحثون في البحث عنها ولا يزالون، ومن أقوالهم الكثيرة عدتها تأتي في السطور الآتية^٢:

١ - المراد بذى القرنين كيقباد أو فريدون ملك فارس.

٢ - هو لقب أبو كرب شمس الحميري.

(١) قصص القرآن ٢ : ١١٣

(٢) راجع تفسير الرازى ٥:٧٥٠، تفسير ابن كثير ٣:١٠٠، تفسير القرطبي ٤:٤٥، تفسير أبي السعود ٢:٢٠، الدر المثور ٤:٢٤٠، تاريخ الطبرى ٦:٦، مروج الذهب ١:١٣٨، الآثار الباقية ٤١، البداية ٢:٢٣، تاريخ أبي الفداء ١:١، ثمار القلوب ٢:١٠٥

٣ - هو الإسكندر الرومي.

٤ - كان ملكاً من الملائكة.

٥ - كان رجلاً صالحاً وهب علماً وحكمة وملك وأمراً.

٦ - هو مرزبان المصري.

٧ - كان شاباً من الروم.

ومن المفسرين في الهند أول من بحث عنه هو مولانا الحكيم محمد حسن القوي م ١٣٢٣ هـ في تفسيره بالفارسية الموسوم بـ «معالمات الأسرار»^(١) ويرى أن المراد بذى القرنين هو «قورش» مؤسس إمبراطور الفارس وعلى حد قوله تعضد هذا الرأي صحيفه دانيال وصحيفه إشعيا.

وهكذا ذكره في تفسيره بالأردية «غاية البرهان» وعنده وجه تسميه بهذه الصفة إنما هو رؤيا دانيال.

ثم يأتى الحكيم نور الدين القاديانى م ١٣٣٢ هـ بهذا الرأى في كتابه المسمى بـ «تصديق براغين أحادية»^(٢).

واستعرض المفسر قصة رؤيا دانيال وتعبيره بلسان جبريل وطبقها على «قورش» ثم وافقها بذى القرنين.

وبعده صنف الأستاذ السيد أحمد خان رسالة تسمى «ازالة الغين عن قصة ذى القرنين» (طبع آكره ١٨٩٠م) وأثبت فيها أن المراد بذى القرنين هو ملك الصين (جي وانك تى) الذى بنى جدار الصين المعروف وتوفى في ٢١ ق م ولكنه لم ينقد شيئاً على الآراء السابقة ولعله لم يطلع عليها.

ورد عليها مولانا عبد الحق الدهلوى وألف رسالة تسمى بـ «ازالة الرىن عن قصة ذى القرنين» طبعت بدلهى على طلب الحكيم أجمل خان ومع التقد على

(١) راجع تفسيره بالفارسية ١: ٢٣ و ٢: ٥٧ والأردية

(٢) راجع ص ٤٩

رأيه لم يقبل آراء المفسرين السابقة.

وعلى حد قوله «ذو القرنين» هو تبع الحميري والجدار الذي بناه هو الذي يقع في جبل يورال^١ إلا أنه يقول حينما يذكر عن رؤيا دانيال: «ينبغي أن يكون من ملوك الفارس وأن يكون معروفاً بذى القرنين في اليهود - ثم يأتي بقوله^٢: إنه يكن من ملوك المتقدمين وصفاته المذكورة تتطابق على شخصية «كيخسرو» وسنده في الباب الثامن من صحيفة دانيال. وكما يظهر من هذه العبارة كان مطلاً على هذا الرأي فضلاً أنه اقتبسه من تفسير التقوى أم من كتاب نور الدين.

وحقق الأستاذ المغفور له عبد الله العمادي في كتابه «تاريخ عرب قديم» (ص ١٠٤) هذا الموضوع فكتب:

١ - إنه كان من العرب.

٢ - يدعى العرب ويعرفونه عامة.

٣ - كان يدعى ملوك أسرة «اذواء» بمثل هذه الألقاب.

٤ - كان من ميزات العرب أنهم كانوا يقيمون السodos وينون الجدر وبذلك يتصف هو.

٥ - وقصص القرآن كلها تنتهي إلى عنصر العرب أو إلى بنى إسرائيل الذين كانت بينهم وبين العرب صلة قرية.

وبعده ظهر الكتاب «الحكمة البالغة» للولوي أحد المكرم العباسى الجرياكوى وليس فيه إشارة إلى تاريخ التأليف ولعله طبع في حيدرآباد تحت إدارة دائرة المعارف النظامية في ١٣٣٢هـ.

فيرى الأستاذ العباسى أن ذا القرنين هو كيقباد قورش الذى فتح بابل

(١) إزالة الرین : ١٤

(٢) راجع تفسيره ١٤٢:٥

٥٣٦ ق م بعد ما مضى الثاني والعشرون سنة على حكمه وكان في الثاني والسبعين من عمره وحرر اليهود من الأسر وعمرهم في اقطاع الباب المقدس ولعل الاستاذ تأثر في هذا الرأي من تفسير الاستاذ التقوى الذي سبق ذكره.

ونشر ترجمة القرآن بالإنكليزية محمد علي اللاهوري م ١٣٧١ هـ (طبع ١٩١٦م) وعندئ من تصدق عليه رؤيا دانيال هو دارا الأول ، وبعده طبع تفسيره بالأردية «بيان القرآن» فكرر هذا الرأي وعلى قوله «كان دارا الأول متبعاً صادقاً لزرادشت وكان مدبراً كبيراً».

مولانا أبو الكلام آزاد :

وبعد هذا الاستعراض في تفاسير المتقدمين نقدم ما كتب الاستاذ الكبير مولانا أبو الكلام آزاد عن هذا الموضوع في السطور الآتية الذي حصل رأيه على قبول حسن في الأوساط العلمية والدينية^١.

يقول :

والقصة الثالثة في هذه السورة هي قصة ذى القرنين وسئل الرسول عنها واتفق المفسرون كلهم أن السوال كان من اليهود ولو كان على لسان معظم المشركين من مكة لأن السورة مكية.

ولو نستعرض فيها ذكر القرآن عن ذى القرنين لا بد أن تدبر في ضوء هذه النواحي الآتية :

١ - الرجل الذي سئلوا النبي ﷺ عنه كانوا يسمونه بذى القرنين اي أن هذا الاسم أو اللقب لم يصفه القرآن من عنده بل الذين سئلوا عنه هم الذين اطلقوا عليه ، ولذلك قال :

ويسئلونك عن ذى القرنين .

٢ - اعطاء الله الملك وهيئنا له أسباب الحكم والغلبة ما يتصور .

(١) راجع ترجمان القرآن ٢: ٣٩٩

٣— كانت مهماته الحرية الكبرى ثلاثة :

الأولى— غربة— ذُحْف من بلاده متوجها إلى الغرب حتى وصل مكاناً كان له حد المغرب، فوجد الشمس هناك تغرب في عين.

والثانية— شرقية— فما زال يتقدم حتى بلغ أرضاً لا عمران فيها. والمهمة الثالثة وصل بها إلى مكان به مضيق جبلي يشن من ورائه قوم الغارات على الأهالي الذين سموهم باسم «يا جوج وما جوج»، وكان هؤلاء هم جاؤوا من المدينة والعقل.

٤— اقام الملك سدا في المضيق الجبلي لمنع غارات القوم.

٥— لم يتكون هذا السد من الحجر والأجر فقط بل أفرغ فيها الحديد والنحاس فأصبح سداً منيعاً.

٦— كان الملك مؤمناً بالله وبال يوم الآخر.

كان ملكاً عادلاً رحيمًا برعيته ولم يكن فيه فتك أو قسوة بالمفتوحين فإنه لما تغلب على قوم في الغرب، ظنوا أنه يرهقهم كغيره من الملوك الفاتحين فلم يفعل ذلك بل قال لهم : لا خوف على الأبراء منه ، إنه من يعمل خيراً يجز به .

٧— لم يكن حريصاً على المال فإنه لما أراد المفتوحون أن يحملوا له المال لإقامة السد أبى أن يخذل منهم قائلاً : إن ما أعطاني الله يعنيني عن أموالكم ولكن أعينوني بقوة أيديكم ، أشيد لكم سداً حديدياً.

فالشخصية التاريخية التي هذه أعمالها وصفاتها ، هي شخصية ذي القرنين ولكن من هو هذا الرجل ومتى وأين وجد؟

إن أول مسئلة شغل بال المفسرين في هذا الصدد هو اسم الرجل أو لقبه إذ لم يعرف أن يكون لانسان قرن أو أفران ولم يعرف في التاريخ ملك بهذا اللقب.

وعلى كل حال لم يبلغ المفسرون إلى نتيجة مقنعة في تشخيصه .
وما يضيء على شخصية ذى القرنين إنما هي إشارة من بعيد وهى رؤيا
دانياال التى رأها حينما كان فى أسر بابل .
وها هى رؤياه الذى جاءت فى كتاب دانياال :

«رأيت كيشا واقفا على شاطئ النهر له قرنا عاليان وكان الواحد منها
منحرفا إلى ظهره ورأيت الكيش ينطح بقرينه غربا وشرقا وجنوبا ، لا قبل
للحيوان بالوقوف أمامه فهو يفعل ما يشاء وصار هو كبيرا جدا . وبينما أنا
أفكرا في هذه الظاهرة إذ رأيت تيسا أقبل من جهة الغرب وغشى وجه الأرض
كلها ، وكان بارزا بين عيني التيس قرن عجيب ، ثم إن التيس اقترب من
الكيش ذى القرنين ونفر منه مغضبا ثم عمد إليه فكسر قرينه وصرعه
وداسه فأصبح الكيش ذو القرنين عاجزا عن مقاومته ، محروما من ناصر ينصره
عليه^١ ، ثم ظهر له جبرائيل وعبر عن رؤياه قائلا :

إن الكيش ذى القرنين يمثل إتحاد الملكتين - مادا - و - فارس -

أما التيس ذو القرن الواحد الذى رآه بعد الكيش ، فالمراد منه ملك
اليونان والقرن البارز بين عيني التيس يدل على أول ملك من اليونان
(٨:١٥) .

ولأن الملكتين - مادا - وفارس شبهتا بقرنين فى هذه الرؤيا كانت باعثة
للإهود على تخليهم قرنين ملك الفارس .

وهذا إنما كان خيالا عابرا وليس معه شهادة تاريخية .

ولكن الآثار المكتشفة فى عام ١٩٣٨م التي ظهرت ناتجها بعد مدة
واقفت هذه الفكرة وأثبتت هذه حقيقة تاريخية فتحقق أن الإمبراطور «فورش»

(١) سفر دانياال ٨ : ١

كان ملقباً بهذا اللقب وما كانت هذه فكرة دينية عند اليهود بل كان هذا إسماً له يحبه أو محبوباً عند الرعية له.

إن هذا الكشف الأثري المهام، هو تمثال حجري «لكورش» وجدوه منصوباً في مكان يبعد عن عاصمة إيران القديمة «استخر» نحو خمسين ميلاً على شاطئ النهر «مرغاب».

إنه تمثال على القامة الإنسانية، ظهر فيه «كورش» وعلى جانبيه جناحان كجناح العقاب وعلى رأسه قرنان كقرني الكبش.

والحجر المنقش المكتوب عليه بالخط المسهاري المنصوب بالفوق انكسر معظممه ولكن ما يبقى منه يوضح شخصية هذا التمثال.

ومن هذا قد تقرر بأن تшибه مملكتي مادا وفارس بقرينين كان فكراً مقبولاً وخيالاً عاماً - ولا شك أن «كورش» كان يدعى به «ذى القرنين» وصورة الجناحين تشير إلى صفاته الملكوتية وفضائله القدسية لأنها يعرف في أهل فارس خاصة والأقوام المعاصرة عامة، انه لم يكن كسائر الناس بل كانت صفاته فرق البشرية.

والآن لاريب لنا أن «كورش» كان يدعى بذى القرنين وكان اليهود من العرب يسمونه بهذا اللقب.

ثم قدم مولانا البشارات عن ظهوره قائلاً :

إن أول بشارة عن ظهوره، أتى بها «اشعيا» الذي بعث قبل ١٦٠ سنة من قبح «بابل».

وفيها يلي نص العبارة:

«ولئن أقول في حق خورس بأنه راعٍ له وهو يتم مرضاتي كلها - يقول

الرب في شأنه انه مسيحيه»^١.

(١) نقلًا عن ترجمان القرآن ٤٥ : ١

وَمَا بَشَرَ بِهِ «إِرْمِيا» قَبْلَ سَتِينَ سَنَةً فِيهَا يَلِ :
 «أَخْبَرُوا فِي الشُّعُوبِ وَاسْمَاعُوا وَارْفَعُوا رَأْيَةً . اسْمَاعُوا لَا تَخْفُوا ، قُولُوا
 أَخْذَتْ بَابِلَ ، خَزَى يَلِ ، اسْحَقَ مِرْوَدْخَ . خَزِيتْ أُوتَانَهَا ؛ اسْحَقْتْ أَصْنَامَهَا
 لَأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهَا أُمَّةٌ مِنَ الشَّهَالِ هِيَ تَجْعَلُ أَرْضَهَا خَرْبَةً فَلَا يَكُونُ فِيهَا
 سَاكِنٌ مِنْ انسَانٍ إِلَى حَيْوانٍ هَرَبُوا وَذَهَبُوا» .

وَهَكُذا نَبُوَةُ «إِرْمِيا» ، الَّذِي بَشَرَ فِيهَا اسْرَيْالِيُّونَ فِي بَابِلَ سَبْعِينَ سَنَةً وَبَنَاهُ
 الْمِيَكَلَ مِنْ جَدِيدٍ :
 «إِنِّي عِنْدِي تَامٌ سَبْعِينَ سَنَةً لِبَابِلَ أَتَعْهُدُكُمْ وَأَقِيمُ لَكُمْ كَلَامِ الصَّالِحِ بِرَدْكُمْ إِلَى
 هَذَا الْمَوْضِعِ» (٢٩: ١٠) .

وَلَتَضَىءَ هَذِهِ النَّبُوَةُ عَلَى أَنَّ الْآلهَةَ بَاشَرَ رَجُوعَ رَحْمَتِهِ بِفَتْحِ بَابِلَ ، كَانَ
 ظَهُورُ قُورْشَ كَانَ ظَهُورُ رَحْمَتِهِ تَظَهُرُ عَلَى بَنِي اسْرَائِيلَ مَرَّةً ثَانِيَةً .
 وَيَظَهُرُ مِنَ التُّورَاةِ كَذَلِكَ أَنَّ «قُورْشَ» لَمَّا فَتَحَ بَابِلَ أَرْأَاهُ «دَانِيَالَ» الَّذِي
 كَانَ مِنْ وُزَرَاءِ الْمُلُوكِ نَبُوَةً «إِشْعَيَا» الَّتِي أَخْبَرَ فِيهَا بِظَهُورِهِ قَبْلَ ١٦٠ سَنَةً
 فَتَأْثِيرٌ حَتَّى يُقَالَ إِنَّ الْفَرْمَانَ الَّذِي أَجْرَاهُ لِبَنَاءِ الْمِيَكَلَ كَانَ نَتْيَاجَهُ لَمَّا تَأْثَرَ مِنْهَا .
 وَإِنَّ النَّاقِدِينَ فِي زَمَانَتِنَا هَذَا لَا يَطْمَئِنُونَ بِأَصْلِهَا وَيُشَكِّلُونَهَا لَمَّا يُمْكِنُ
 الْإِضَافَةَ فِيهَا بَعْدَ مَا ظَهَرَتِ الْأَحْوَالُ وَخَاصَّةً لَا يَلْفَتُونَ إِلَى نَبُوَةِ «إِشْعَيَا» الَّتِي
 تَعِينُ اسْمَ «قُورْشَ» ، وَلَكِنَّ لِيُسْ طَمَحٌ حَجَةٌ عَلَى إِنْكَارِهِ إِلَّا مَا تَسْتَغْرِبُ عَقْوَلُهُمْ
 وَلَكِنَّ هَذَا الْإِسْتَغْرَابُ لَا يَكُونُ دِلْلَاتِ خَلَافَ هَذِهِ الصَّحَافَ السَّهَوِيَّةِ
 الَّتِي تَسْتَحْقُ عَنِ الْجَمِيعِ أَنْ يَسْتَيْقِنَ بِالْهَامِهَا .

ثُمَّ يَدْعُمُ الْإِسْنَادَ قَائِلاً :

«تَدْبِرُوا ! كَيْفَ تَوَافَقُ هَذِهِ الْحَلَةُ الَّتِي فَصَلَّاهَا الْقُرْآنُ عَلَى شَخْصِيَّةَ «قُورْشَ» .
 وَلَا يَخْفَى عَلَى الْقَارِئِ أَنَّ السُّؤَالَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْ يَهُودَ
 كَمَا اتَّقَى عَلَيْهِ . وَلَيْسَ عِنْهُمْ شَخْصٌ مَا كَانَ مِنْهُمْ فَاحْتَرِمْ فِيهِمْ احْتِرَامًا

وأعز اعزازا إلا شخص هذا الامبراطور «قورش» الذي يصدق عليه بشري الآنياء وتعبير رؤيا دانيال ونبوءة رجوع الرحمة والذى أنجحا بني اسرائيل من الأسر والذلة، الراعي المرسل من الله، العامل على بناء الهيكل من جديد، فكان طبيعيا أن يكون هذا السؤال عنهم.

وهناك في القرطبي عن السدى رواية، وفيها إلى ذلك إشارة:
قال «قالت اليهود: أخبرنا عن نبى لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد. قال: ومن؟ قالوا ذو القرنين».

والإشارة إلى ذى القرنين إنما وقعت في رؤيا دانيال ولذلك هذا ما قيل عن اليهود إشارة إلى شخصه.

وعن لفت النظر من ذلك هذا كشف التمثال قد وضح علينا أنه وضع على رأسه تاج فيه قرنان وهي علامة وحدة إجتماع الملائكتين مادا - وفارس. تأملوا فيما صرحت صحف التوراة كيف تُرَضِّح خصائص شخصه وكيف يصدقها القرآن!

ففي كتاب إشعيا:

«إن خورس راعي وهو المسيح و كما مر في قول إرميا انه ينجي أهل بابل من الظلم والذلة».

ثم انظروا هل كان شخصه شخصاً موعوداً ناجياً يتضرر أم لا؟
ثم يقول:

إن أهم ما يتصف به ذو القرنين هو إيمانه بالله كما تدل الآيات على إيمانه بالله وبال يوم الآخر و عمله الصالح على أحکامه السماوية وكان مؤمناً بأن الفوز والنجاح إنما هو من فضل الله.

وهناك يمكن السؤال هل كان «قورش» يعتقد هذه العقيدة أم لا؟
فن يقول: لا؛ بعد ما اتضحت عليه الحقائق السابقة ذكرها.

وتشهد صحائف اليهود أن الله خاطبه بالرسول والمسيح ، وعندهم كان نياً موعداً متظراً ، فلا يمكن أن يكون هذا الشخص الجليل مرتكباً بالكفر والعصيان .

من أيده الله يده ومن أقام العوج من طريقه فلا يمكن أن يكون مطروداً أو مردوداً عند الله .

ثم يأتي بقوله :

«إن كان اليهود معتقدين هذا الاعتقاد ، فهل يمكن أن يفرض فضلاً أن يسلم أن اجترؤوا بأن اعتقدوا هذا لمن يعبد الأصنام واعتبروا بفضله وكان غريباً عندهم ، ولم يكتفوا على ذلك ، بل تقرر عندهم النبي الموعود والرسول المصطفى .

وهذا دليل مقنع ليس له مقطع أن شخصيته كانت مقبولة إلهم محبوبة لديهم ، وكانت فضائله شائعة فيهم حتى ما حالت بينه وبينهم عصبية أو جنسية - فلا يمكن هذا الحب وهذه العاطفة لعبد الأصنام ويكون غريباً .

وإن كان هذا لما نجوا على يده إنما كان لهم أن يمدحوه بالعظائم لا أن يعتقدوه مسيحاً .

ثم الاستاذ يبحث القارى على سوال وهو ، ما هي الوسيلة التي نعلم بها عن عقائده ؟ فيرد عليه قائلاً :

قد ثبت أن «قرش» كان متبعاً «زراداشت» ولعله أول من برع به هذا الدين وبلغ مبلغه وإنه لم يكن مؤسساً لملكة الجديدة الموحدة بين الاثنين بل أشاع ديانة «زراداشت» مكان المحبوبة .

وإذا كان مؤسساً للحكومة الجديدة ولديانة جديدة .

ثم أثبت مولانا على بناء الشهادات الخارجية أن «قرش» كان من متبوع «زراداشت» وهذا الدين كان على التوحيد الخالص .

ولأن «داراء الأول» كان «وحداً والفسحة التي بقيت بينه وبين «قورش» تخلو من ذكر حول ديني جديد، يقاس أن هذا العمل قد اكتمل في عهده، وعلى حد قوله:

«لا شك أن قورش كان عاملاً على ديانة «زراداشت» فضلاً عن قبوله بهذه الدعوة في بداية عهده أم بعد عروجه - ويشتبه القرآن بإيمانه بل تقرر في ضوء القرآن ملهمها من الله».

«فلياذا لا نعرف بأن ديانة «زراداشت» كانت ديانة حقة - وليس لها شك في بأن هذا الدين كان يبلغ رسالة التوحيد والعبودية والعمل الصالح ولم ينشأ الشتوية بل هي رد فعل للجوسية القديمة».

ثم اقتبس مولانا من فراملين «داراء الأول» الذي كان يعاصر «قورش» وجلس على سرير الملك بعد ما مضى ثمانى سنوات على وفاته وقال «فسمع في صوته دوى «قورش» فإنه ينسب مهماته الفائزة إلى فضل «أهور مزده» ويصدق ما جاء على لسان ذى القرنين «هذا رحمة من رب».

ويتضمن في ضوء ما بحث الأستاذ وما نقله من المقتبسات:

١ - أن ذا القرنين الذي وصفه القرآن هو «قورش» الذي أسس أسرة «هخامنشي».

٢ - أنه كان مؤمناً صالحاً وكان ملهمها من الله.

٣ - وتشهد على إيمانه وصفاته الملهمة صحف التوراة.

٤ - وكما كان قورش يعرف بذى القرنين في اليهود كذلك كان يذكر في أهل إيران بهذا اللقب.

الأستاذ حفظ الرحمن:

ثم صنف الأستاذ حفظ الرحمن كتابه قصص القرآن، فاعجبه تحقيق

مولانا آزاد إعجابا - ولا شك أنه كان مدللا فاختاره الأستاذ وقله في المجلد الثالث من كتابه بدون تغير وقدره تقديرا حتى يدعم أنه هو البحث المبين المحقق عن الوجهة التاريخية.

ولسنا في حاجة أن ننقل هذه العبارات بعد ما ذكرنا بحث مولانا آزاد فيها سبق آنفا .

مولانا برويز :

وبعده ألف مولانا غلام أحد برويز معارف القرآن (طبع في يوليو ١٩٤٥م) ونقل تلخيص البحث لمولانا آزاد وعلى حد قوله : «وفي زماننا ظهر بعض الآثار بعد المحاولات المتواصلة لبعض المكتشفين للآثار حتى تتحول وجهة القياسات إلى اليقين وعلى رأيه تمكّن نسبة الخصائص التي ذكرها القرآن لذى القرنين إلى ملك إيران «قورش» .

ولكن مع هذا التحقيق لم يكن هذا القياس يقينا حتى الآن ويمكن أن تظهر حقائق أخرى بعض المكتشفات في المستقبل - إلا في ضوء ما تحقق حتى الآن تستعد الأذهان أن ذا القرنين يراد به ملك إيران «قورش» . ثم ذكر ما بشر به في صحف التوراة^١ وقال : «توفي قورش في ٥٢٠ ق.م . ثم استخلفه ابنه كيقباد ويقال إن قورش كان متبعاً لزراداشت وكان يبلغ هذا الدين» .

مولانا عبد الماجد الدرية آبادي :

وذكر الأستاذ عبد الماجد في تفسيره بالأردوية بالطبعة الثالثة ١٩٥٠ أن ذا القرنين كان متديناً كبيراً فيها صرح القرآن ولكن لم يعين شخصه .

وأما ما يأتى في التفاسير عن تشخيصه إنما هو القياس والأغلب على الآراء كلها أنه هو الإسكندر المقدوني م ٣٢٣ ق.م .

وأما ما ذكر عن قورش م ٥٣٩ ق.م فتضعف الشهادات التاريخية فيه .

(١) راجع ص ٤٤٦

وبالنسبة إلى ما مضى يرى مولانا أنه هو الإسكندر ويؤثر هذا الرأي على غيرها.

الأستاذ أبو الأعلى المودودي:

بحث الأستاذ المودودي في تفسيره^١ فيقول: «هذه المسألة لم تزل تختلف فيها وهي من كان ذا القرنين؟ فقد مال أكثراً لتقديم في تشخيصه إلى الإسكندر المقدوني ولكن

الصفات التي وصفها القرآن لا تصدق عليه

وفي هذا الزمان المتحضر مال المحققون إلى ملك فارس «قورش» وهذا قريب من الدراية للقياس ولكن يشق علينا أن نعيشه جزماً.

ثم يذكر خصائصه فيقول:

«إننا نعتقد أن الفاكين للعالم قبل نزول القرآن، منهم أقرب إلى هذه الصفات التي يتصف بها ذو القرنين هو «قورش» ولكننا نحتاج إلى شهادات منقحة بالمزيد لتعيينه».

ومع ذلك ليس أمامنا أحد توافق حله بهذه الحلة دون «قورش»
تلخيص الآراء: ومن هؤلاء المفسرين الذين سبقت آرائهم

يرى الأستاذ العبادى أن ذا القرنين من «الاذواه» من ملوك اليمن.

وعند مولانا عبد الماجد هو الإسكندر المقدوني ويقول محمد على الlahori وتابعه مرزا بشير الدين أنه «داراء» م ٥٨٥ ق.م.

ومن يقى اتفقوا على أنه «قورش» إلا الأستاذ المودودي ومولانا برويز فانهما يبنيان رأيهما على الظن والقياس وإلى حد كبير يوافقان الأستاذ أبا الكلام آزادو،ون بحث عن هذه المسألة بحثا طويلاً بالدلائل هما الأستاذان أبو الكلام وحفظ الرحمن ولذلك سنستعرض هذه الآراء في ضوء ما كتبنا.

(١) تفهم القرآن ٢ : ٤٢

الاستعراض على الآراء:

ونزيد أن نستعرض في البحوث والأراء السابقة فيها ياق بالايحاز:

فهناك تنشاء هذه الأسئلة الآتية في الذهن :

- ١ - هل كان السوال عن ذى القرنين على إشارة أحبار اليهود؟
- ٢ - هل كان ملك اشتهر في اليهود بذى القرنين؟
- ٣ - هل كان أهل ایران أو اليهود او اليونانيون يسمون قورش بذى القرنين؟
- ٤ - هل كان قورش مؤمناً بالله وبال يوم الآخر؟
- ٥ - أ هذا التمثال الذي ظهر باستخر هو لكورش؟

أما الأول فكما ذكرنا حينما بحثنا عن شأن النزول ، إن كان السوال على طلب أحبار اليهود ، لكن واجباً أن يكون ذكره في التوراة وفي صفهم وأن يكون مكرراً لأنه أنجوا اليهود عن الأسر ، ولكن لا نرى هذا اللقب لا في التوراة ولا في تلمود حتى لا نجد له في تاريخ «جوزيفس».

وإن كان كذا كان مقتضياً أن يبين القرآن عن نواحي حياته التي تؤثر على اليهود وما يستعظامه اليهود ولكن ما نزل في القرآن عنها لا يتصل باليهود ولا تذكر صفهم وفي هذه الصورة ما كان لليهود أن يكذبوا رسالة النبي أو يصدقوها وأن يتحقق ما يقصده أهل مكة من هذا السوال .

الثاني :-

إن صحف اليهود وكتبهما التاريخية تخلو من ذكر هذا اللقب ومن ذكر ملك اشتهر بهذا الاسم ولو كان مرة .

أما رؤيا دانيال التي رأى فيها ك بشاشا كان له قرنين ، فيرى مولانا آزاد أن يراد به ملكة مادا - وفارس ، ويعبر مولانا حفظ الرحمن «المملك» شخصاً ونرى في النسخ كلها في العربية ، والإنكليزية والفارسية إستعمل لفظ

الجمع في بشاره جبرئيل فلا بد أن يراد بالكبس ذى القرنين ملكه إيران أو ملوك إيران ولا يراد بملك خاص .

ففي هذه الرواية نفسها قد أريد بالليس ملك اليونان ولم يعبر عنه الاسكتدر والقرن البارز بين عيني ليس يدل على أول ملك من اليونان قد ذكر له كعلامة فحسب ، فلا تصح أن نقول إن ملكا قد اشتهر بهذا اللقب في اليهود .

الثالث :-

لم يكن أهل ایران فقط وهم يسمون «قورش» بذى القرنين او ما يرافقه في المعنى لا في عهده ولا بعده كما كان اليهود يعرفونه بهذا اللقب .
ومما يبقى من آثار مرغاب ، وجد لوح مكتوب عليه في الخط المسارى : «ها أنا قورش من «هخامنشى» قورش المعظم ، الامر على الدنيا - من هو مدفون في هذا المكان هو قورش ملك الملوك ».

وكان على قبره حجر مكتوبة فيه العبارة الآتية . قد يبقى إلى فتح الاسكتدر لايران وقدناه الآن ، نقل منه «إس்டراپو» و «بلو تارك» وترجمة نصه فيما يلى :

«أيها الانسان ، أنا قورش ، بن كيقاد ، مؤسس مملكة إيران والملك لآسيا فلا تخسدنى بهذا البناء .

أيها الانسان ، أى انسان كنت ومن أى مكان أتيت ، ولا بد أن تأتيني أنا قورش ، مؤسس مملكة إيران فلا تغبطني بهذه القطعة التي أنا في طيبة .
وهناك الكلمة الثالثة المنقوشة على ركن آخر - وتحتها تمثال لانسان له

جناحان وهي :

«انا قورش من هخامنشى» .

(١) كتاب نقش قديم تأليف آر. ك. دى. كياش ١٥٥ طبع بمبای ١٨٨٩م

(٢) المرجع السابق ١٦١ (٣) أيضا ص ١٦٦

والمكتوب الرابع هو الفرمان الذي أجراه بعد فتح بابل ، نقل أوله بالعربية^١ .

«أنا قورش ، ملك العالم ، الملك المقدس ، الملك المقدار ، ملك بابل ، ملك أرض سومر وأكاد ، ملك نواحي العالم كلها ، ابن كيقباد ، الملك المقدس - الخ» .

ففي هذه الكتب كلها لم يذكر بذى القرنين أو ما يدل على أن له قرنان فإن كان مشتهرًا بهذا الاسم في أقطاره لكان واجباً أن يذكر به . ومن المؤرخين اليونانيين لم يذكر هذا الاسم مثل «زوفن» و «دانرو دورس» ، وكذلك ، لم يشر إلى ذلك أحد كتاب دائرة المعارف الإسلامية لشمبس (Chamber's Encyclopedia of Islam) الذي قد استخدم دراسته بهذه المصادرتين المذكورتين بالفوق .

وهكذا لم يذكر (Encyclopedia of Religion and Ethics) مع أنها يملاً بمراجع المؤرخين من اليونان^٢ .
وهناك لنا أن نتأمل :

هل كان قورش أو من استخلفه يحب هذا اللقب أم لا ؟
ففي رأي لا يحبونه لأن بنائه إنما على روایات دانيال وما رآه فيها عبر عنه أن مملكة إيران ستشأ نشأة في بدايتها ثم تهلك على يد الإسكندر اليوناني .
فإن هذه الروايات تنبئ بثبوتین ، ثبوة التقدم وثبوة الانحطاط والزوال .
فهل كان مناسباً لDaniyal أن يخبره بهذه الرواية وبجعله محزوناً ، كثييراً وهو أنجح قومه من سوء العذاب ، وإن كان فعل هذا لسبب فهل كان قورش يختار هذا اللقب بناء على هذه الرواية النحسة .

(١) كتاب دانيال ، مقدمته ٣٨ طبع كمبرج .

(٢) راجع المجلد ١ : ٣٧٠

وكان أرى لم يكن لأحد من أهل إيران أو اليونان أو اليهود حتى هزيمة دارا الثاني على يد الاسكندر أن يلقبه بهذا الاسم .
أما أهل إيران فلعلتهم القومية ، وأما اليهود فلعلتهم لاحسانهم لهم وأما اليونانيون فلعلتهم على إيران .
ولا يناسب أن تقاس هذه الرؤيا على رؤى أخرى كرؤيا بخت نصر التي عبر عنها دانيال .

ولم يبال أيرضى به الملك أم لا ، لأن الروياء رأها الملك وسئل عنها دانيال فإنه كان منكراً من تعبيره عتب وإن غير ما فيها من المعنى غضب عليه ربه .

وهكذا كان «بلشفر» رأى يداً غريبة تكتب على جدار القصر^١ على مناسبة العيد ولم يقرأ هذا المكتوب فطلب دانيال وما وضحه كان خلافاً للملك ولكن لا يمكن لنا أن نقيس رؤيا دانيال عليها لأن هذا المكتوب نفسه لم يكن لDaniyal بل رأه الملك وقرأه دانيال .

وفي الأخير من المناسب أن نقول ، أن المستر اس ، آر ، دراثور ، المصحح والمحشى على كتاب «Daniyal» أثبت في مقدمته (ص ٤٧) بحثاً عن المصنف وعهده أن الكتاب لم يصنفه دانيال ولم يؤلف في عهده وإنما صنفه أحد في الفسحة بين ١٦٨ و ١٦٥ ق.م . وجعل نسبة إلى دانيال وقد أتى المستر دراثور بأدلة وبراهين التاريخية والعقلية في إثبات دعواه لا يسلمه كثير من علماء التوراة . وعندئم هذا الكتاب مما ألم دانيال .

ولكنني أرى أن هذه العبارة التالية تستحق النظر فيها :

«رأيت الكبش ينطح بقرينه غرباً وشرقاً وجنوباً .

فإنه تدل على أن الكبش يفتح الأقطار الغربية والشمالية والتي في المخوب

(١) أشعيا ٤٥: ٦-٧

وتحفظ الأقطار الشرقية من النهب والتدمر.

وصرح القرآن أن ذا القرنين قد حقق المهمات الخيرية في الشرق والغرب والشمال.

وهذا التضاد بين الكتاب والقرآن ومع القرآن شهادة تاريخية يجعل كتاب دانيال مشكوكا على المتأمل فيه.

الرابع :-

أما الكتبات التاريخية والدينية، ففي ضوءها ليس «كورش» ملكاً معتقداً بالتوحيد الخالص لله تعالى.

في إشعياء :

«هكذا يقول رب مسيحيه لكورش الذي أمسكت يمينه لأدوس أمامه أمّا وأحقاً، ملوك أهل لافتح أمامـه المصراـعـين والأبـابـ لا تـغلـقـ، أنا أـسـيرـ قـدـامـكـ وـالـهـضـابـ أـمـهـدـ، اـكـسـرـ مـصـرـاعـيـ النـحـاسـ وـمـغـالـيقـ الـحـدـيدـ اـقـصـفـ وـأـعـطـيـكـ ذـخـائـرـ الـظـلـمـةـ وـكـنـوزـ الـخـابـيـ لـكـ تـعـرـفـ أـنـ أـنـاـ الـربـ الـذـيـ يـدـعـوكـ بـاسـمـكـ - لـقـبـتـكـ وـأـنـتـ لـسـتـ تـعـرـفـيـ وـأـنـاـ الـربـ وـلـيـسـ آـخـرـ لـإـلـهـ سـوـاـيـ، نـطـقـتـكـ وـأـنـتـ لـمـ تـعـرـفـيـ لـكـ يـعـلـمـواـ مـشـرقـ الشـمـسـ وـمـنـ مـغـربـهاـ أـنـ لـيـسـ غـيرـيـ، أـنـاـ الـربـ وـلـيـسـ آـخـرـ» (٤٥: ٦-١).

وفي إرميا :

«أـخـبـرـواـ فـيـ الشـعـوبـ وـأـسـمـعـواـ وـارـفـعـواـ رـاـيـةـ، اـسـعـواـ لـاـ تـخـفـواـ، قـولـواـ أـخـذـتـ بـاـبـلـ، خـزـىـ يـيلـ، اـنـسـحـقـ مـرـودـخـ، خـزـيتـ أـوـثـانـهاـ، اـنـسـحـقتـ أـصـنـامـهاـ، لـأـنـهـ قـدـ طـلـعـتـ عـلـيـهاـ أـمـةـ مـنـ الشـهـالـ هـيـ تـجـعـلـ أـرـضـهاـ خـرـبةـ فـلـاـ يـكـونـ فـيـهاـ سـاـكـنـ، مـنـ اـنـسـانـ إـلـىـ حـيـوانـ هـرـبـواـ وـذـهـبـواـ» (٥٠: ٣-١).

وهكذا :

«لـأـنـ هـاـذـ أـقـظـ وـأـصـعدـ عـلـىـ بـاـبـلـ جـهـورـ شـعـوبـ عـظـيمـةـ مـنـ أـرـضـ

الشمال فيصطفون عليها ، من هناك تؤخذ نبالمم كبطل مهلك لا يرجع فارغا و تكون أرض الكلدانين غنية (٥٠: ١٠-٩) .

«لذلك ها أيام تأتى وأعاقب منحوتات بابل فتخزى كل أرضها وتسقط كل قتلها فى وسطها فتهنف على بابل السموات والأرض وكل ما فيها لأن الناهبين يأتون عليها من الشمال» (٤٧: ٥١-٤٨) .
يقول الرب ، وأعاقب منحوتاتها ويتهدم الجرسى فى كل أرضها — لأنه جاء عليها على بابل المحرب — (٥٢: ٥٦-٥١) .

ومن هذه الآيات السابقة فى كتاب إشعا وإرميا يظهر أن قورش كان لا يعرف الرب وكانت قواته ناهبة مدمرة فهل نظر هذا الموصوف له مؤمنا بالله وبال يوم الآخر ؟
أما الآيات التي جاءت فى إشعا وصفته بال المسيح والراعى أو المطيع المنتصر من الله فانها على سبيل الاستعارة .

ذكر صاحب المقال (Encyclopedia of Ethics 2/556) في المسيح أن هذا اللفظ استعمل لكورش على سبيل الاستعارة ويظهر أنه سيعمل عملاً ما يناسب لصفاته الأخلاقية .

لعل مولانا آزاد ومن تابعه اتفقوا به ولا يسلونه نيا لأن مسيح الله إنما جاء في التوراة لبني فحسب .

ومن المؤرخين ذكر «زينوفن» (Exnophen) تليذ سقراط ويعاصر «كورش» الثاني في حكمته عن قورش انه كان يقدم النذور والقرابين ويستعين من «ماجي» (Magi) وينذر من الاوثان .

و خاصة من يعيده كان زى اس Zeus ، هيلی اس Helios ، «جي» Gi وهستيا Hestia وكان يعبد الاصنام والملائكة وكان له آلة وكان يعبد الشخصيات المقدسة التي تعبد في اسirيا ، في الشام ، وفي مادا - وفارس .

فهذه تدل على عبادته بالظاهر .
وكتب «هيردوس» واسترا ابو ، أن أهل ايران عامرة يعبدون الشمس
والقمر والأرض والماء والهواء والسماء ويقولونها زى اس .
وهذا اليان لا يشير إلى ديانته المعينة ولكنه إن قرأ في ضوء ما ذكر
زينوف وما اعترف قورش الذي سياق نصه تعين به ديانة قورش .
وهذا الاعتراف من قورش الذي اشرنا إليه هو في فرمان له كتب
على لوح مدور من طين ويخزن في المتحف البريطاني .
وكتب صاحب المقال (Chamber's Encyclopedia 3/646) أن
هذا المكتوب يوضح ايضاً بشرك قورش وعبادته للآصنام .
لأنه فيه يقول : ان ما أتى به «نبونيدس» ملك بابل في بابل من الآصنام
رجعتها الى المعابد ودعوت منها أن يشفعوا لي ولابني كيقباد بين يدي
نيبو (Nebo) الاله والاله المقدس مرودخ .
وهذا المكتوب نقل إلى الفارسية ونشر في الجرائد والمجلات بمناسبة
عيد الوطن لإيران بمرور ألفين وخمسماة سنة .

ففيه :

«أنا قورش ، الامر على العالم ، الملك المقدس ، الحاكم المقتدر ، ملك بابل
ملك أرض سومر وأكاد ملك نواحي العالم ابن كبوجيء..... الخ .
وفي الفرمان نفسه نقل الجمل الآتيه التي لا يمكن أن يصدرها مؤمن
باليه والشاهد على توحيدته وهي محلة النظر للقارى .

ففيه :

- ١ - ان «بعل» و «نبو» كانا يصادقان حكومته ويرضيان بقائهما
ويسران بها .
- ٢ - الا له الاكبز مرودخ قد ألقى في قلوب أهل بابل سخطه من قورش

وكانوا يتمنون لقاءه .

٣- أعبد أنا قورش «مرودخ» .

٤- رضي إله الآلهة مرودخ بكورش وبارك له الذي كان يعبده وبارك ولده ولجيشه .

٥- أؤمن بالمكانة العليا من الالوهية لمن أعبده وهو مرودخ وأعترفه اعترافاً وكانت الاصنام الكثيرة قد أخذها ملك بابل ووضعها في بابل فقضب به الآلهة الأكبر مرودخ . فارسلتها أنا قورش في المعابد كما يريد الآله مرودخ..... الخ .
وفيـ :

أن قورش كان يتوقع أنهم يشفعون لقاءه بين يدي الآلهة «بعل» و«نبو» ويسألون مرودخ أن يطيل عمره وعمر ابنه كيقاد....

وهذا بعل ، ونبو ، ومرودخ ، كانوا معبدين لأهل بابل^١ . وكان أكبرهم مرودخ ففي البداية كان معبوداً لأهل بابل فحسب . ثم اختير معبوداً في المملكة كلها وجعلت له صلاحيات نبو وبعل ولذلك ذكر بالآله المقدس في الفرمان الذي نقل .

الخامس:

أما التمثال الذي وجد في «اصطخر» فيدعم «رانسن» أنه لسرورش ونقل «كربورتر» Kerporter نقا عن Heron انه روح فوق البشرية^٢ .
وادعى صاحب المقال Encyclopedia of Religion and Eithic انه لكورش لما كتب على لوحة :

(١) راجع ايم. اے. كېي 237/234/56 Encyclopedia of Religion 18 to 21 (1899). Encyclopedia Britanica، Religion and Mythology.

(٢) قديم نقش ايران ۱۶۷

«ها أنا قورش من اسرة «هخامنشي» واختاره مولانا آزاد ووافقه ودليله أن القرنيين البارزين فيه والجناحين كذلك توافق ما ذكر في رؤيا دانياال عن الكبش والعذاب.

ولكن على حد قول الاستاذ إسحاق النبي العلوى الذى له نظرية عبقة على علم الآثار وخاصة لآثار مصر وبابل وايران. لم يوجد في العهد القديم لبشر تمثيل ذات اجنحة سواء كان هوملكا أو مرشدًا دينيا، وهكذا أنا لم أطلع على تمثال ذى أجنحة كهذا إلا لمرودخ الذى كان معبدًا لكورش.

ففي رأي ليكون هذا التمثال الاصطخرى لمرودخ ولا غير.

نظرة على ديانة دارا:

وفي الأخير لنا أن تتحدث شيئاً عما يتدبر دارا الأول. فيرى محمد على اللاهوري والميرزا بشير الدين أن مصداق ذى القرنين هو دارا الأول ويقولانه موحدا ولا يقبله مولانا آزاد والاستاذ حفظ الرحمن إلا أنها يوافقانها في كونه موحدا والدليل لهم أنه يذكر «اهور مزده» الإله الواحد في الفرمانين كلها.

ولو يستعرض فيها لا ينافي هذا لشركة بالله فيمكن أن يكون عابدا للآلهة الأخرى أيضا.

فإنه يصف «اهور مزده» «الله الأكبر» في فرمان له وفي الفرمانين الأخرى قاله الله الأكبر في الآلة^١.

وأهم هذه الكتب هي الكتبة المصرية الواضحة ولقتبس منها: (دارا) ابن نيت (Neet) لما كان في بطن أمه لم يظهر على الأرض بتنه نيت (Neet).

وأخذته بمناجها الذى كان فيه قوس لأن تهلك أعدائه إلى الأبد كما كانت فعلت لابنها را، Ra — وهو ابنها القوى العاقل.

هذا الأمر ليس فيه رأيان ان نيت (Neet) كانت الهمة الحرب عند المصريين وابنها كان إله الشمس ودارا يقول له ابنا نيت (Neet) ومعينا له بازاء الاعداء أليس هذا بشرك عظيم؟ وهل تصدق على دارا ، صفات ذى القرنين التي وصفها القرآن موحد؟

وكان أرى ، هذا التضاد لا يمكن قبوله عند أحد.

ويتبين هذا البحث أن قورش و دارا والاسكدر ليسوا من توافق عليهم حلة ذى القرنين فن الواجب علينا أن لا نكتفى بهذا ولا نزال نحاول لكشف عنه والبحث عن تحقيقه ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

امتياز على عرشى

تعريب : سليمان الشمسي الندوى

المفضليات صاحبها الأصلي

تقدّمُ هذَا العاجزُ الكلامَ على «المفضليات» فِي مؤتمرٍ مُسْتَشْرِقِيَّ المَهْدَى
بِيتَهُ . وَمَغْزَاهُ التَّبَيِّهُ علَى سَقْطَيْنِ لِلْفَضْلِ لِنَفْسِهِ وَلِأَبِي عَيْدَةَ كَمَا كَنْتُ أَمْعَتُ
بِهِ فِي تَكْتِيَّ علَى «خَزَانَةِ الْأَدْبِ» ، وَجَرِيَ ذِكْرُهُ فِي طَرَةٍ «شَرْحُ الْمُخْتَارِ مِنْ
أَشْعَارِ بَشَارٍ» .

وَخَلَاصَتْهُ أَنَّ الصَّوابَ :

(لِأَبِي السَّفَاحِ بَكِيرِ بْنِ مَعْدَانٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنِ مَبْشِرٍ)

لَا : (لِلْسَّفَاحِ بْنِ بَكِيرٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنِ مَيسِرَةَ)

كَمَا قَدْ زَعَماً اسْتَادَاهُ إِلَى مَا جَاءَ فِي «الْمَوْفَقِيَّاتِ» لِلزَّبِيرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ
(وَصَاحِبِ الْبَيْتِ أَدْرِي بِمَا فِيهِ) ، وَ«أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ» لِلْبَلَادِرِيِّ ،
وَ«مَقْطَعَاتِ مَرَاثِ» عَنْ أَبِي الْأَعْرَابِيِّ ، وَإِلَى بَيْتِ لَجْرِيرِ رَثِيِّ فِيهِ أَبِي مَبْشِرٍ
هَذَا .

* * *

وَفِي هَذَا الْمَقَالِ أُرِيدُ الْبَحْثَ عَنْ مُخْتَارِ هَذِهِ الْقَصَائِدِ . وَأَقْدَمْتُ مَا بَلَغْنَا فِي
ذَلِكَ رِوَايَةَ أَبِي عَلِيِّ الْقَالِيِّ وَنَصِّهِ مَقْتَضِيَّاً : وَذَكَرْتُ أَبُو عَكْرَمَةَ أَنَّ الْمَفْضُلَ

(١) عَبْدُ الْقَادِرِ الْبَغْدَادِيُّ : خَزَانَةُ الْأَدْبِ (١ : ٢٦٤) طِبْعَةُ السَّلْفَيَّةِ الْقَاهِرَةِ ، ١٣٤٨

(٢) النَّجِيِّيُّ : شَرْحُ الْمُخْتَارِ مِنْ أَشْعَارِ بَشَارٍ ١٩٠ (تَحْقِيقُ السَّيِّدِ بَدْرِ الدِّينِ الْعَلَوِيِّ ، الْقَاهِرَةُ ، ١٩٣٤)

(٣) الْمَفْضُلِيَّاتُ مَعَ الشَّرْحِ : ٦٣٠ ، (أُوكْسْفُورْدُ ، ١٩٢١)

(٤) الْبَلَادِرِيُّ : أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ (٥ : ٣٤٩)

(٥) الْقَالِيُّ : كِتَابُ الْأَمَالِ : (٢ : ١٣٠) (الْقَاهِرَةُ ، ١٩٢٦) وَانْظُرْ لِكَلَامِ الْعَاجِزِ عَلَيْهِ سَطْحُ الْلَّآلِ : ٦١

أخرج منها ثمانين قصيدة (وثلاثين في «شرح المرزوقي»، تصحيف ليس إلا): للهدي وقرئت بعد على الأصمى فصارت ١٢٠، ثم ذكر ما معناه أن أصحاب الأصمى زادوا فيها فكثرت جداً. قلت توجد في هذه الطبعة ١٢٦ كلاماً زيدت عليها ٤، والموجود في طبعة «الأصميات»، وهي عن نسخة^١ كوبر ولو زاده ٧٧ كلمة، وزيادات الجزء الثاني من «الاختيارين» ٧٢ كلمة، وزيادة نسخة دار التحف البريطانية لكتاب فتم المطبوع المعروف من «الاختيارين» ٢٨١ كلمة. ولو أسعدنا الحظ بالجزء الأول من «الاختيارين» لقبضنا أيدينا على نحو ٣٥٠ كلمة. زد إلى ذلك مالا يوجد في جميعها من أبيات رواوها عن «الأصميات» ولكن خلت عنها هذه الطبعات بأسرها كما قد دلت^٢ عليه في «ذيل اللآل» وكما قد أشار إليه صديق الأستاذ معظم حسين في مقدمة «الاختيارين».

وهناك روایات مختلفة في عدد قصائد «المفضليات»؛ في شرح التبريزى الذى رأيت منه باستبول ومصر عدة نسخ أنها ١٢٤ وينتها النديم ص ٦٨ إلى ١٢٨ وقال وقد تزيد وتفقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه والصحيحة التى رواها ابن الأعرا比. والذى يتخلص من كل هذه الأقوال المضاربة بعد عرضها على محك النقد أن جملة اختيار إبراهيم وهى السبعون التى صدر بها المفضل اختياره ثم ما زاده إليها توجد في روایات الأنبارى والمرزوقي والتبريزى تامة كاملة بمجموعة. وهذا بخلاف نسخ «الأصميات» فلا يوجد فيها بجموع اختيار الأصمى بل أدرج فيها اختياره

(١) نقلت عنها نسخة فىنا ونسخة الشنقطلى بدار الكتب المصرية. وorum الصديق الفاضل أحد محمد شاكر فى مقدمة طبعة الحديثة للفضليات من جهة عدم وقوفه على أصل كوبر ولو.

(٢) مقدمة كتاب الاختيارين: ٣٠

واختيار رواة من أصحابه وغيرهم من لم يثبتوا أسماءهم ولا أفرزوا زيادتهم.

* * *

هذا وقد سقطت في نسبة اختيار المفضل إليه على رواية يرويها أربعة من علماء الشيعة اثنان منهم متقدمان لم يتبع لها فيما أظن أحد أحبيت عرضها في سوقكم ليجري في نصابه ويحوز الشيفي من هو أولى به :

روى أبو الفرج في «مقاتل الطالبين»^١ في خبر مقتل إبراهيم الإمام ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وكان رحمه الله خرج على المنصور بعد أخيه النفس الذكية بياخرى قتله وذلك سنة ١٤٥هـ : «أنه نزل على المفضل الضبي في وقت استثاره قال وكان المفضل زيديا فقال له إبراهيم اتنى بشئ من كتبك أنظر فيه فإن صدرى يضيق إذا خرجم [وكان يخرج إلى ضيعة له]. فأناه بشئ من أشعار العرب. فاختار منها قصائد كتبها مفردة في كتاب. قال المفضل فلما قتل إبراهيم أظهرتها فنسبها الناس إلى. وهي القصائد التي تسمى اختيار المفضل السبعين قصيدة ثم زدت بها وجعلتها تمة مائة وعشرين». وهذا يحذب إلى تزييف مزعم الصديق^٢ أن الباق من ١٢٠ كلامة بعد الشهرين التي هي اختيار المفضل من اختيار الأصمعي. ومثله رواية أخرى فيه^٣ ونقلها ابن أبي الحديد أيضاً^٤.

(١) أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين : ١١٩ (ليران ، ١٣٠٧) ; ٣٧٣ طبعة أحد صقر (القاهرة ، ١٩٤٩).

(٢) معلم حسين : مقدمة الاختيارين : ١٣

(٣) مقاتل الطالبين : ١٣١ (ليران ، ١٣٠٧) ; ٣٣٩ طبعة أحد صقر (القاهرة ، ١٩٤٩)

(٤) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة (١: ٣٢٤)

ونقل السيوطي في «المزهر»^١ عن «فوائد النجيرمي»^٢، بخته قال العباس بن بكار الضبي قلت للفضل: «ما أحسن اختيارك للأشعار فلو زدتنا من اختيارك!» فقال والله ما هذا الاختيار لي ولكن إبراهيم بن عبد الله استر عندي الح». وفيه أن إبراهيم كان أعلم على الأشعار ولم يذكر أنه كتبها مفردة.

وروى هذا الخبر ابن المها النسني المتوفى سنة ٨٢٨هـ في «عدة الطالب»^٣ بعض اختلاف وفيه: «أنه أعلم على ثمانين قصيدة فلما قتل أخرجها المفضل وقرئت بعد على الأصمي فزاد فيها».

وغرضي هنا من كل ما سرده عليكم أنه إذا كانت المفضليات «مفضليات» والأصميات «أصميات» مع ما زيد فيها وأضيف إليها بقلم رواة عرفوا أو لم يعرفوا فلما ذا لا نزعو «المفضليات» إلى مختارها الأول فنقول:

«الأبراهيميات اختيار إبراهيم الإمام وصنعة» المفضل أو القصائد المختارة اختيار الح».

(١) السيوطي: المزهر: ٢: ١٦٥ طبع ١٢٨٢

(٢) هنا نجيرميان أبو اسحاق إبراهيم صاحب «أيمان العرب» ترجم له في «معجم الأدباء» و«البنية»: ١٨١ وتلخيص تلخيصه أبو يعقوب يوسف (البنية: ٤٢٥) ولهما في إثبات الرواية للقفظي. وانظر إليها صاحب «الفوائد» ولهم الأول.

(٣) ابن المها: عددة الطالب: ٨٥ (بومباني، ١٣١٨)

(٤) لعلم أن المفضل كان تكلم على الآيات كما نقل الأنباري عنه في غير ما ووضع وكذا قد نبهنا عليه في «إنقلب الخزانة».

ولا ثبت اسم المفضل الذي زاد فيها كما لم ثبت أسماء آخرين من زادوا فيها أو في «الأصنعيات» ودرجوا جنوحًا إلى الإنصاف وتخلصوا لذكرى هذا الإمام الجليل قتيل باخمرى رضى الله عنه. والله أعلم.

ثم إنني وجدت الخبر في نسخة «إنباء الرواية» للقططى عن العباس بن بكار الصبى بعد خمسة أعوام.

عبد العزيز الميمنى

كراتشى

* [القططى: إنباء الرواية على أنباء النهاة (٣٠٤ : ٣) تحقيق أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٩٥٥)]

الثعالبي: حياته وآثاره

لا نعرف عن أبي منصور إلا أنه أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، وأن هذه النسبة ترجع إلى خيطة جلودها وعملها. أو قيل ذلك لأنه كان فراء وأنه قضى معظمها من عمره في مدارسة الآداب والعلوم. ولم يختلف إثنان في عام ولادته، وأنه ولد سنة ٤٣٥ هـ في نيسابور، واختلفوا في عام وفاته، فقال أكثرهم أنه توفي عام ٤٩٢ هـ في نيسابور.

هذا هو كل ما نعرفه من سيرة عبقرى من عباقرة العلوم والآداب وفذة من أفرادها. ولم نقف في المصادر التي بين أيدينا على ما ينفيانا عن التقى عن أيام صباه وكيفية تعلمه وأساتذته ومشائخه في علومه وفنونه وصلاته بالملوك والأمراء والرؤساء ومعاصريه من الكتاب والشعراء والعلماء. والمصادر برمتها خالية عن البحث عن هذا الجانب، حتى أن أبي الحسين البخارزى، الذى كان أبوه وأبو منصور «لصيق دار وقربى جوار» ولم يزل أبو منصور به روفاً وعليه حانيا حتى ظنه أبي ثانياً، ضن عن ترجمته أشد الضنة ولم يذكر شيئاً، يغنى للتعريف بأبي منصور. ولما سكت البخارزى، سكت المؤرخون بعده. فلم يبق لنا سبيل إلا أن نعرف الحديث العام من حياته، بوسائل الكتب التي صنفها وبمقدماته التي قدمها بها.

ويستبط مما كتب وصف أنه كان عبقرياً من عباقرة حملة الآداب، وأحد نوابع شعراء العصر العباسي والمقدم بين كتابه، والغالب عليه العذوبة والانسجام. وتأتى المعانى البدعة والمحسنات اللغظية في طريقة إلى الفاظ سهلة، وأسلوب حسن، وسبك مرغوب فيه. واتصل بالملوك والوزراء والأمراء والرؤساء، تستفيد من صلاتهم. وصادق رجال العلم والأدب، يأخذ منهم

وأجرت بينه وبينهم مكتبات ومراسلات. إلى أن تصلع في العلوم والآداب وبلغ فيها الغاية القصوى والمكان الرفيع.

وبوْخذن من كتبه أيضاً أنه سجل الكثير من غرر الشعراء ودرر الأدباء، ملوكهم وزرائهم وقضائهم، ذوى الجد منهم والمجون، من بلاد الحجاز والتجدد والشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها، إلا أنه «تناول في مصنفاته مؤلفات أسلافه في غير بصر أو روية».^١

ويستبط منها أيضاً أنه كان يؤلف كتبه برسم الأمراء والرؤساء والملوك وبهديها إلى خزائنهما، فصنع «آداب الملك» و«الكتابية والتعریض» و«الملوک» لـأبي مأمون خوارزم شاه وأهدى «ثمار القلوب» و«فقه اللغة» و«سحر البلاغة» للأمير أبي الفضل الميكالي وألف كتاب «خاص الخاص» لمسافر ابن الحسن و«لطائف المعارف» للصاحب بن عباد، وقدم «التمثيل والمحاضرة» إلى الأمير قابوس بن وشمكير و«المتشابه» إلى الأمير نصر بن ناصر الدين، وقدم إلى وزيره أبي عبد الله الحمدوني «تحفة الوزراء» ولعلنا نجد في سيرته هذا عذراً له عما اعتبره عليه بروكليان بأنه «كثيراً ما كان ينقل في إحداها ما قال في الأخرى».^٢

وقد اتبع أبو منصور من أئمة الأدب كالخليل بن أحمد الفراهيدي (م: ١٧٠هـ) والأصمي (م: ٢١٦هـ) وأبي عمرو بن العلام (م: ١٥٤هـ) وعلى بن حمزة الكسائي (م: ١٩٠هـ) والفراء (م: ٢٠٧هـ) وأبي زيد الانصارى (م: ٢١٥هـ) وأبي عبيدة (م: ٢٠٩هـ) وابن الأعرابى (م: ٢٣١هـ) والنضر بن شميل (م: ٢٠٣هـ) والمبred (م: ٢٨٦هـ) وأبي العباس الضبي (م: ١٦٨هـ) وابن دريد (م: ٣٢١هـ) ونقطويه (م: ٣٢٣هـ) وابن خالويه (م: ٣٧٠هـ) وأبي منصور الأزهري (م: ٣٧٠هـ)

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة «التعالى»

(٢) نفس المصدر

كما أخذ من سواهم من ظرفاء الأدباء كالصاحب بن عباد (م: ٥٣٨٥) وحمزة بن الحسن الاصبهاني (م: ٥٣٧١) وأبي الفتح المراغي (م: ٥٣٧١) وأبي بكر الخوارزمي (م: ٥٣٨٣) والقاضي الجرجانى (م: ٥٣٩٢) وأبي الحسن ابن فارس القزويني (م: ٥٣٩٥)^١

كان أبو منصور يعيش في نيسابور، وكانت له ضيعة على بعد منه، فإذا أراد الخلوة للتأليف رحل إليها^٢.

صلته الخاصة بالأمير أبي الفضل الميكالى:

وأبو منصور، وإن كان كريماً المنزلة عند السلاطين والأمراء والوزراء، إلا أنه كان مشغوفاً بحب الأمير أبي الفضل الميكالى، والأمير أيضاً يقدره ويحمله ويرعى فيه حرمة الأدب، ولم يتركه في الحضر والسفر.

وما أتاح الأمير أبوالفضل الميكالى لأبي منصور أن يدخل مكتبه، فحسب، بل كان يزوده بكتبه القيمة في سفره أيضاً:

«فاستأذته للخروج إلى ضيعة لي، متاهية الاختلال بعيدة المزار، والجع فيها بين الخلوة للتأليف وبين الاستعمال، فاذت، أدام الله غبطته، لي على كره منه لفرقتي، وأمر، أعلى الله أمره، بتزويدى من ثمار خزان كتبه، عمرها الله بطول عمره، ما استظرر به على ما أنا بصدده»^٣.

وبالتالى، فقد أورد أبو منصور أيضاً أخباره ورسائله وشعره بالفصيل الذى لم يورد به لأحد من الأمراء، ومدحه مدحأ، لم يمدح بمثله أحداً من الرؤساء: «وما عسىت أن أقول في من جمع أطراف الحسان، ونظم أشنات الفضائل، وأخذ برقب الحامد، واستوى على غيات المناقب: فان ذكر كرم المنصب،

(١) راجع مقدمة فقه اللغة: ٦ (طبعة باريس)

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

وشرف المنتسب ، كانت شجرة الميكالية في قراره المجد والعلاء (أصلها ثابت وفرعها في السماء) وان وصف حسن الصورة الذي هو أول السعادة وعنوان الخير ، وسمة الزيادة ، كان في وجهه المقبول الصريح ، ما يستنطق الافواه بالتسبيح ، لاسيما إذا ترقق ماء البشر في غرته ، وتفتق نور السرو بين أسرته ، وإن مدح حسن الخلق ، فله أخلاق خلقن من الكرم المحسن ، وشيم شام عنها بارقة الجد . فلو مزج البحر بها لعذب طعمه ، ولو استعارها الزمان ، لما جاء على أحد حكمه ، وإن أجري حديث بعد الهمة ضربنا به المثل ، وتمثلنا همته على هامة زحل ، وإن نعت الفكر العميق والرأى الزيني ، فله منها فلك يحيط بجموع الصواب ، ويدور بكواكب السداد ، ومرآة تريه وداع القلوب ، وتكشف له عن اسرار الغيوب ، وإن حدث عن التواضع ، كان أولى بقول البحتري من قال فيه :

دنوت تواضعاً وعلوت مجدآ فشاناك انخفاض وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامي ويدنو الضوء منها والشعاع
فاما سائر آلات الفضل ، وأدوات الخير ، وخصال المجد ، فقد قسم الله له منها ما ييارى الشمس ظهورا ، وبخارى القطر وفورا ، وأما فنون الآداب ، فهو ابن بجدتها ، وأخوه جملتها وأبو عذرتها ومالك ازمتها^١ .
إني ما أنكرت طرفاً من أخلاقه ، ولم أشamed إلا مجدآ وشرفآ من أحواله وما رأيته اغتاب غايبياً أو سب حاضراً ، أو حرم سائلاً ، أو خيب آمالاً ، أو أطاع سلطان الغضب والمرد ، أو تصلى بنار الضجر في السفر أو بطش بطش المتجر ، وما وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه ، ولا المآثر إلا ما يتخطاه^٢ .
ويذكر سنى جوازه ووافر عطياته ، فيقول :

(١) مقدمة فقه اللغة : ٢

(٢) نفس المصدر : ٤

«هذا ولو أعارتني خطباء أيادٍ أسلتها ، وكتاب العراق أيدِيهَا ، في وصف أياديَه التي اتصلت عندي كاتصال السعوض ، وانتظمت لدى في حالي حضوري وغيبي كانتظام العقود ، فقلت في ذكرها طالباً أمد الاصهاب ، وكتبت في شكرها ماداً أطناب الإطناب لما كنت بعد الاجتهد إلا مائلاً في جنب القصور ، متأخراً عن الغرض المقصود».

إختلال أحواله ونكبة أيامه :

كان أبو منصور كما ذكرنا آنفًا يعيش عيش الترف في كف الرؤساء والأمراء ولكن الأيام لا تبق على حال دون حال ، وإن «الزمان صروف تحول وأحوال تحول»^١ فهو الدهر بعد ما وهبه وأغاره بعد ما أغاره .

ثلاث قد منيت بها فأضحت	لunar القلب مني كالآثار في
ديون أنقضت ظهري وجور	من الجيران شاب له غداف
وقدان الكفاف وأى عيش	لم يعنى بفقدان الكفاف ^٢

حتى :

يزين جليله المعنى الدقيق	تراني لست أحسن نظم لنظم
إذا ما قيل : قد فنى الدقيق ^٣	ولكن لاترق بنات فكري

وتبدل لاليه التي يصفها :

وكذاك في التشبيه مخبرها	يا ليلة كالمسك منظرها
والشمس إنهاها وآمرها	أحييتها والبدر يخدموني

بالليالي التي شأنها :

أقاسي فيه أنواع العذاب	وليل بته رهن الكتاب
------------------------	---------------------

(١) خاص الخاص : ٣٧

(٢) برد الأكباد : ١٢٤

(٣) خاص الخاص : ٩٤٠

إذا شرب البعض دمى وغنى فلبلرغوث رقص في ثيابي

وأضحى الدهر يعذبه وينكله حتى ضج وعول :

«أقول والقلب مكدوود بأحزان والصبر أبعد مما بين أجفاني
حتى متى أنا يدمي العض أتملى غيظاً على زمن قد رام أزماني
في كل يوم أرافق في نوابئه كأني أصبعي والدهر أنساني^١
وفاته :

توفي أبو منصور بنисابور سنة ٥٤٢٩ هـ كا ذكر المؤرخون الذين كانوا
أسبق إلى عصر الثعالبي ، ورثاه أبو سعد بن دوست :
كان أبو منصور الثعالبي أشرع في الأدب من ثعلب
ليت الردى قدمي قبله لكنه أروع من ثعلب
يطعن في شاعر من الناس بالموت كطعن الرمح بالثعلب
رأى الأدباء والمؤرخين في أبي منصور :

يمدحه أبو الحسن البخاري المتوفى سنة ٥٤٦٧ : «هو جاحظ نيسابور
وزبدة الأحباب والدهور . لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ،
وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، أو يستر وهو الشمس لا تخفي
بكل مكان»^٢ .

ويقول أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخصري ، المتوفى سنة ٥٤٥٣ هـ :
«أبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا . وهو فريد عصره وقريع دهره ونسيج
وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب» .
ويصفه أبو الفتح البستي ، الكاتب الشهير ، المتوفى سنة ٥٤٠٠ هـ :

(١) خاص الخاص : ٦٤٦

(٢) دمية القصر ١٨٣

(٣) زهر الآداب ١٩٨/١

أَخْ لِي زَكِيُّ الْفَرْعَ وَالْأَصْلُ وَالظَّبْعُ
يَحْلُّ مَحْلَ الْعَيْنِ مِنِي وَالسَّمْعُ
تَمْسَكْتُ مِنْهُ إِذْ بَلَوْتُ إِخْرَاهَ
عَلَى حَالِي رَفْعَ النَّوَائِبِ وَالوَضْعُ
بِأَوْعَظِ مِنْ عَقْلِي وَآتَسْ مِنْهُ هُوَ
وَأَوْفَقَ مِنْ طَبِيعَ وَأَنْفَعَ مِنْ شَرِعَ
وَيَمْدُحُهُ الْأَمِيرُ مَسَاوِرُ بْنُ الْحَسَنِ :
يَا مَنْ يَحْلُّ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْعَلَى
وَمِنْ أَغْتَدَى رَبِيعَ الْفَضَائِلِ مُشْرِقاً
بِمَكَانِهِ وَخَلَا مِنَ الْإِظْلَامِ
لِلْبَلْغَاءِ كَالْأَعْيَادِ فِي الْأَيَامِ
مَهْلَلاً فَإِنِّي قَاصِرٌ عَمَّا مَضَى . بِالذَّكْرِ دُونَ الْفَعْلِ غَيْرِ مَسَامَ^(١)
وَيَخَاطِبُهُ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ : الْمَتَوْفِيُّ سَنَةُ ٤٣٦هـ «بِمَوْلَانِي وَسَيِّدِي»
ثُمَّ يَمْدُحُهُ بِقَوْلِهِ :

«فَحَسِبَتِ الْأَفْاظُهُ دَرِ السَّحَابِ، أَوْ أَصْنَفَ «قَطْرَأً وَدِيمَةً» وَمَعَانِيهِ دَرِ
السَّحَابِ بِلَ أَوْفَ قَدْرًا وَقِيمَةً، وَتَأْمَلُتِ الْأَيَاتُ فَوْجَدَتِهَا فَائِقَةُ النَّظَمِ وَالرَّصْفِ
عَبْقَةُ النَّسِيمِ وَالْعَرْفِ، فَأَنْزَلَتِ بِقَدَاحِ الْحَسَنِ وَالظَّرْفِ، مَالِكَ لِزَمامِ الْقَلْبِ
الظَّرْفِ، وَلَا غَرَوْ أَنْ يَصُدُّرَ مِثْلَهَا مِنْ ذَلِكَ الْخَاطَرِ، وَهُوَ هَدْفُ الْفَقْرِ
وَالنَّوَادِرِ وَصَدْفُ الدَّرَرِ وَالْجَوَاهِرِ».

وَكَانَ أَبُو مُنْصُورُ، رَفِيعُ الْمَكَانِ عِنْدَ مُعاصرِيهِ، وَمِنَ الْأَدَبِاءِ وَالشَّعْرَاءِ
وَالْأُمَرَاءِ، فَأَفَقَ بِفَضْلِهِ وَعُلُوِّ شَانِهِ مِنْ أَنْوَاعِهِ مِنَ الْأَدَبِاءِ وَالْمُؤْرِخِينَ.

يَقُولُ ابْنُ الْأَنْبَارِيُّ الْمَتَوْفِيُّ سَنَةُ ٥٧٧هـ : «وَأَمَّا أَبُو مُنْصُورِ عَبْدِ الْمَالِكِ بْنِ
مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّعَالِبِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ أَدِيَّاً، فَاضْلَالاً، فَصِيحَاً، بَلِيغاً، أَخْذَ عَنْ
أَبِي بَكْرِ الْخَوَارِزْمِيِّ».

يَقُولُ ابْنُ خَلْكَانَ الْمَتَوْفِيُّ سَنَةُ ٦٨١هـ : قَالَ ابْنُ بَسَامَ صَاحِبُ «الذِخِيرَةِ» فِي
حَقِّهِ : «رَاعِي قَلْعَاتِ الْعِلْمِ . جَامِعُ أَشْتَاتِ النَّظَمِ وَالنَّثَرِ . رَأْسُ الْمُؤْلِفِينَ فِي

(١) خاصُ الْخَاصِ : ٦١٤

زمانه ، إمام المصنفين بحكم قرائه ، سار ذكره سير المثل . وضررت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب . طلوع النجم في العياب . تواليه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر راو لها وجامع ، من أن يستوفيها حد أو وصف أو يوف حقوقها نظم أو رصف^١ .

يقول عنه ابن كثير المتوفى سنة ٥٧٧٤ :

«وكان إماماً في اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له التصانيف الكثيرة في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة»^٢

ويعتبره جرجي زيدان خاتمة متسللي هذا العصر (العصر العباسي الثالث) وأهم أدبائه . ونعم الخاتمة لأنه أكثرهم آثاراً وأوسعهم مادة ، وهو الذي ترجمهم وذكر أخبارهم وأقوالهم^٣ .

موضوعه :

صنف أبو منصور في موضوعات شتى مثل تاريخ الملوك والأدباء ، واللغة ، والنقد ، كذلك كان صاحب ديوان الشعر إلا ان موضوعه في أكثر تأليفه : المحاضرات وهي علم من علوم الأدب ، تحصل به الملكة على إيراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائتها : الاحتراز من الخطأ في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الأصلية^٤ . وهو من الفنون الأجنبية التي أخذها العرب في جملة ما أخذوه عن الأعجمان في خلاقة المنصور العباسي على يد عبد الله بن المفعع ، عند ما ترجم «كليلة ودمنة» من الفارسية إلى العربية . فكانت ترجمته هذه أساساً لهذا الفن . لكنه لم ينضج

(١) وفيات الأعيان ٣٥٠:٣

(٢) البداية والنهاية ٤٤:١٢

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٢٨٧:٢

(٤) نفس المصدر ٢٩٢:٢

إلا في العصر الثالث من الدولة العباسية^١ ، هذا ما قاله جرجي زيدان عنه ، والحقيقة أنه كما صرخ به الدكتور شوقي ضيف : إنما فن المحاضرات عند العرب منذ القرن الأول للهجرة ، عند الحسن البصري وأضرابه ، إذ كان يخصبون في الناس هذه الخطابة الجالسة أو هذه المحاضرات ، إذ يجلس الخطيب أو المحاضر وحوله تلاميذه ، يكتبون ما يلقى عليهم ، واتسع ذلك في فروع الدراسات الإسلامية في التاريخ والحديث النبوى والتفسير والفقه واللغة والشعر ، ووصلت إلينا مصنفات كثيرة في هذا الميدان مثل مجالس ثعلب وأمالى القالى والكامل للبرد وهلم جرا^٢ .

وقد صفت في هذا الموضوع ، قدماً وحديثاً ، كتب لا يمكن استقصائه ، وأشهرها : المحاضرات والمناظرات لأبي حيان التوحيدى ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى ، وأمالى الشريف المرتضى ، والكامل للبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى .

والحق أن بعض تصانيفه في المحاضرات – لو لا الكل – من تراثنا الأدبي الرائع ، ولا ريب أن هذا البعض من أنفس الكتب التي ألفت في المحاضرات . أودعه أبو منصور من الطرف والتوادر والملح والأفاكيه والأمثال والحكم والتوقعات والقصول . و«عيون الغرر وفصول السكتب» ، ما يكاد يخرج من حد الإعجاب إلى حد الإعجاز ويطرأ بلا سماع ويسكر بلا شراب^٣ ما جعله «وعاء مليء علينا ، وظرفا حشى ظرفا ، وبستاننا يحمل في كم ،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٢٨٧

(٢) نفس المصدر : ٢٩٣:٢

(٣) راجع خاص الخاص ، مقدمته .

وروضة تقلب في حجر^١.

ومع ذلك ، فبعض ناحية الغزل والهجاء والاخوانيات ، تكاد تستنزف مادة كتبها ، فقد أورد أبياتاً وفصولاً^٢ في غاية الفحش لفظاً ومعناً . ولا أريد أن أشارك أبا منصور في هذا بايرادها على سبيل المثال في هذا المقام ، ولعل أبا منصور شعر بما عسى أن يقوله عنه الناس ، فاعتذر عند ترجمته لابن الحاجاج : «ولو لا أن جد الأدب جد ، وهزله هزل ، كما قال ابراهيم بن المهدى لصنف كتابي هذا ، عن كثير من كلام يمده يد المجنون ، فيعرك أذن الحرم ، ويفتح جواب السخف ، فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تفكه الفضلاء بثار شعره ، وتستملح الكباراء يبنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحمل المحتشمون فرط رفته وقدعه»^٣ ، اعتذر عن الإتيان بالمجون والفحش في مؤلفاته ، وهذا كان مقبولاً^٤ ، لو لم يخلط نفسه جده بالفحش والمجون .

وعلى أى حال ، فإننا لا نلوم أبا منصور لإتيانه بالمجون والفحش في تأليفه ، بل نلوم ذلك البيئة التي انقلب فيها المقاييس رأساً على عقب ، فما كان معروفاً ، صار منكراً ، وما كان منكراً ، أصبح معروفاً ، حتى أن القصاص والمنذكرين والتصوفين والفقهاء والعلماء والقضاة ، إلا ما شاء الله ، كانوا يسابقون إلى اكتساب السينات وارتكاب المنكرات واحتقار الدين ، بل كانوا يعلنون بفسقهم وبجاهرون بسوء سريرتهم ، ولو كنا من يؤمن بالتتساخ ، لقلنا أن أرواح فساق الجاهلية تقمصت في فساق ذلك العصر العباسي . فالحقيقة أن هذا المجون والفحش ، يمثل لنا الحياة الاجتماعية في هذا العصر الذى كان الشعالي يعيش فيها .

(١) مأخوذة من كلام المحافظ في تعريف الكتاب ، راجع ص: ١٦

(٢) بيبة الدهر ٣: ٣٠

تصانيفه :

كان أبو منصور كثير النايلف والتصانيف، إلا أنها على كثرتها قصار خفيفة، وليس له من الكتب الكبار إلا «يتيمة الدهر». وقد استعملنا في سرد كتبه، ما عدا تصانيف المؤلف، والمصادر الآتية:

دائرة المعارف الإسلامية، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، حاجي خليفة: كشف الظنون، الخوانساري: روضات الجنات، الزركلى: الأعلام، البغدادى: هدية العارفين، فهرست ميكرو فيلم های کتابخانه دانشگاه، طهران.

وعلاوة على هذا، فقد استفدنا أيضاً عن الفهارس التي صنعتها الأساتذان: الأياري والصيري عن الصدفى في مقدمة «لطائف المعارف»، والأستاذ الحلو عن ابن شاكر وابن قاضى شهبة في مقدمة «التمثيل والمحاضرة». وقد قسمناها على ثلاثة أقسام.

١ - المطبوعات

٢ - المخطوطات الضائعة

القسم الأول : المطبوعات من تصانيفه :

١ - «أحسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجahلية وملوك الإسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء». منه مخطوطة في ليدن تحت رقم ٤٥٣٠ وأخرى في باريس تحت رقم ٨٢٠١ و ٨٢٠٢ وطبع بليدن سنة ١٨٤٤م. ولعله مختصر «الإعجاز والإيجاز» له. اختصره فخر الدين الرازي سنة ٥٦٠٦.

٢ - «أحسن ما سمعت» أو «الآل والدرر» ذكره ابن قاضى شهبة. والمخطوط الموجود منه في مكتبة كوبيرلى (٤/٢٦٤) أكبر من المخطوط الموجود في دار الكتب المصرية (القاهرة ١٣٢٤هـ) وطبع بمصر سنة ١٣٢٤هـ وهو مذكور في فهرست فيلم نسخه های خطی: ٣٧٠ بعنوان «الآل والدرر» أو «أحسن ما سمعت» أو «الإعجاز والإيجاز»، وذكر أنه محفوظ في مكتبة

ايا صوفيا (ش ٣٧٩٥).

٣ - «الإعجاز والإيجاز» كما طبع في مصر سنة ١٨٩٧ م أو «الإيجاز والإعجاز» كما طبع مع أربعة رسائل أخرى في مطبعة الجوائب ١٣٠١، أو «إعجاز الإيجاز» كما ذكره حاجي خليفة ١٢٠٠ والبغدادي : ٦٢٥ وطبع في مطبعة العمومية سنة ١٨٩٧ م. أو «إيجاز الإعجاز» كما هو محفوظ في برلين (رقم ١/٨٣٤) وباريس رقم ٣٣٠٥.

٤ - «الأعداد» ذكره ابن شاكر وابن قاضي شهبة. ولعله «برد الأكاد في الأعداد» طبع في آستانه سنة ١٣٢٥ هـ وفي الجوائب في مجموعة خمس رسائل سنة ١٣٠١ هـ وهو مطبوع أيضاً في استانبول ١٣٠١

٥ - «الأمثال والتشبيهات» ذكره ابن شاكر وابن قاضي شهبة والصفدي ويسمى «بالفرائد والقلائد» ويسمى أيضاً «بالعقد النفيس» (معجم المطبوعات لسركيس) وطبع بمصر بعنوان «كتاب الأمثال» سنة ١٣٢٧ هـ. ولكن ذكر بروكلان: وقد نسب إليه خطأ في «خمس رسائل» طبعة استانبول ١٣٠٧ هـ. وعلى هامش «نشر النظم» القاهرة ١٣١٧ هـ «كتاب الأمثال» القاهرة ١٣٢٧ هـ. وكتاب «الفرائد والقلائد» للهوذاري المولود عام ٥٥٤٤ هـ (١٠٥٣ م)، راجع دائرة المعارف الإسلامية (مادة الشعالي) وهو مذكور بعنوان «الأمثال» في فهرست فيلم نسخه هاي خطى: ٤٩٠ وذكر أنه مصور من المخطوطة التي نقلت عن المخطوطة المؤرخة عام ٥٤٢٩ هـ. وإنك ترى أن هذا هو عام توفي فيه الشعالي وحيثند فما قاله بروكلان غير مقارن بالصواب.

٦ - «تمة البتيمة»: حققه عباس إقبال وطبع في إيران سنة ١٣٥٣ ش، ويعرب بالذيل فقط في مخطوطات أخرى مثل مخطوطة برلين راجع تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلن ، ترجمة عبد الحليم التجار ، القاهرة ، ١٩٥٩ م وانظر أيضاً مكتبة البدر ، تونس ١٣٤٠ ش : ٣٨٠ / ١٢٠ وما بعدها).

- ٧ - «التمثيل والمحاضرة» طبع في القاهرة، سنة ١٩٦١ م بتحقيق عبد الفتاح الحلو.
- ٨ - «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» طبع بالقاهرة، عام ١٣٢٠ هـ ثم طبع بتحقيق أبو الفضل إبراهيم بالقاهرة سنة ١٩٦٥ م.
- ٩ - «خاص الخاص»: وهو كتابنا هذا. والعجيب أن بروكلمان عده في دائرة المعارف من الدواعين التي لم يذكر فيها أسماء الشعراء. وإنك سترى سخافة رأيه في طي الكتاب.
- ١٠ - «سحر البلاغة وسر البراءة» ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر: ٢/١٧ / (ق) وابن الأنباري في طبقات الأدباء: ٤٣٨ ، وابن خلkan: ٢/٣٥٢ و ابن شاكر وابن شيبة والصفدي وحاجي خليفة في كشف الظنون: ٩٨١ (طبع ايران) والبغدادي: ٦٢٥ وبروكمان في دائرة المعارف الإسلامية (مادة الثعالبي) أخذت منه مقطوعات في استانبول انظر Verz Reuther ج ١ ص ٣٢ س ٣٠ وطبع بمصر ثم بدمشق.
- ١١ - «سر الأدب في مجرى كلام العرب» أو «سر الأدب في مجرى علوم العرب» أو «سر العربية في مجرى كلام العرب وصلتها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها»: ذكره ابن شاكر، وابن شيبة والصفدي وابن الأنباري: ٤٣٨ هـ، وحاجي خليفة: ٩٨٥ (طبع ايران) وقد طبع في العجم، راجع أيضا تعليقنا على فقه اللغة.
- ١٢ - «أبو الطيب ماله وما عليه» طبع بطبعة الجمالي بمصر سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م. ويمكن أن يكون هو «الكتاب الطيب» الذي ذكره ابن قاضي شيبة وابن شاكر. راجع الفهرس الثالث.
- ١٣ - «الظرائف واللطائف» ذكره ابن قاضي شيبة والصفدي ويعرف أيضا باسم «اللطائف والظرائف» وقد طبع مع كتاب آخر للثعالبي، اسمه

«بِوَاقِيتُ الْمَوَاقِيتِ» وججه أبو نصر المقدسي مع كتاب آخر للتعالي، اسمه: «المحاسن والأضداد» طبع بمصر سنة ١٣٧٥ وقد طبع بعنوان «الظراائف واللطائف في المحاسن والأضداد» بطهران، ١٢٨٦ هـ وتبرين سنة ١٢٨٣ هـ.

راجع فهرست فيلم نسخه های خطی: ٣٥٣.

١٤— «غُرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم» طبع بباريس سنة ١٩٠٠ م.

ثم بطهران ١٩٦٣ م.

١٥— «الفرائد والقلائد»: ذكره الصدفي في «الوافي»، وابن الأنباري في طبقات الأدباء: ٤٣٨ باسم «فرائد القلائد» وذكره ابن شاكر وابن قاضي شبهة وهو أيضاً يعرف باسم «العقد النفيس ونزة الجنين» كما ذكره بروكلاند في دائرة المعارف الإسلامية (مادة التعالي). وطبع بدمشق، ١٣٠١ هـ وبالقاهرة ١٣١٧ هـ (على هامش نثر النظم). وانظر أيضاً تعليقنا على «الأمثال والتبيهات» في هذا الفهرس.

١٦— «فقه اللغة» كتاب المترادفات العربية ألفه في آخريات أيامه، وسماه أول الأمر «شمس الأدب في استعمال العرب» وهو قسيان: قسم في المترادفات بمعناه الضيق وعنوانه: «أسرار اللغة العربية وخصائصها»، وقسم في ملاحظ على الأسلوب، عنوانه: «مجاري كلام العرب برسومها وما يتعلّق بال نحو والإعراب منها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها»، وجل هذا القسم منقول بخدايرها من كتاب «فقه اللغة» لأحمد بن فارس. والكتاب في أقدم صورة لا يوجد إلا في ليدن (مخطوط رقم: ٦٦) وبرلين (رقم: ٧٠٣٢-٧٠٣٣).

ثم نشر التعالي القسم الأول بمفردته، بعنوان «فقه اللغة»، وراج في صورته هذا رواجاً عظيماً، وقد نشر في طبعي القاهرة، ١٢٨٤ هـ و١٣٢٥ هـ أيضاً القسم الثاني من النسخة الأصلية، بعنوان «سر العربية في مجاري كلام العرب وصلتها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها»، كما طبع أيضاً في طهران

بعنوان «سر العربية في بحارات علوم العرب» مع «السامي في الأسامي» للیدانی ، وهي طبعة حجرية غير مورخة ، ونبذه منفرداً في مخطوط باريis (رقم ٥٩٨٩) . راجع دائرة المعارف الإسلامية (مادة الشعالي) .

١٧ - «الكنية والتعريف» : ألفه بنيسابور ، عام ٤٠٠ هـ لامون بن مأمون خوارزمشاه وهو رسالة في البلاغة مع الإشارة بصفة خاصة إلى الكنية ، وتعرف حيناً باسم «الكافية في الكنية» (هكذا في مخطوط باريis ، رقم ٥٩٣٤) وحينما باسم «النهاية في التعريف والكنية» (هكذا في المتحف البريطاني ، الملحق رقم ١١١٠ ، ١١١١) ويكتفى حيناً «بالكنية والتعريف» (هكذا في برلين رقم ٧٣٣٦) وطبعت بهذا العنوان في مكة سنة ١٣٠١ هـ وفي القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ . وذكره ابن شاكر وابن قاضي شبهة والصفدي وحاجي خليفة : ١٩٨٩ م باسم «النهاية في الكنية» . وكذلك ذكره البغدادي في هدية العارفين : ٦٢٥ م باسم «النهاية في الكافية» .

١٨ - «كنز الكتاب» : ذكره ابن قاضي شبهة وابن شاكر والصفدي (وهو عند المحققان : الأبياري والصيري : المتخل) وذكره بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (مادة الشعالي) وقال : «وهو ٢٥٠٠ قطعة من الشعر (فيه نظر) ملائين وخمسين شاعراً (هذا غير صحيح . بل عددهم فيه مائة وإحدى وستون) انظر Die ar etc. Hrs. Flugel des KK Hofbibliotheek Zu wien. رقم ٢٤٢ ، وقال في تأريخه (الذيل الأول : ٥٠١) انه طبع باسم المتخل في الإسكندرية ، ١٣١٩ (أما الذي عندنا فهو مطبوع في سنة ١٩٠١/١٣٢١ م التجارية الإسكندرية) . راجع أيضاً تعليقاً على المتخل .

١٩ - لطائف المعارف : حققه إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيري وطبع في مصر سنة ١٩٦١ م .

٢٠ - ما جرى بين سيف الدولة والمتبنى : ذكره الصفدي في الواقف ،

وطبع في ليفربول ١٨٤٧ م.

٢١ - **المُبَهِّج أو المُبَهِّج**: ذكره ابن شاكر وابن قاضي شهبة وحاجي خليفة: ١٥٨٢ والصفدي وطبع بمصر غير مرة.

٢٢ - **المتشابه**: ذكره بروكلاند (٣٤٠/١) قد صنعه لصاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين منه نسخة في دار الكتب وقد طبع بتحقيق الدكتور محمد شفيع اللاهوري (وقد جعله المحققان الأياري والصيري «ثمار القلوب» كتاباً واحداً خطأ).

٢٣ - **المحاسن والأضداد**: طبع بمصر مع «الظرائف واللطائف» سنة ١٢٧٥ هـ.

٢٤ - **مرآة المرؤات وأعمال الحسنات**: ذكره ابن قاضي شهبة وابن شاكر والصفدي وبروكلاند في دائرة المعارف (مادة التعالي) وطبع بقاهرة سنة ١٣١٨ هـ.

٢٥ - **مكارم الأخلاق**: ذكره الزركلي والصفدي، وطبع بيروت ١٩٠٠ م.

٢٦ - **المتحل**: ذكره ابن قاضي شهبة وطبع بالإسكندرية، سنة ١٩٠٣ م. وظن أن النسبة غير صحيحة، بل هو لأبي الفضل الميكالي، كما نسبه له ابن خلkan في وفيات الأعيان: ٤: ١٩٤، وابن شاكر الكتبى في فوات الوفيات: ٥٣: ٢، وأضاف على ذلك: أن بعض الآيات للتعالي وارد في المتحل بدون نسبة بعنوان: «ومثال آخر» (راجع ص: ٢٠٧، القافية: حسي) وحيثند نسبة الكتاب له يستلزم أن ينسى التعالي شعره.

٢٧ - من غاب عنه المطلب: هو ذيل «لإحسن ما سمعت» ويعرف أيضاً باسم «من أعزه المطلب» ذكره ابن خلkan: ٢: ٣٥٢ وابن شاكر وابن قاضي شهبة والبغدادي وطبع بيروت، ١٣٠٩ هـ والجوائب، ١٣٠٢ هـ.

٢٨ - **نشر النظم وحل العقد**: ذكره الزركلي والصفدي وذكره ابن شاكر وابن قاضي شهبة بعنوان «حل العقد». هو نثر لأشعار الديوان المعروف بـ «موئس الأدباء» لصنف غير معروف وقد فعل هذا صدوعاً بأمر أبي العباس

خوارزم شاه وطبع بدمشق ، ١٣٠٠ هـ. والقاهرة ، ١٣١٧ هـ، وقد جعل الصفدي
هذا الكتاب في «حل العقد» كتابين منفردين .

٢٩ - يتيمة الدهر : كتاب مشهور ، طبع غير مرة .

٣٠ - يواقت المواقيت : ذكره الزركلي والصفدي وابن شاكر وابن
قاضي شبهة ، وهو مؤلف في المدح الأشياء وذمها . منه نسخة في برلين (٨٣٣٦: ٧)
وليدن (٤٥٥) وطبع باسم «جماعية في ما بين كتابي الشعالبي» في بولاق ،
١٣٩٦هـ وفي القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ .

القسم الثاني: المخطوطات من تصانيفه :

١ - كتاب الآداب : ذكره بروكلمان (الذيل الأول: ٥٠٣) وذكر :
منه مخطوطة في مكتبة عاطف ، استانبول . تحت رقم ٢٢١٣ وأخرى في مكتبة
الفاتيكان رقم ١٤٦٢ .

٢ - آداب الملوك : صنعه للأمون بن مأمون خوارزمشاه ، نسخة منه
محفوظة في مكتبة أسعد آفندي راجع فهرست فيلم نسخه های خطی : ٤٩٦ .

٣ - أجناس التجينس : ذكره ابن شاكر وابن قاضي شبهة . منه نسخة
بمكتبة الإسكوريال . ونسخة بعنوان «أجناس في التجينس» في برلين تحت رقم
٦٣٣٠ وأخرى باسم «أجناس والتجينس» في القاهرة . راجع دار الكتب :
٢٧٥/٢ . وظني أن النسبة غير صحيحة ، لأن الشعالبي نفسه نسبه بعنوان «أجناس
التجينس» إلى أبي حفص عمر بن علي المطوعي في يتيمة الدهر : ٤/٤٣٣ .

٤ - الاقتباس : ذكر ابن شاكر وابن قاضي شبهة والصفدي وذكره
الشعالبي نفسه في يتيمة الدهر ، راجع فريدة العصر : ٧١١ ولعله «الاقتباس من
القرآن» كما محفوظ بمكتبة سليم آغا تحت رقم ٣٨ .

٥ - الأنوار البهية في تعريف مقامات فصحاء البرية : ذكره البغدادي في
هدية العارفين : ٦٢٥ وبروكلمان (الذيل الأول: ٥٠٢) وقال : منه نسخة في

- مكتبة امروزيانا بميلانو تحت رقم ٣٧٠٩ .
- ٦ - التجينس : ذكره الصدفي ولعله «أجناس التجينس» الذي مرّ .
- ٧ - تحسين القبيح وتقييع الحسن : ذكره بروكلمان (الذيل الأول : ٥٠٢) وقال : منه مخطوطة في مكتبة راغب باشا ، استانبول . وهو مذكور أيضاً في فهرست فيلم نسخه های خطی .
- ٨ - التحسين والتقييع : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شبهة والصفدى . صنعه لمغیث الدين نظام الملك منه نسخة في ايران . راجع فهرست فيلم نسخه های خطی : ٤٣ .
- ٩ - تحفة الوزراء : منه مخطوطة بدار الكتب المصرية (٣ : ٤٨) وأخرى في غوتا تحت رقم ١٨٨٦ وذكره أيضاً في فهرست فيلم نسخه های خطی : ٤٩ .
- ١٠ - التذليل المرغوب من ثمر (ثمار) القلوب : ذكره بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (مادة الشعالي) وقال : هو يجمع اسماء أعيان الرجال (مخطوطة بباريس رقم ٦٠٢٩) .
- ١١ - التوفيق للتفيق : ذكره بروكلمان (١/٣٣٩) وقال : منه نسخة في برلين تحت رقم ٨٣٣٨ .
- ١٢ - حلية المحاضرة وعنوان المذاكرة وميدان المسامة . ذكره بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (مادة الشعالي) : قال . منه مخطوطة في باريس تحت رقم ٦/٥٩ .
- ١٣ - درر الحكم : ذكره بروكلمان (الذيل الأول : ٥٠٢) وقال : منه مخطوطة في دار الكتب المصرية .
- ١٤ - سجع النثور . ذكره ابن شاكر وابن قاضى شبهة والصفدى وبروكليمان (الذيل الأول : ٥٠٢) وقال : منه نسخة محفوظة بطبع قابو سراي

تحت رقم ٢٣٣٧ .

- ١٥— سر الحقيقة : ذكره بروكلمان (الذيل الأول : ٥٠٢) وهو مذكور أيضاً في فهرست فيلم نسخه هاي خطى : ٤٩٠
- ١٦— سراج الملوك : مؤلف في الأخلاق ومحفوظ في المتحف البريطاني .
- راجع Descriptive List ص : ٦٤ رقم ٦٣٦٨ . ويمكن أن يكون هو «سيرة الملوك»، راجع الفهرس الثالث .
- ١٧— الشكوى والعتاب وما وقع للخلان / بالخلان والأصحاب : ذكره الصدوى (هو منقول عن الصدوى في مقدمة لطائف المعارف : ١٦ ثم عدده المحققان في الكتب التي قاتل الصدوى مسامحة) وذكره بروكلمان (الذيل الأول : ٥٠٢) ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ، راجع : ٢٣٦/٢٥ .
- ١٨— الشمس : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شبهة والصفدى ولعله «شمس الأدب في استعمال العرب» وهو محفوظ في ليدن (مخطوط رقم ٦٦) وبرلين (رقم : ٧٠٣٣-٧٠٣٢) راجع أيضاً تعليقنا على «فقه اللغة» في الفهرس الأول .
- ١٩— طرائف الطرف : ذكره بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (مادة الثنائي) وقال : «هو من قبيل الدواوين التي لم يذكر فيها أسماء الشعراء». وهو مخطوط في أيا صوفيا تحت رقم ٣٧٦٧ ، وفي مكتبة كوبيرلي تحت رقم ١٣٣٦ وفي طوب قبو سرای Rwista degli Studi orientali ٤/٢٩٦ .
- ٢٠— الطيب : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شبهة ويمكن أن يكون هو : أبو الطيب ما له وما عليه» راجع تعليقنا عليه في الفهرس الأول .
- ٢١— العشر المختارة : ذكره بروكلمان (الذيل الأول : ٥٠٢) وذكره أنه محفوظ في مكتبة رامفور (٣٧٥/١) .
- ٣٣— غرر البلاغة وطرف البراعة : منه نسخة في برلين تحت رقم ٨٣٤١ : وفي مكتبة كوبيرلي تحت رقم ١٢٩٠ بعنوان «غرر البلاغة في النظم

والنثر والبراءة، وهكذا مخطوطات المتحف البريطاني ، راجع Descriptive List ص: ٦٣

٢٣ - الغلمان : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى بـالبغدادى :

٦٤٥ وحاجى خليفة ١٤٤٥ وبروكهاان (G 1, 339) وهو محفوظ فى برلين تحت رقم ٨٣٣٤ .

٢٤ - قراطة الذهب ومعادن الأدب : ذكره بـروكهاان (G 1, 339)

بـوقال : منه مخطوطة فى برلين تحت رقم ٨٣٣٤ وأخرى فى اسكتوربىال (٢: ٤٦١) وثالثة فى مكتبة بايزيد استانبول رقم ٣٢٠٧ .

٢٥ - لباب الأدب : ذكره بـروكهاان (الذيل الأول: ٣٠٥) وذكر منه مخطوطة

فى برلين (Oct. 1985) وأخرى فى أسعد ، رقم ٢٨٧٩ ، ولا تنسى أن له كتاباً بعنوان «لباب الأحسان» راجع الفهرس الثالث.

٢٦ - لطائف الصحابة والتابعين : ذكره الصفدى وبروكهاان (G 1, 340)

ومنه نسخة فى ليدن تحت رقم ٤٥٢ .

٢٧ - المظف واللطائف : منه نسخة فى دار الكتب المصرية وأخرى فى

الإسكندرية وثالثة فى فيينا .

٢٨ - المتشابه لفظاً وخطاً : ذكره الصفدى فى لونا فى بالوقيات وظين بالآيلارى

والصيرفى : أنه هو «تمار القلوب فى المضاف والنسب» . راجع مقدمة لطائف

المعارف: ١٨ . وأقول : هذا مسامحة منها ، لأن عنوان الكتاب نفسه يشير

أنه غير ذاك . وانظر أيضاً تعليقنا على «المتشابه» فى الفهرس الأول .

٢٩ - المدح والنم : ذكره دانش پزوه فى فهرست فیلم نسخه های

خطى : ٦٢١ وقد يكون هو «مدح الشيء» وذمه . راجع الفهرس الثالث .

٣٠ - المشرق : ذكره بـروكهاان (الذيل الأول: ٥٠٢) ويمكن أن يكون

هو «المشوق» راجع الفهرس الثالث .

- ٣١— معرفة الرتب فيها ورد من كلام العرب : ذكره بروكلمان (الذيل الأول : ٥٠٢) وقال : منه نسخة خطية في مكتبة بايزيد إسطنبول وأخرى في دار الكتب المصرية .
- ٣٢— المقصور والحدود : ذكره الزركلي في الأعلام والصفدي في الواقف . ومنه مخطوطة بدار الكتب المصرية .
- ٣٣— المنتخب في سمر العرب : ذكره بروكلمان (الذيل الأول : ٥٠٢) وقال : منه نسخة خطية في مكتبة فيض الله ، إسطنبول ، رقم ٢١٣٣ . ولعله هو المنتخب من سنن العرب (فهرست فيلم نسخه های خطی : ٤٩٠) كتاب واحد .
- ٣٤— مواسم العمر : ذكره بروكلمان (الذيل الأول : ٥٠٢) وهو مذكور أيضاً في فهرست فيلم نسخه های خطی : ٤٩٠ . ولا تنسى أن جمال الدين أبي الفرج الجوزي رسالتان بعنوان «تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر» . وقد طبعت في مجموعة «التحفة البهية بـ المطرقة الشهية» في الجوائب ، سنة ١٣٠٢ .
- ٣٥— الملونس الوحد ونرحة المستفيد : كتاب في المحاضرات . ذكره الصندى وابن خلkan ٣٥٢/٢ وحاجي خليلة ، بذكره بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية : ٤٩٦/٦ . وقال : والظاهر أنه هو المخطوط المحفوظ بكبردرج (Suppl. Hand list) تحت رقم ١٢٨٧ أما النص الذي نشره فلوجل (Flügel) بعنوان Der Vertonte geführte des Ensōmen Zetischrd Deulch GesseIn Geldemeister الاصفهاني . انظر .
- ٣٦— نسيم السحر : ذكره الصندى وابن شاڪر وابن قاضى شبهة ولم نعثر عليه في أي من المصادر والمعاجم والفالهارس . وبحسن الحظ وجدت منه نسختان قديمتان في مكتبة جدنا المبرور ممتاز العلماء بلکھنتو .
- ٣٧— كتاب الوزراء : ذيل لسيرة الملوك ومحفوظ ببغداد ، رقم ١٨٨٦ . راجع دائرة المعارف الإسلامية .

- ٣٨— يتيمة اليتيمة: ذكره البغدادي في هدية العارفين و حاجي خليفة: ٢٠٤٩ ط. إيران.
- ٣٩— كتاب مجهول الاسم: صنعه للأمير شمس المعالى، يقع في ٧١ بابا. منه نسخة في مكتبة أسعد آفدي. راجع فهرست فليم نسخه های خطی: ٤٩٦.
- القسم الثالث: تصانيفه التي لم تلف على وجود نسخها في فهارس المكتبات:
- ١— الأحسن في (من) بدايـع الخـلـفـاء: ذـكرـهـ ابنـ قـاضـىـ شـهـبـةـ وـ ابنـ شـاـكـرـ وـ الصـفـدـىـ.
 - ٢— أحسن المحسن أو أحسن المحسن: ذـكرـهـ ابنـ شـاـكـرـ وـ ابنـ قـاضـىـ شـهـبـةـ وـ البـغـدـادـيـ فيـ هـدـيـةـ الـعـارـفـيـنـ. وـقـدـ طـبـعـ كـتـابـ بـهـذـاـ العنـوانـ لـأـبـيـ الـحـسـنـ ابنـ الـحـسـينـ الرـحـيـجـيـ فيـ بـحـمـوـعـةـ خـمـسـ رسـائـلـ فـيـ الـجـوـائـبـ، سـنـةـ ١٣٠١ـ هـ. وـلاـ يـذـهـبـ عـلـيـكـ أـيـضـاـ اـنـ لـهـ كـتـابـ بـعـنـوانـ «ـأـحـسـنـ مـاـ سـمعـتـ»ـ كـمـ لاـ تـنـسـيـ أـيـضـاـ ماـ قـالـهـ بـرـوـكـلـانـ فـيـ دـائـرـةـ الـمـعـارـفـ الـإـسـلـامـيـةـ: «ـوـنـسـبـ إـلـيـهـ (ـالـعـالـيـ)ـ خـطـاـءـ أـيـضـاـ كـتـابـ مـحـاسـنـ الـمـحـاسـنـ وـذـلـكـ فـيـ مـخـطـوـطـ رـقـمـ ١٨٧٣ـ بـمـكـتـبـةـ غـوـتـاـ». وـذـكـرـهـ حاجـيـ خـلـيـفـهـ بـعـنـوانـ «ـأـحـسـنـ الـمـحـاسـنـ فـيـ الـمـحـاضـرـاتـ»ـ (ـصـ٤ـ، طـ. إـرـانـ).
 - ٣— الأدب ما للناس فيه أرب: ذـكـرـهـ ابنـ شـاـكـرـ وـ ابنـ قـاضـىـ شـهـبـةـ وـ الصـفـدـىـ.
 - ٤— الأصول في الفصول: ذـكـرـهـ ابنـ شـاـكـرـ وـ ابنـ قـاضـىـ شـهـبـةـ.
 - ٥— أفراد المعان: ذـكـرـهـ ابنـ شـاـكـرـ وـ ابنـ قـاضـىـ شـهـبـةـ وـ الصـفـدـىـ.
 - ٦— أنس الشعراـءـ: ذـكـرـهـ الصـفـدـىـ.
 - ٧— أنس المسافـرـ: ذـكـرـهـ ابنـ شـاـكـرـ وـ ابنـ قـاضـىـ شـهـبـةـ.
 - ٨— الأنـيـسـ فـيـ غـزـلـ التـجـنـيسـ: ذـكـرـهـ ابنـ شـاـكـرـ وـ ابنـ قـاضـىـ شـهـبـةـ وـ الصـفـدـىـ.
 - ٩— بهـجـةـ الـمـشـاقـ: ذـكـرـهـ ابنـ قـاضـىـ شـهـبـةـ وـ ابنـ شـاـكـرـ وـ الصـفـدـىـ.
 - ١٠— تحـفـةـ الـأـرـوـاحـ وـمـوـائـدـ السـرـورـ وـالـأـفـراحـ: ذـكـرـهـ الـبـغـدـادـيـ فـيـ هـدـيـةـ الـعـارـفـيـنـ: ٦٢٥ـ

- ١١ — ترجمة الكاتب في آداب الصاحب : ذكره الصفدي .
- ١٢ — التفاحة : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ١٣ — تفضل المقتدرین وتصل المعترضین : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ١٤ — الثلوج والمطر : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ١٥ — جوامع الكلم : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ١٦ — جواهر الحكم : ذكره البغدادي في هدية العارفين : ٦٢٥ .
- ١٧ — حجة العقل : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ١٨ — حشو اللوزينج : ذكره الصفدى .
- ١٩ — خصائص الفضائل : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ٢٠ — الخوارزميات : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة .
- ٢١ — الغولة والشاهيات ذكره الصفدى .
- ٢٣ — ديوان أشعاره : ذكره الصفدى والبآخرزى .
- ٢٣ — سحر البيان : ذكره الصفدى .
- ٢٤ — سر البيان : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى والظاهر أن هذا الكتاب والكتاب السابق كتاب واحد .
- ٢٥ — سر الوزارة : ذكره ابن شاكر ابن قاضى شهبة والصفدى . و لا ننسى أن للتعالى كتاب تحفة الوزارة وقد مر .
- ٢٦ — السياسة : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ٢٧ — سيرة الملوك أو كتاب الملوك : ذكره حاجى خليفة رقم ٧٣٤٣ وذكره التعالى في مقدمة كتابه «تحفة الوزارة» وانظر أيضاً تعليقنا على «سراج الملوك» في الفهرس الثانى .
- ٢٨ — كتاب الشوق : ذكره الصفدى ولعله هو كتاب «المشوق» راجع

- الفهرس الثاني ، رقم ٣٠ .
- ٢٩ — صنعة الشعر والنثر : ذكره ابن قاضى شهبة وابن شاكر والصفدى .
- ٣٠ — طبقات الملوك : ذكره الصفدى والزركلى في الأعلام .
- ٣١ — الطرف من شعر البستى : ذكره ابن شاكر وضبط اسمه الصفدى «الطرف من شعر بستى» .
- ٣٢ — الطرف من شعر المتبي : ذكره الزيدى في طبقات النهاة واللغوين : ويمكن أن يكون هو الكتاب السابق ، كتاب واحد .
- ٣٣ — عيون المعارف : ذكره ابن قاضى شهبة وابن شاكر وضبط اسمه الصفدى «عنوان المعارف» .
- ٢٤ — عيون النوادر : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ٣٥ — غرر البلاغة في الأعلام : ذكره الصفدى . والظن الغالب أنه «غرر البلاغة وطرف البراعة» راجع الفهرس الثاني .
- ٣٦ — غرر المضاحك : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ٣٧ — الفصول الفارسية : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .
- ٣٨ — الفصول في الفضول : ذكره الصفدى .
- ٣٩ — فضل من اسمه الفضل : لم يذكره أحد من المؤرخين والأدباء والمحققين الذين سردوا تصانيفه وأحصوا كتبه ، قد يمأ وحديثاً ، لاسيما بروكلمان كيف لم يعثر عليه ، وقد ذكره الشعالي نفسه في يتيمة الدهر ٤/٤٣٣ تحت ترجمة أبي حفص المطوعي ونوره هنا نصه بتلاته : «واتصل (المطوعي) بخدمة الأمير أبي الفضل الميكالى ، فتخرج بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من بحره ، وألف كتاب درج الفرق ودرج الدرر» في محسن نظم الأمير ونشره . وحين ألف صاحب هذا الكتاب (صاحب يتيمة الدهر الشعالي) كتاب «فضل من اسمه الفضل» عارضه بكتاب حمد من اسمه احمد .

- ٤٠ - **الكشف والبيان**: ذكره الصفدي.
- ٤١ - **باب الأحسين**: ذكره ابن شاكر وابن قاضي شهبة والصفدي،
راجع أيضاً تعليقنا على «باب الآداب» في الفهرس الثاني.
- ٤٢ - **لطائف الظرفاء**: ذكره الصفدي. ولعله «اللطائف والظراف». انظر تعليقنا على «الظراف واللطائف» في الفهرس الأول.
- ٤٣ - **اللطيف الطيب**: ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات.
- ٤٤ - **المع والفضة**: ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات وابن شاكر وابن قاضي شهبة.
- ٤٥ - **مدح الشيء وذمه**: ذكره الصفدي وابن قاضي شهبة وابن شاكر ولعله «المدح والذم»، راجع الفهرس الثاني.
- ٤٦ - **المدح**: ذكره الصفدي وابن شاكر وابن قاضي شهبة.
- ٤٧ - **المشوق**: ذكره ابن شاكر وابن قاضي شهبة وذكره الصفدي باسم «الشرق». وقد يكون هو كتاب «المشرق»، راجع الفهرس الثاني.
- ٤٨ - **المضاف والمنسوب**: ذكره الصفدي والظاهر أنه هو كتاب «ثمار القلوب».
- ٤٩ - **مفتاح الفصاحة**: ذكره الصفدي وابن شاكر وابن قاضي شهبة.
- ٥٠ - **ملح البراعة**: ذكره الصفدي في «الوافي بالوفيات».
- ٥١ - **الملح والطرف**: ذكره الصفدي وابن قاضي شهبة.
- ٥٢ - **منادمة الملوك**: ذكره الصفدي وابن شاكر وابن قاضي شهبة.
- ٥٣ - **من غاب عنه المؤنس**: ذكره الصفدي وابن شاكر وابن قاضي شهبة.
والظاهر أنه هو «من غاب عنه المطرب»، راجع الفهرس الأول.
- ٥٤ - **نسم الأننس**: ذكرى الصفدي وابن شاكر وابن قاضي شهبة،
وقد يكون هو «نسم السحر»، راجع الفهرس الأول.

٥٥ — النوادر والبوادر : ذكره ابن شاكر وابن قاضى شهبة والصفدى .

٥٦ — «كتاب الورد» ذكره الصفدى وابن قاضى شهبة وابن شاكر .

هذا ، وقد ذكر جرجى زيدان والصفدى والبغدادى للتعالى ، كتاب «الحسان في تفسير القرآن» وهو وهم ، دفع إليه أن للشيخ عبد الرحمن الثعالبى (م : ٨٧٣) كتاباً في تفسير القرآن بهذا الاسم ، راجع دائرة المعارف الإسلامية : ٦/٢٠٠ وان حاجى خليفة ذكر كتاب «الكشف والبيان» في التفسير لأبي منصور عبد الملك بن أحمد بن إبراهيم الثعالبى وواضح أنه غير ما نحن بصدده . وقد نسب هذا التفسير في دائرة المعارف الإسلامية ٦/٢٠٢ والقاموس الإسلامي لأحمد عطية الله ١/٥٣٧ لأبي إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبى .
النيسا بوري المتوفى سنة ٥٤٢٧ .

الدكتور محمد صادق النقوى

علي گڑہ (الهند)

لحة في تاريخ الشعر منذ محمود سامي البارودي حتى على محمود طه

هذه مقدمة في تاريخ الشعر العربي الحديث ، نرى لزاما علينا أن تبتها هنا لأننا في دراستنا للشعر الحديث لا بد أن نرسم الاتجاه العام الذي سار فيه الشعر متظمرا في عصوره المختلفة ، ذلك لأن التطور الذي حدث الآن مرتبط أشد الارتباط بالطرق القديمة في قول الشعر ، فهو إما اتباع لها أو تجديد فيها أو ثورة عليها .

إن اختلاف الزمن واتساع الثقافات وتنوعها كان لا بد أن يتبع أجيالا جديدة تذكر بعقليات مختلف عما سبقها ، وتتخذ لها مذاهب جديدة ، وتظل تلك المذاهب سائدة زمناً حتى يحدث تطور آخر وهكذا .

ونحن في عصرنا الحديث جماع ثقافات مختلفة وأصحاب نهضة متولبة تهدف إلى الارتفاع بالمستوى العام في كل نواحي الحياة ، وكان من الناتج المباشرة لهذه النهضة أن الأدب حدث فيه تغير جوهري لا نستطيع الكلام عنه من غير إلمامة سريعة بالقديم .

كان الشعر العربي من الفنون التي تأثرت بالتطورات السياسية والاقتصادية والظروف المختلفة التي حدثت في الأمة العربية ، وكان أثر هذه التطورات يظهر أحياناً ويختفي أحياناً أخرى في الشعر ، وكان الشعراء يتاثرون بما يحيط بهم في بيئتهم أو يخرجون أحياناً على تأثير تلك البيئات ويتنازع واحد منهم أو أكثر بالانفراد والأصالة ، وأحياناً أخرى تختلف شخصياتهم وذاتيهم وراء الصنعة والتکلف .

ولقد تطلع الشعراء بعد العصر الجماهري والإسلامي إلى السابقين لم

يسعون منهم مثلهم الفنية فرأوا أنهم التزموا طريقة معينة في القصيدة واتخذوا لها ترتيباً خاصاً، فهى تبدأ بالغزل وذكر الأطلال والدمن ثم تنتهي إلى وصف الراحلة سواء أكانت ناقة أم فرساً، ثم ينتقل الشاعر بعد تمهيد قصير إلى الفرض الذى يريد سوءاً سواء أكان مدحاً أم شفراً أم هجاءً أم أي غرض آخر من أغراض القصيدة العربية، وظل الأمر كذلك في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام ورأى الشعراء أنهم ملزمون باتباع هذا الترتيب واتباع نفس الأسلوب في الألفاظ والتراكيب وأنهم ملزمون بالقول في الغزل ووصف الدمن والأطلال والناقفة والفرس، ولم يكن ذلك الإلزام ناشئاً بالطبع مع ضغط قوى خارجية عليهم، وإنما كانت طرifice التربة والنشمة وحفظ الشعر القديم هي الحافز على ذلك مما جعل الإلهام الشعري في نقوس الشعراء لا يخرج عن تلكم الأغراض، وعما حدد المجال الذهني أمامهم بحيث أصبح الخارج عن هذا الترتيب أو هذه الأغراض لا يعدّ شاعراً.

ولم يحدث هذا الخروج على الإطلاق طوال العصر الجاهلي والإسلامي وإنما ظهرت بوادر الخلاف بين أنصار العرب جاهليين وإسلاميين وبين أنصار المحدثين في منتصف القرن الثاني للهجرة، يقول الدكتور طه حسين: «ظهر الخلاف بين بشار وتلاميذه ومن كان ينصر لهم من الأدباء وبين أمرىء القيس وتلاميذه ومن كان ينصر لهم من أمته اللغة ورواية الشعر، ثم ظهر الخلاف في القرن الثالث بين الذين كانوا ينتصرون للبحترى وأبي تمام، والذين كانوا ينتصرون لأبي ثواس ومسلم، ثم ظهر الخلاف في القرن الرابع بين الذين كانوا ينتصرون للتبني، والذين كانوا ينتصرون لأبي تمام. فأنت ترى أن كل هذا العصر الأدبي الذهبي عند العرب كان معلوماً بالاختلاف بين القدماء والمحدثين، وليس عليك إلا أن تنظر في كتب الأدب على اختلافها لنرى هذا المقدار الموفور من الكلام **الكبير** الذي قيل وقيل في الاتصال للشعراء،

وتفضيل بعضهم على بعض ، سواء منهم أبناء الجيل الواحد والذين اختلفوا جيلاً وعصرًا ، ولكنني أريد أن أعلم فيم كان الاختلاف عند العرب بين القدماء والمحدثين وما تأججه الكبار؟

الحق أنني أكاد أعلم ذلك ، فقد كان الخلاف قبل كل شيء في الفظ ثم في المعنى ، ثم لم يتجاوز هذين الأمرين^١ .

والظاهرة التي نلمحها هنا هي أن الخلاف كان حول شاعر معين بذاته وليس الخلاف حول مدرسة معينة ، وكأن خلافاً لم يتناول جوهر القصيدة بالتغيير وإنما تناول بعض مظاهرها ، يقول الدكتور مندور : «إن في تلك المخصوصة ما يدعو إلى النظر ، فهي لم تكن بين مذهب أبي نواس وبين أنصار التقاليد الشعرية ، ولو أنها كانت لأخذت اتجاهها غير الذي أخذته ، وإنما قامت بين أنصار أبي تمام وبين خصومه ، لأن هذا الشاعر قد جدد الشعر العربي تجديداً حقيقياً ، وكأنه قد خرج على ما عده الملاهيلون والأمويون من شعر ، مع أنه كما قلنا لم يغير شيئاً في الأصول الفنية للشعر العربي ولم يخرج إلا على عموده ، كما يقولون ، ومعنى العمود عندهم ، فيما يبدو ، هو الصياغة ، فأغراضه الشعرية هي أغراض القدماء وطريقة بنائه للقصيدة هي طريقة القدماء ومعانٍ شعره هي معانٍ القدماء ، إنه كما يقولون في النقد الأدبي «كلاسيكي جديد» .

ونحن نرى مما تقدم أن الشعر العربي قد ظل على حالته القديمة ولم يحدث فيه تجديد بالمعنى المفهوم من اللفظ وظل محتفظاً بالطابع العام المميز له وساعد على هذا الاحتفاظ أن بعض النقاد من تخصصوا في دراسة الشعر العربي وأفردوا له كتاباً خاصة أصرروا على أن يظل الشعر كما هو وألا يخاول الشاعر الخروج على الأهداف العامة للقصيدة ، بل منهم من أصر على

(١) كتاب حديث الأربعاء ٢: ٧ (دار المعارف بمصر ، ١٩٥١م)

(٢) النقد المنهجي عند العرب : ٤٤ (مكتبة الهفنة المصرية بالقاهرة ، ١٩٤٨م)

ألا يحدد الشاعر أغراض الشعر ، ولم يفعل ذلك كل النقاد على العموم وإنما فعله بعضهم ، وكان إصرارهم على بقاء القديم على قدمه من الآراء التي كان لها صدى بعيد على مر الأجيال في الشعر العربي بل لقد ظلت هذه الآراء متداولة إلى قبيل عصرنا هذا فن هؤلام النقاد ابن قتيبة ، إذ يقول في كتابه «الشعر والشعراء» : «وليس لتأخر الشعراء أن يخرج على مذهب المتقدمين فيقف على منزل عامر أو يكى عند مشيد البناء لأن المتقدمين وقووا على المنزل الدائر والرسم العاشر أو يرحل على حمار أو بغل أو يصفها لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير أو يرد على المياه العذب الجواري لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي أو يقطع إلى المدوح منابت الترجس والآس والورد لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشبح والحنوة والعرارة^١». فهو يصر على أن أغراض الشعر يجب أن تبقى كما هي وأن القوالب التي يقال فيها لا يصح أن يخرج عليها المتأخرون ، وبذلك وضع الأساس الذي ينبغي في رأيه أن يسير عليه الشعر .

هؤلام النقاد كانوا من العوامل الأولى التي ساعدت على احتفاظ القصيدة العربية بالترتيب التقليدي وعلى الاحتفاظ بالأغراض التي يقال فيها الشعر ، وأدى ذلك إلى عدم ظهور المدارس النقدية على نحو ما ظهر في الأداب الأوروبية ، هذه المدارس التي ساعدت على إفهام الشعراء معنى التطور بالشعر وأوضحت في الأذهان المذاهب المختلفة وبيّنت مبادئها ، يقول الدكتور محمد مندور : «ومع هذا فما يجوز أن نطبع في دراسات تشبه دراسات نقاد الفرب لآدابهم قيمة فوارق كبيرة بين أدبنا وآدابهم ، وأصل كل تلك الفوارق هو غلبة التقليد على شعرنا ابتداء من العصر العباسى وطغيان المدح عليه تكتسبا به ، فهذه الظاهرة المشوّمة قد ذهبت أحياناً كثيرة بأصلة الشاعر

(١) الشعر والشعراء ٢٢: ١ (تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، ١٣٩٤)

وقطعت العلاقة بين شعره وحياته بحيث يصعب أن نجد نفوس الشعراء في دواوينهم وإن وجدنا بعضًا من خصائصهم الفنية أو بعضًا من أصداء يشتملُ^(١).

ما تقدم نرى أن الأغراض التي كان من الممكن أن يقال فيها شعر أصبحت متدولة ومطروقة ولم تكن تظهر براعة الشاعر ولا شاعريته إلا في التجديد الذي يضفيه على المعنى أو في التحسين اللفظي الذي يدخله على القصيدة فهما تفنن في ابتكار معانٍ المدح مثلاً وتصرف في صور التعبير الأسلوبية لم يزد على أن سار في أفق معهود من التشبيه بالبحر والغيث والأسد إلى آخر تلك التشبيهات. وقد ظهرت شخصيات الشعراء الذين يسميهم قدامي النقاد بالمحديين عند تكرارهم لهذه الأغراض خلال قدرتهم على إدخال الصناعة في الشعر وعلى اتخاذ العقل أداة لقوله ومن ذلك ما أدخلوه من التجريد في التشبيه والاستعارة وبعدم عن معطيات الحواس، وظهر أثر الفلسفة اليونانية والمنطق بعد حركة الترجمة في العصرين، العصر العباسي الأول والثاني في الشعراء.

ولقد أدى ضيق الأغراض وكثرة تداوتها إلى حدوث ظاهرة تفرد بها الشعر العربي، ألا وهي ظاهرة السرقات الشعرية، فكان مما يوجه من النقد للشاعر أن المعنى الذي أورده في قصيده قد سبقه إليه غيره، وأنه لا بد قد سمعه فأحاله بصيغة جديدة، وسي ذلك سرقة، وأنشأ كثير من النقاد كتاباً أو فصولاً في كتب في إظهار سرقات بعض الشعراء وفي إظهار معنى السرقات وأنواعها على العموم، ومن هؤلاء ابن قتيبة والأمدي والجرجاني، وراح النقاد في دراستهم للسرقات يردون أبيات الشاعر الذي يريدون تجريمه إلى أبيات أخرى تشبهها قريباً أو بعيداً في اللفظ أو المعنى أو فيها مما واقتوا في ذلك فردوا الكثير من الشعر إلى جمل ثرية من القرآن والحديث وأقوال السابقين، وربما يكون الشاعر قد أنشأ معناه إنشاء ولم يطلع على ما

(١) النقد النهجي عند العرب: ١٦ (مكتبة الهضبة المصرية، ١٩٤٨م)

قيل فيه سابقًا، وإنما مجرد المصادفة البحتة وتوارد الخطأ ونظم الشعر في أغراض معينة هو الذي دفعه إلى قول ذلك المعنى، كل ذلك راجع في الجملة إلى غلبة التقليد على الشعر العربي في عصوره المختلفة.

ثم هناك ظاهرة أخرى لا تقلّ أهمية في الدلالات على تحديد المعاني والأغراض التي يقال فيها الشعر وهي ظاهرة معارضة القصائد القديمة وذلك أن الشاعر يعمد إلى قصيدة مشهورة لشاعر قد سبقه فيعجب بما فيها من المعاني فينشئ قصيدة أخرى من نفس الوزن والقافية وربما أنشأها في غرض يتصل بحياته هو ويبيّنه التي يعيش فيها، ولكن كثيراً ما يحدث أن الشاعر يقول في نفس الغرض الذي قال فيه الشاعر الأصلي، وربما وجد نفسه مضطراً إلى استعمال نفس الألفاظ وقد تكون هذه الألفاظ قد أصبحت غير مستعملة بالمرة في اللغة فيضطر إلى وضع تفسير لكل لفظة مما يجعل شرح القصيدة أمراً عسيراً على الفهم، هذه الظاهرة استمرت في كل عصور الشعر العربي. وقلّ أن نجد شاعراً لم يعارض من سبقوه بقصيدة أو أكثر، وتركت هذه الظاهرة آثاراً واضحة ظلت إلى عصرنا هذا، فترى الشعراء المحدثين الذين نحن بصددهم الكلام عنهم في هذه المقدمة يتجهون هذا الاتجاه ويرجعون إلى الشعراء القدماء ليسجوا على منوالهم، وكان ذلك مداعاة للفخر عندهم، ونحن نجد أن حافظ إبراهيم قال في قصيده التي مدح بها شوق في حفلة تكريمه:

وسيبئنة للبحترى نسختها بسيئنة قد أخرست كلّ مدّعى

أني لك فيها طائعاً ما عصى على كل جبار القرىحة المعلى

وهاجت بك الحمراء أشجان موجع شجاً البحترى إيوان كسرى وهاجه

إلى أن قال:

يحيى لنا أنا بأحد ما ثلا وآونة بالبحترى المرصع^١

(١) ديوان حافظ إبراهيم ١: ١١٥-١١٦ (الطبعة الرابعة، ١٩٤٨م)

فحن نرى أن شاعرا مثل حافظ ابراهيم يرى أن الغاية التي يمكن أن يبلغها شاعر معاصر هي أن يكون في مرتبة المتبي أو البحتى، وهذه الروح المسيطرة هي التي جعلت البارودي يحس أنه يقلد القدماء فيعتذر عن ذلك بقوله :

تكلمت كالماضين قليلا بما جرت
به عادة الإنسان أن يتكلما
فلا يعتمد بالإسمامة غافل . فلا بد لابن الأيك أن يترنما^١
وسيكون لنا عودة إلى التحدث عن هذه الظاهرة عند كلامنا عن البارودي
وشوق .

وهناك ظاهرة أخرى في الشعر العربي أقل وضوحا من الظاهرتين السابقتين وهي الإقليمية التي ظهرت بعد العصر العباسي، وتميزت بعض جوانب الشعر العربي بفن معين من الشعر، فظهر في الأندلس شعر الموشحات، وهو حدث جدير بالتسجيل في الشعر العربي، إذ أنه كان محاولة للخروج على التقاليد الكلاسيكية للشعر فاستطاع بعض شعراء الموشحات أن يتذروا في الغزل ووصف الخمر، وكان شعرهم معينا لا ينعد للملحين والمعزين، حتى إن بعض هذه الموشحات نالت شهرة واسعة، ولم يخل الأمر بعد ذلك من ظهور الطابع الإقليمي المميز لبعض أنواع الشعر في مصر والشام والعراق، وإن لم يكن من الوضوح بحيث يمكننا وضع الحدود الفاصلة بين شعر الأقاليم المختلفة وذلك لاستمرار الروح القديمة و واستمرار وحدة الأهداف والترتيب في القصيدة.

تلك لحنة عامة عن تاريخ الشعر العربي، وعن الاتجاهات النقدية فيه تبين لنا تأثير ذلك التراث في الشعر الحديث، وخاصة ما سنتوا له هنا من الشعر في مصر، باعتبار أن نهضة الشعر الحديث إنما ظهرت خطواتها الأولى فيها بحكم سبقها إلى النهضة الأدبية بين الأمم العربية، ولقد ظلت مصر جزءا

(١) ديوان البارودي ١ : ٥ (المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٣)

من الخلافة الإسلامية العربية في عصور الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ، واستقلت بعض الاستقلال في عصور الفاطميين والأيوبيين والماليك ، وكانت مصر تحمل مركزاً منها في الحضارة الإسلامية إذ كان بها الجامع الأزهر الذي هو بمثابة أكبر جامعة إسلامية لنقل العلوم والفنون الأدبية وظهر فيها شعراء في مختلف العصور قالوا الشعر على الطريقة التقليدية ، وكان شعرهم في بعض الأحيان جيداً وفي بعض الأحيان رديئاً ، واستمر التراث الشعري ذخيرة لا تنفد للشعراء في مختلف العصور ، حتى جاء عصر الماليك وتأخرت في نهايته حالة مصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وترك ذلك التأثير أثراً واضحاً في الأدب واللغة .

وأصبح الشعر أقوالاً مصنوعة لا معنى فيها ولا روح ، وسطأ الشعراء على شعر السابقين وطبعوه بطبعتهم فشوهوه وصار الشاعر مداها يرتزق وهبط مستوى المدى نفسه ، ثم جاء الاحتلال العثماني لمصر فلم يكن أثره في الآداب خيراً من أثر الماليك ، حتى إننا نجد شيخ المؤرخين في أواخر الحكم العثماني وهو الجرجي يكتب بلغة ركيكة .

ثم كانت الحملة الفرنسية على مصر واتصل الشرق بالغرب وعرف الشرقيون معنى الحضارة الأوروبية ، وجاء محمد علي فأرسل بعوته العلية إلى أوروبا لدراسة العلوم فعاد هؤلاء ومعهم شيء من آداب الغرب فظهرت بوادر النهضة الحديثة التي تسير اليوم في تيارها ، وكان الأدب العربي من الموضوعات التي تناولها التجديد في النهضة على أيدي المثقفين بالثقافة الغربية من أبناء مصر فاتجه النثر وجهة قدر لها أن تحررها من القيود القديمة التي لازمتها وأصبح السجع والجناس والطباقي وأنواع المحسنات البدعية التي كان الكتاب يستهدفونها في كتاباتهم ، لا معنى لها في أذهان هؤلاء المثقفين ورأوا أن يهتموا بالمعنى الذي تطوى عليه الكلمات وبالهدف الذي تهدف إليه الكتابة ،

يقول الدكتور حسين هيكل: «لم يواجه الكتاب ما واجه الشعراء من الملال وضعف الرجاء في الاتصار؟ أم إنهم من طينة غير طينة الشعراء وإن تهذيبهم أعدهم لأنواع من التأثير الذاتي والإحساس الفردي غير ما أعد تهذيب الشعراء ليام له؟ أعتقد أن الأمر متعلق بالظروف التي أحاطت بالكتاب والشعراء أكثر من تعلقه بتهذيب هؤلاء وأولئك مما يشترك الكل فيه على سواء، فقد كانت الكتابة جامدة جمود الشعر إلى ما دون نصف قرن مضى، وكان الكتاب يقلدون في أساليب الأقدمين ويختذلون أنواع كتاباتهم في المقامات والرسائل وما إليها ويغermen بالسجع والبديع غرامهم، ويعتبر أحدهم أكبر نخر له أن يكون معارض المحافظ أو عبد الحميد وفيما هم في سكتتهم إلى أدفهم تسللت إلى مصر وإلى الشرق ثورات سياسية واجتماعية متاثرة بالثورة الفرنسية، وبما أصاب أوروبا من هزات عنيفة في أعقابها فقام دعاة مثل هذه الثورة بعضهم في السر وبعضهم في العلن واتخذوا الخطابة والكتابة وسيلتهم إلى إعلان ثورتهم، ولم يكن أسلوب ابن المفع ولا لغة ابن قتيبة ولا صناعة المبرد هي التي تكفل تحريك الجماهير لقبول هذه المبادئ ولا كانت هي التي تكفل حسن صياغة هذه المبادئ والدعوة إليها^١.

وملهم أن النثر سار بخطى سريعة نحو التقدم لأن الأسلوب العلمي الجديد الذي دخل من أثر الحضارة الأوروبية جعل الدقة والوضوح والإفهام أغراضه، أما الشعر فلم يسر بنفس هذه الخطوات السريعة بل يقى على ما وصل إليه في عصر المماليك حتى ظهر محمود سامي البارودي الذي يعتبر نقطة التحول في نهضة الشعر التي انتهت آخر الأمر إلى التياتر الجديدة التي نحن بصدده دراستها، هذه التياترات التي نشأت من دراسة مناهج النقد عند الأوربيين، وهي التي نبهت الأذهان إلى ضرورة دراسة الشعر العربي على

(١) ثورة الأدب: ٦٦-٦٧ (مطبعة السباقة، ١٩٣٣م)

أسس جديدة ولكن مناهج النقد لا يزال غامضا بعض الشيء. نظرا لان التيارات القديمة في الشعر العربي متداخلة إلى حد بعيد مما يصعب معه تحديدها ، ومهمها يكن الأمر فإن البارودي كان أول من رجع بالشعر العربي إلى مرتبة المجيدين من شعراء العصر العباسي ، مضيفا عليه أحيانا صورا من شخصيته ومصريرته ، لذا يجب دراسته دراسة أكثر عمقا على اعتبار أنه أول معلم في الطريق .

مُحَمَّد سَامِي الْبَارُودِي الْمَرْحَلَة الْأُولَى فِي التَّطَوُّر

التراث الأدبي: كان التراث القديم من الشعر العربي المخزن في ديوان الحاسة وما شابهه هو الذخيرة التي اطلع عليها البارودي عند ما شبّ ورأى في نفسه الرغبة في التعلم ، ولم يكن ثمة مفر من أن يتوجه إليها حين أراد أن يقول شعرا على نحو ما كان عليه حال شعراء العربية فيما مضى من القرون حتى أصبح الأهر مقيدا وملزما لهم بطريقه لا يكاد الواحد منهم أن يجد منها فكاكا ولقد شاعت في أبناء هذه اللغة جمل مأثورة تحضن في جملتها على قراءة القديم من الشعر والأدب لمن أراد أن ينبع في ذلك الفن ، ولقد أجهد العلماء أنفسهم بجمع أخبار الشعراء وبمحالسهم مع الخلافة وما حدث لهم في كتب كثيرة مثل كتاب الأغانى والعقد الفريد وغيرهما ومن هذه الجمل قول ابن خلدون لمن أراد أن يتعلم الأدب: سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين ، وهى أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب التوادر لابن على القالى البغدادى ، وما سوى هذه الأربعة قبع لها وفروع عنها^١.

وَلَمْ يَكُن النَّقَادُ وَالْمُشْتَغِلُونَ بِالْأَدَبِ — إِنْ صَحَّ وَجُودُهُمْ — فِي عَصْرِ

(١) مقدمة ابن خلدون: ٥٥٣-٥٥٤ (مطبعة الكشاف ، بيروت)

البارودي يتسللون عما هو الشعر وعمن هو الشاعر، وإنما كانوا يتسللون إلى أى حد استطاع الشاعر أن يقرب من مرتبة القدماء وإلى أى حد استطاع أن يحاكيهم. ولقد أثبت البارودي في مقدمة ديوانه فكرته عن الشعر ولم تكن هذه الفكرة منهاجاً يتباهى به أو مدرسة بعينها أحياها، وإنما هي خطرات شاعر ساهم لنفسه عن معنى الشعر.

وفي هذه المقدمة نرى أن البارودي أحس إحساساً شاعرياً جديداً وأثبت لنفسه فكرة في قول الشعر ولسنا بصدده معرفة مقدار الصحة في تلك الفكرة وإنما أوردناها دليلاً على امتياز البارودي بنوع من التفكير النبدي الذي لم يكن معروفاً عند الشعراء في عصره فبدلاً من تصوير الشعر بأنه ديوان المدح والهجاء والرثاء والغزل نراه يقول في قصيدة التي مدح بها الشعر:

للشعر في الدهر حكم لا يغيره ما بالحوادث من نقض وتغيير
يسمو بقوم ويهوى آخرون به كالدهر يحرى بيسور ومعسور
إلى أن يقول :

والشعر ديوان أخلاق يلوح به ما خطه الفكر من بحث وتفير^١
ولقد يينا كيف أن الشعر في مصر انحدر في أواخر عصر المماليك، وكيف
أن الشعراء ظلوا على حالة الضعف والجمود هذه بل إن الأغراض التي كانت
تحرك لها شاعريتهم أصبحت مقصورة على المدح والرثاء، ولا نغالى إذا قلنا
إن الأصلة الشعرية لم تكن تظهر في أية قصيدة كتبت قبل البارودي، يقول
الدكتور حسين هيكل: «كان محمود صفوتو الساعاتي أسلم معاصريه ديابجة،
وأقومهم عبارة، لا يقول إلا ليدح أمراء الحجاز أحياناً وأمراء مصر و
سادتها أحياناً أخرى، يستغنى عطائهم ويرجو إحسانهم»^٢.

(١) ديوان البارودي ١١٧:٢ - ١١٨ (المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٣)

(٢) أيضاً ١: (مقدمة ص ١)

يدو أنه لا صلة بين ذكر هذه الطريقة من النظم وبين طريقة البارودي كما أنه يدو أن البارودي لا صلة له بالشعر الحديث، ولكن الأمر خلاف ذلك فان ظهور شاعر كالبارودي إنما كان ثورة في الشعر لأن العودة بالأسلوب إلى الجزالة والقوية والعودة بالتراتيب إلى المثانة والوضوح اللذين كان عليه الشعر في العصر العباسي به الأذهان إلى أن هناك نهضة متوثبة في صدور الشعراء، وأنه لم يحكم بالموت والخلود عليه. وسنحاول أن نربط بين هذه الوثبات القوية وبين التطور الذي حدث بعد ذلك بأن ندرس الشعراء الذين يتسبون لمدرسة واحدة أو اتجاه فني واحد وإن اختلفت سماتهم ومظاهرهم الفنية، ونحن في بحثنا ستكلم عن المذهب الفني الذي يتمي إليه على محمود طه في فصل مستقل.

ولقد كان البارودي وثبة من هذه الوثبات التي تحدث عنها فرأى أنه لن يلغ أن يقول شيئاً يخلد به على الأيام، كان يحب، لو أنه سار على المنهج الذي سار عليه معاصره واكتفى بالأغراض التي قالوا فيها.

ولعل أول ما اتجهت إليه نفسه التي لما افخر بها وبين أنها تعف ولا ترى الإسفاف مطلباً قد رغبت به أن يكون مداها كهؤلاء يعني العطايا والهبات بل لاح له أن الخلود هو الغاية التي يصح أن يستهدفها ولذلك زarah يقول في قصيدة له:

سيذكرني بالشعر من لم يلاقني وذكر الفتى بعد الممات من العمر^١
ثم تناول الأغراض التي يصح أن يكتب فيها شعراً في قصيدة أخرى فقال:

الشعر زين المرء مالم يكن	وسيلة للدح والنذام
وربما أزرى بأقوام	قد طالما عزّ به معشر

(١) ديوان البارودي ١٦: ٢ (سنة ١٩٥٣)

فاجعله ما شئت من حكمة أو عضة أو حسب نام^١
وهنا هدأه إحساسه الشاعري إلى أن يتجه إلى دواوين الجيدين من
شعراء صدر الإسلام فاستظهر منها ما استطاع ورأى أن عليه أن يجمع أجودها
في كتاب فاظهر مختاراته التي تهض دليلاً قوياً على أن معنى الشعر في ذهن
البارودي كان خلاف المعنى السائد في عصره وإنما قام في نفسه تفضيل بعض
القصائد على قصائد أخرى، ولما أحس بأن الشعر يجب أن يشمل دائرة أوسع
من أغراض المدح والمجاهد.

وبالرغم من هذه الرغبة الصادقة في الخلود وفي التجديد في الأغراض
فإن قيود التقاليد في الشعر العربي لم تتمكنه من الخروج عليها خروجاً تاماً
ولكته استطاع أن يدخل عناصر فنية حديثة في الشعر في حدود ضيقه ستتكلم
عنها. وهذا هو الذي يدفعنا أن نعتبر البارودي مرحلة أولى في التطور،
ويدعونا إلى الربط بينه وبين تيارات الشعر الحديثة. فإن هذا التجديد كان
بمبادرة ضوء قوى ألقاه على الطريق فأناره وأوضله من ثلاثة من الشعراء وقد
كان المهدى الأول لآى شاعر هو أن يوضع في مرتبة البحترى وأبي تمام
والمتى، وهنا نعود إلى ما ذكرنا من أن النقاد والمتخصصين في دراسة الشعر
قد جعلوا ما قاله الأقدمون هو الغاية القصوى التي يمكن لشاعر أن يبلغها
خدد ذلك المجال الذهنى وحصره في الحدود التي نعرفها وأدى ذلك إلى
حدوث الظواهر المتعددة التي أشرنا إليها وهي ظاهرة السرقات ومعارضة
القصائد القديمة.

وفي هذه المعارضات كان النقد موجهاً لمقدار قرب الشاعر أو بعده عن
القصيدة الأصلية، وقد ظل ذلك الأمر مسيطرًا حتى أن البارودي نفسه جاء
إلى معارضته القصائد المشهورة فنظم عدداً منها قصيدة التي مطلعها:

(١) في الأدب الحديث ١٤٧: ١ (طبعة ثانية، ١٩٥١، مطبعة لجنة البيان العربي)

صلهُ الخيال على البعد لقاءً لو كان يملك عيني الإغفاء^١

معارضة منه لقصيدة المتبي:

أمن ازديارك في الدجى الرقاء إذ حيث أنت من الظلام ضياء^٢

وقصيدته التي مطلعها:

سوای بتحان الأغاريد يطرب^٣ وغيرى باللذات يهو ويعجب^٤

الى عارض بها قصيدة الشريف الرضى التي مطلعها:

لغير العلامى القلى والتجنب ولو لا العلاما كنت فى الحب أرغب^٥

وقصيدته التي مطلعها:

ظنّ الظنون فبات غير موسد حيران يكلاً مستير الفرقد^٦

الى عارض بها النابغة الذئباني من قصidته:

أمن آل مية رائح أو منتد عجلان ذا زاد وغير مزود^٧

والديوان علوم بمثل هذه المعارضات التي تقوم دليلاً على أن روح التقاليد كانت هي المسسيطرة على البارودى في قول الشعر إلا أنه ظهر في طياتها التجديد الذى أتى به.

وفي كثير من قصائد البارودى يصدرها الديوان بعبارة وقال «يروض القول» أو «يروض الشعر» مما يدل على أنه كان في كثير من الأحيان يعتمد إلى الحاكاه والتقليد بالرجوع إلى الأساليب القديمة.

(١) ديوان البارودى ١٠ : ١

(٢) ديوان المتبي: ١١٤ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٤٤م)

(٣) ديوان البارودى ١ ٢٠ : ١

(٤) ديوان الشريف الرضى: ٨٥ (المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠٧هـ)

(٥) ديوان البارودى ١ ١٢٠ : ١

(٦) ديوان النابغة الذئباني: ٣٧ (المكتبة الأهلية، بيروت)

وظاهرة أخرى في شعر البارودي تدل على مدى سيطرة التقاليد عليه أنه كرر بعض المعانى بصورة واضحة فمن ذلك قوله في قصيدة التي مطلعها:

قلدتُ جيد المعانى حلية الغزل وقلت في الجد ما أغني عن المزمل
لكتنا غرض لشر فى زمن أهل العقول به فى طاعة الخجل
قامت به من رجال السوء طائفة أدهى على النفس من يؤمن على تكمل

ويكاد يكون ذلك تكراراً لقول المتبي:

أفضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاقهم من الفتن
ولأنما نحن في جيل سواسية شر على الحرم من سقم على بدن
ولم يحاول البارودي أيضاً أن يخرج على شكل القصيدة المتوارث ولا
على الأسلوب الشعري التقليدي فظلت قصائده من بحور الشعر المعروفة وفي
الوقت الذي ينحو فيه البارودي نحو العصر الجاهلي في الوقوف على الأطلال
والدمن فيقول في قصيدة له:

ألا حيّ من أسماء رسم المنازل وإن هي لم ترجع ياناً لسائل
خلاء تعفتها الروams والتقت عليها أحاضيب الغيوم الحوافل^(١)
زراه في أحيان أخرى يرتد إلى قول الشعر على طريقة المعاصرين له فنراه في
بعض قصائده يورخ للأحداث بحيث يكون مجموع الأرقام التي تقابل الألفاظ
المستعملة في القصيدة موافقاً في الجملة للسنة المجرية التي كان فيها الحدث ومن
ذلك قصيدة التي يقول فيها مادحاً المخيوب عباس:

أمولاي دم للك ربا تسوسه بحكمة مطبوع على الحلم والباس
فلولاك ما فازت يد القطر بالمنى ولا نشأت روح العدالة في الناس

(١) ديوان البارودي ١: (مقدمة)

(٢) ديوان المتبي: ١٥٥

(٣) في الأدب الحديث ١: ١٦٤

ووهذا لسان الشكير يدعو مؤرخا حوى العيد أنواع الفخار يعيش

١٢٥ ١٢٨ ٩١٢ ٢٤

٥١٣١٤

فهذه الأيات تخلو خلوا تاما من كل روح شاعرية حتى أتنا لا نستطيع
ن نعدها من قبيل الشعر الرacy . ولقد يتناول ما مضى من آثار التقليد التي
ظهرت واضحة في شعر البارودي لتمكن في دراستنا من وضع أيدينا على
التجديد الذي آتى به ، وعلى أثر ذلك في الشعر الحديث .

بالرغم من غلبة هذا الطابع على شعر البارودي فإنه قام بدور خطير
في الشعر العربي في أول الطريق الصحيح الذي سار عليه فيما بعد ، ولعل حياة
البارودي بما فيها من الأحداث الجسم ومشاركته في الحياة السياسية في
عصره مشاركة فعالة والأساة التي انتهت بنفيه إلى جزيرة سرديني قد خلقت
له مجالا جديدا ليقول فيه الشعر وفتحت أمامه أبوابا لم تكن لفتح لغيره
واننا واجدون أن تصور تلك الأحداث من أهم ما قال فيه البارودي ،
وقد ظهر صدق الإحساس في كثير من القصائد فالشوق إلى مصر ومناظرها ،
ورثاؤه لزوجته في المنفى ، وقصائده في وصف الخلاف بين زعماء الثورة
العراية ، وبذلك أتجه إلى الناحية السياسية الوطنية ، وسنرى أن ذلك سيكون
من أهم الأغراض التي قال فيها شوقى ومعاصروه .

ونحن نستطيع القول بأن تقليد البارودي للقدماء غطى عليه صدق
إحساسه وقدرته على تصوير المرئيات واستخدام العين في نقل الصور وتحسيسها
حتى ليكاد يرسم لوحات لها .

تلك القدرة التصويرية المبدعة هي الظاهرة الأولى المميزة في شعر البارودي
والتي بها وحدها استطاع أن يكون حدثا جديدا في الشعر ، واستطاع أن
يعطى من تلاه من الشعراء مفتاح الأفكار التي يستطيع الشاعر أن يقول فيها ،

ذلك لأن البارودي قرأ الوصف في دواوين القدامى ورأى أنه يأتي عرضاً في ثانياً القصيدة، ولكنه أفرد قصائد كاملة للوصف وأضاف إليه جزماً من تفاصيله وإحساساته، وحاول أن يجدد في التشبيهات القدمة فراه يشبه التحوم بأنها كهرباء في سماء لأنه أراد أن يختار عصره فيما يصف.

أما الشعر السياسي الوطني فإن البارودي فتح بابه على مصراعيه أمام شوقي فكان من أهم الأغراض التي استهدفتها هذا الشاعر أن يقول في الوطنية وفي الأحداث السياسية الكبرى وأن يسجلها تسجيلاً تاريخياً في بعض الأوقات ولضيف إليها أفكاره السياسية في أوقات أخرى، ونحن نرى البارودي يذكر الخديوي توفيق بأمر مجلس شورى النواب الذي وعده بانشائه فيقول:

أفران ما اجتمعا لقائد أمة إلا جنى بهما ثمار المؤبد
جمع يكون الأمر فيها ينهم شوري وجندي للعدو بمرضد
هيئات يحيى الملك دون مشورة ويعز رُكْن الجند مالم يعند^١

فثبت بذلك لنفسه رأياً سياسياً يراه في طريقة الحكم وسياسة الرعية، وعلى الجملة فإن البارودي كان من الشخصيات البارزة في عصره، وكان عنف الحوادث التي أكتشفت حياته معيناً له على قول الشعر ونراه هنا يذم بعض الحكم فيقول:

من كل وغدى يكاد الدست يدفعه بعضاً ويلفظه الديوان في ملل
ذلك بهم مصر بعد العزف اضطربت قواعد الملك حتى ظل في خلل
وأصبحت دولة الفسطاط خاضعة بعذ الإيماء وكانت ذهرة الدول^٢
وبالإضافة إلى التجديد الذي أحدثه البارودي في المعانى والأغراض التي
تكلمتنا عنها فإن أهم ما يميزه هو أنه أعاد القوة والجزالة القصصية كما فهمها

(١) في الأدب الحديث ١: ١٨١-١٨٢، ديوان البارودي: ١٣٥ (مطبعة دار الكتب بمصر، ١٩٤٠)

(٢) أينا ١: ١٨٤

النقد في العصر العباسي الأول، وما تلاه إلى الشعر، يقول الأستاذ العقاد: قوله، على هذا، ميزة واضحة لا نظير لها في تاريخ الأدب المصري الحديث، وتلك أنه قد وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمانعة، وأوشك أن يرتفع هذا الارتفاع بلا تدرج ولا تمهيد^١. والذي نهدف إلى قوله أن ظهور البارودي كان تغيراً جوهرياً في الشعر العربي وأنه استطاع أن يدخل روحه وذاته في بعض نواحي شعره، واستطاع أن يبعد عن الأغراض المتداولة في عصره فكان في ذلك ارتفاع بمقام الشعر لم يتتبه إليه الشعراء بعد البارودي إلا بفترة غير قصيرة، وكان ذلك حجاباً ضرب على المرتقة من الشعراء وإماماً لتوافه القول. التي كانوا يجهدون في نظمها بل إن الشعراء من تلا البارودي رأوا أن مجال القوة والشاعرية لا يأتي إلا من قال في مثل أغراض البارودي، فهو بذلك أحدث النقلة القوية التي أدت إلى ظهور المفهومات الحديثة للشعر وإلى جلاء أهدافه التي نحن بصدده دراسة جزء منها وإلى التجديد في طريقة الصياغة من حيث الوزن والألفاظ، كل هذا أوجد المدرسة الحديثة، وهنا يحسن لنا أن ننتقل إلى المرحلة المميزة التالية في الشعر العربي، والتي بدأت بظهور شوقى وأتجاهاته فأثارت خوها من النقد ومدارسه ما أثارت.

المرحلة الثانية في التطور: شوقي: لقد كان حديثنا عن البارودي حديثاً سهلاً لأن البارودي لم يثر حوله ولا حول مدرسته ومذهبته من النقد مثل ما أثير حول شوقي، بل إن هناك شبه إجماع بين المتخصصين في دراسة الأدب، على أن ظهور البارودي قد أحيى الشعر العربي ورد إليه ما فقده من القوة على مر العصور، ونبله إلى مرتبة لم يكن قد بلغها من قبل إلا في العصر العباسي، فكان ذلك إيذاناً بالنهضة الحديثة وبعثاً لها، ومن هنا كان

(١) شراء مصر ويتهم في الجيل الماضي: ١٢١ (مكتبة النهضة، الطبعة الثانية)

حدّثنا عن البارودي باعتبار أنه المرحلة الأولى في التطور.

أما شوق فقد أثير حوله من النقد ما أقام مدرسة كاملة حاولت أن تفهم أصول الشعر وحاولت أن تحدث فيه تطويراً يلائم العصر.

والحقيقة أن الصراع بين القديم والحديث الذي يقوم في الأصل على عنصر حب التطور في النفس البشرية لم يكن أهدافه في عصر البارودي قد وضحت، ولم تكن مد لولات كلاس القديم والحديث قد تحدّدت، بل لم يكن هناك من يثور على القديم، أو يطلب فيه تقضي وتغييراً، حتى إن النقاد في أوائل القرن العشرين كان جوهر النقد عندم اللغة والإمام بال نحو والصرف، فكان كل ما يهمهم في الشعر أن تكون قواعده مطابقة لقواعد اللغة، وزرى هؤلام النقاد يحملون حملة قوية على شوق في أول أمره لأنه خرج على التقاليد المتوارثة، يقول الدكتور شوق ضيف: «وكتب المويahi في صحيفة «مصباح الشرق» نقداً لقصيدة شوق «خدعواها بقولهم حسناً» كأنه رأى فيها زبدة الجديد الذي أتى به، وخاصة إنه ذكرها في مقدمته لشوقياته ونوه بغيرها، فأنا من هذه النافذة التي فتحها، وروع شوق وحمل البازجي عليه أيضاً حملة منكرة حين أخرج قصته النثرية «عذراء الهند».

من ذلك نرى أن شوق تعرض في بدء حياته الأدبية لنقد شديد من جانب النقاد اللغويين، ولكنه لم يتعرض لتلك الحملة وحدها وإنما تعرض حملة أخرى من جانب عبد الرحمن شكري وإبراهيم المازني والعقاد، يقول الدكتور شوق ضيف: «ولم يتوجه عبد الرحمن شكري إلى النقد وإنما اتجه مباشرة إلى إحداث نماذج جديدة في الشعر العربي لا تدور في فلك المديح وإنما تدور في فلك الحياة والانسان بخيرة وشره والدنيا بآثامها وألامها، وأخرج الجزم الأول من هذه النماذج سنة ١٩٠٩م، وكان يقابل العقاد والمازني، وقد

(١) شوق شاعر العصر الحديث: ١٠٤ (دار المعارف بمصر)

جمعاً بين الحسينين من النقد والشعر ، فنظرما على الطريقة الجديدة التي بدأها شكري ، وأخذنا يديزان دقة فقد جدید يستمد من النقد الإنجليزى ومن غيره^١ .

إذا فقد تبلور الصراع واتضحت مقوماته بعد ظهور شوقى ، فكان وجوده فيضلاً بين مذهبين و وجد هؤلاء النقاد في شعره فرصة طيبة للتعبير عن آرائهم في الشعر على العموم وعلى إيضاح مدى التجديد الذي يمكن أن يدخل عليه وأتجهوا في سبيل ذلك إلى دراسة الشعر دراسة تفصيلية في أهدافه وألفاظه ومعانيه وأخياله والمثل الفنية له والانعكاسات النفسية التي يثيرها والمذاهب النقدية التي يدخل تحتها ، بل خرجوا من ذلك إلى دراسة الفنون عاممة دراسة قد تكون فلسفية جمالية في بعض الأحيان .

ومن لا شك فيه أن وظيفة النقد تقوم على تفسير الآثار الأدية تفسيراً جديداً وتهدف إلى إحداث تطور وتقدم فيها ، وعلى ذلك فإن مفهومات الشعر قد تغيرت تغيراً كلياً في أذهان أصحاب المذاهب الجديدة من استقروا ثقافتهم من الغرب ، ولم يبق واحد منهم يستطيع الإيمان بأن الطريقة القديمة في قول الشعر مما يصح احذاؤها والسير على منهاها ، ولقد كان بعضهم للقديم عيناً مؤثراً وظهرت آثاره واضحة في التحيز البادى في أقوالهم عند ما أنكروا على شوقى كل تجديد وأصالة .

ونحن لا نرمى إلى دراسة الاتجاهات النقدية بالتفصيل ، وإنما يعنينا الأمر الذي أحدهاته في شعر علي محمود طه ، ولقد كان شاعرنا هذا من تأولهم ذلك النقد وكثب عنه النقاد مقالات توضح رأيهما في أسلوبه الشعري كالمقالة التي كتبها الدكتور طه حسين ، والتي قال فيها إن الشاعر يسيء إلى لغافية كثيرة وينحط في اللغة ويجمسم ما لا يمكن تجمسيمه ويغلو في ذلك غلواً فاحشاً .

(١) شرقى شاعر العصر الحديث : ١٠٨

(٢) حدیث الأربعاء : ٣ : ١٤٦ - ١٤٧ (دار المارف بمصر ، ١٩٥٣ م)

والمهم عندنا أنه ظهرت مدارس للنقد وظلت في الموضوعة، وإن كانت الذاتية لا تزال متغلبة في بعض النواحي واستعاض النقاد بالمناهج الأوروبية ودخلت كلات الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والシリالية إلى الفنون العربية بصفة عامة؛ فأفادت تلك الدراسات وأعطت صوراً جديدة لم تكن تخطر من قبل في أذهان الناس فكانت تلك الصور فرصة للحياة الجديدة وللحركة من ضغط القيود والتقاليد واضطرب أصحاب المذهب الكلاسيكية إلى الخضوع لهذه الروح ومسيرة التطور والخروج من الجسدة بصورة ما، ولقد طرقت هذه التيارات الأذهان طرقاً عنيفاً وأحدثت دوياً هائلاً وخلقت قبات من الأدباء المتخصصين في دراسة الأدب، بعد أن كان يأتي على هامش حياة الأدباء.

كل ذلك النقد كان حول شوقي وطريقته الغنائية في قول الشعر، وفي ذلك الجو النقدي نشأ على محمود طه، ولذلك وجب علينا دراسة شوقي لمعرفة مقدار التجديد الذي أدخله في الشعر ثم نشئ إلى على محمود طه لنرى مبلغ استجاباته الطبيعية لشوقي ومبلغ تأثيره بمذاهب النقد التي نشأ فيها.

والذى لا شك فيه عندنا أن شوقي كان صاحب طبيعة فنية وموهبة توحى إليه قول الشعر؛ هذه الطبيعة والموهبة في حذاتها تدعونا إلى احترامها باعتبار أن الفن من أعلى المواهب الإنسانية وهي التي تدفع صاحبها إلى الابتكار ومهما تلون ذلك الابتكار باللوان الصناعية واكتسب الطابع التقليدي إلا أن نفسية صاحبه ومشاعره لا بد أن يظهر ولو لمرات قليلة خلاله وكذلك كان الأمر مع شوقي فإنه سار في نفس الاتجاه الذي سار فيه البارودي من قبل من الاحتفاظ بالشكل المتوارث للقصيدة في أغلب الأحيان وإلى استعمال الأوزان المعروقة فكان ذلك الاتجاه كفيلة بأن يدخله في التيار العام للشعر العربي وإلى أن يضعه في صف المقلدين الذين أحبو الأسلوب الكلاسيكي، يقول الدكتور شوقي ضيف: «وكان شوقي موكلًا بشعراء العربية

الممتازين في موسيقاهم جيئا ، فهو يتعقبهم يزيد أن يشبع أذنه من أصواتهم وما استخرجوه من ألحان واعتصروه من أنغام ، فيما مع البحترى ، ويوبأها مع ابن الرومي ، ويوما مع مهيار ، أو الشريف الرضى . ويخيل إلى الإنسان أنه لم يبق لحن أو لم تبق قصيدة مهمة في العربية إلا وشد رحاله ليستمع إليها ، ولا يكتفى بذلك غالبا بل ما يزال يشحذ خياله وقيثاره ليعارض هذا اللحن أو تلك القصيدة^١ .

إلا أنها نرى أن شوقي قد ترسم خطى شاعر بذاته هو المتبي وحاول أن يجعل من نفسه شاعر الأمير ، كما كان المتبي شاعر سيف الدولة وصدرت مدائحه تشير كلها إلى هذا الاتجاه وإن كان شوقي قد عاب غلبة المدح على الشعر العربي و دلّ لو تخلص من هذه الظاهرة ، ولكن حياة شوقي لم تكن لتتيح له الفرصة للنخاض من المدح ، فإنه ولد بباب اسماعيل كما قال ، وكانت نشأته في القصر داعية له على الاستزادة من القول في هذا الغرض :

و مع أن شوقي تربى في فرنسا و اطلع على الآداب الأوروبية فلم تستطع هذه التربية ولا ذلك الاطلاع أن يخرجه من ضغط التراث العربي التقليدي ، نخرج الطابع العام المميز لشعر شوقي مطبوعا بالصفة الغنائية الغالية على الشعر العربي .

ومن مظاهر التقليد الواضحة في شعر شوقي اتجاهه إلى معارضته القصائد المشهورة فهو في هذا امتداد لمذهب البارودي في المعارضات ، ومن أشهر هذه المعارضات قصيده البايبة التي مطلعها :

الله أكابركم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب^٢

و هذه معارضه منه لقصيدة أبي تمام التي مطلعها :

(١) شوق شاعر العصر الحديث : ٨٠

(٢) الشويقات ١ : ٥٤ (دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦ م)

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب^١
ولقد أفراد الدكتور طه حسين طا جزءاً من الحديث في كلامه عن المثل الأعلى
في الشعر فقال: «هناك فرق بين الشعر المصري الحديث والشعر العربي القديم،
 فهو يشبه في الصورة والشكل ، ولكنه يخالفه في الحقيقة والجوهر»^٢ ونثم مضى
بعد ذلك الدكتور طه حسين في بيان العيوب التي رأها في القصيدة متخذة
المقياس السابق في النقد وخلص إلى القول: «أن هذه القصيدة إنما هي أشبه
شيئاً بالتمرير المدرسي يذهب به الأطفال منهب المحاكاة للنماذج الفنية التي
تلقى إليهم».

ولا شك في أن الدكتور طه حسين كان من الزواد الأول في الدعوة
إلى التجديد وطرح القديم وأساليبه ، ولقد أوردتا الندوة السابقة كملخص لرأيه
في المعارضات ، ولكن ذلك لم يكن يعني شوق عن السير في هذا الاتجاه من
معارضة القصائد القديمة فنرى بعد ذلك عدداً من القصائد في الديوان وأكثرها
معارضات مثل :

مضناك جفاه مرقده وبناه بورحم عوده

وهذه معارضة منه لقصيدة الحصري المشهورة التي مطلعها :

يا ليل الصبّ متى غده أ قيام الساعة موعده

ومثل :

يا نامح الطلح أشباء عواديها شجي لواديك أم نأسى لوادينا

وهذه معارضه لقصيدة ابن زيدون التي مطلعها :

(١) ديوان أبي تمام : ١٥ (طبع بيروت ، ١٨٨٧م)

(٢) حافظ وشوق : ٢٥ (الطبعة الثانية ، ١٩٥٣م)

(٣) الشرقيات ٢ : ١٥٢

(٤) أيضاً ٢ : ١٢٧

أضجى الثنائي بدليلاً من مَدَانِيَا وَنَابَ عَنْ طَيْبِ تَقْيَانَا تَحْافِنَا
 ولقد يثار بعض النقاد في الاتجاه الذي أشرنا إليه من قبل وهو المقارنة
 بين شوقى والمتبي وتقسوا المعانى التى أخذها شوقى من المتبي ووازنوا بين
 القصائد التى عارض فيها شوقى المتبي وقصائد المتبي بنفسها ، ومن ذلك المقارنة
 التي عقدها الأستاذ عباس حسن^(١) بين مرثية شوقى لامه ومرثية المتبي بجدته ،
 وخلص منها إلى أن شوقى قصر عن بلوغ المعانى التى أوردها المتبي ، وكذلك
 كتب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى مقالاً وازن فيه بين شوقى والمتبي حيث
 يقول : «ولقد ظهر لي من درس شوقى في ديوانه أمر عجبت به له ، فإني
 رأيته يأخذ من أبي تمام والبحترى والمعرى وابن الرومى وغيرهم ، فربما ساواه
 وربما زاد عليهم حتى إذا جاء إلى المتبي وقع في البحر وأدركه الغرق لأنه
 نشأ على ربه منه ، كما تشير إليه عبارته في مقدمة ديوانه الأول»^(٢) .

وهنا لا نزال نلحظ بين النقاد ظاهرة الموازنة بين شاعر وشاعر موازنة
 فردية تقوم على المعانى المشتركة التى قالوا فيها وكان ذلك من أثر فكرة السرقات
 التي أشرنا إليها في الجزء الأول من هذا الفصل ، ولا يحسسهم بأن شوقى
 لم يصدر شعره عن ذاتيه المطلقة وإنما كان مقلداً للقدماء ، وحاولوا الوصول إلى
 معرفة المؤثرات الأساسية في حياة شوقى وبنته التي عاش فيها والتي دعته إلى
 سلوك هذا المسلك بالرغم من ثقافته الغربية^(٣) .

ولقد تصدى العقاد وتلاميذه لشوقى ، وأنكروا عليه كل أصالة واستعنوا
 بأحكام النقد الأوربى ، فرى العقاد يقول : «ولقد ضاع الشعر العربى بين قوم
 صرفوه فى تجنیس الألفاظ ، وقوم صرفوه فى تزوين المعانى ، فما كان شعراً

(١) المتبي وشوقى : ٢٤٨

(٢) أيضاً : ٢٤٨

(٣) حافظ وشوقى : ٢٠٠ (الطبعة الثانية ، ١٩٥٣م)

بالمعنى الحقيقي إلا في أيام الجاهليين والمخضرمين على ضيق دائرة المعانى عندهم^(١) وخلاصة القول عن هذه المدرسة أن الشعر يجب أن يكون مراة صادقة لنفس الشاعر وأنه إن لم تظهر ذاتية الشاعر في شعره فتلك هي الصناعة وأن القصيدة بنية حية متماسكة الأجزاء متحددة الأهداف وأن الشاعر الذى ينوع أخيلة القصيدة وأغراضها لا يعد شاعراً، ويتجلى هذا الاتجاه فى نقد الأستاذ سيد قطب^(٢) لقصيدة شوق التى يقول فيها:

قف بذلك الفصور في اليم غرقى ممسكا بعضها من الذعر ببعضها^(٣)
وبين أن صورة الذعر التى رسما شوق فى هذا البيت قد نقضها فى البيت
الذى يليه إذ يقول :

كم ذارى أخفين فى الماء بضا سباحات به وأبدبن بضا

ثم قال أصحاب هذه المدرسة إن الشعر يجب أن يصدر عن التجربة الإنسانية الصادقة سواء كانت عامة أو خاصة وليس عن قدرة لسانية تظهر في التقليد والمحاكاة، ولقد ساعد وجود حافظ إبراهيم في نفس الفترة التي وجد فيها شوق على نماء النقد واتجاهاته لأنهم وجدوا فرصة لعقد مقارنة بين الشاعرين، وإلى بيان الأصلية عند واحد منها أو الآخر، وكان هناك ميل إلى تفضيل حافظ إبراهيم على شوق لأن التجارب القاسية التي مرت بحياته كانت مصدرا سليما لاهامه الشعري، كل هذا النقد الموجه إلى شوق وبشعره يدعونا إلى البحث عن التجديد الذى أحدهاته شوق وبالتالي نخرج إلى أثر ذلك الاتجاه في شعر على محمود طه.

لقد كانت حياة شوق تحملو من الأحداث المهمة التى توقفت في النفس

(١) مجلة الكتاب، عدد خاص عن ذكرى شوق وحافظ: ٥، ١٥، أكتوبر سنة ١٩٤٧م

(٢) النقد الأدبي: ٣٦ - ٣٥ (دار الفكر العربي، ١٩٤٧م)

(٣) الشوفيات ٢: ٦٨

الإحسانات فيكون الشعر هو المترجم عنها، ومن هنا كانت صناعة شوقى وخلو القصائد التي قالها في بدم حياته من الذاتية والفردية، وانصرافها في الغالب الأعم إلى المدح، ولكنه عند ما بلغ الأربعين تناولت حياته هزة بالنق إلى الأندلس، فكان ذلك النق من العوامل المهمة التي غيرت مجرى تفكيره فإنه بعدها صار بالأغراض القديمة التي قال فيها فضلاً عن أن ذاتيته ظهرت واضحة في أندلسياته التي بين فيها الحنين والشوق إلى مصر بصورة حادة مما يدل على الإحساس الحقيقي بذلك الحنين، ويظهر ذلك في أبياته الثلاثة التي بعث بها إلى حافظ إبراهيم من الأندلس والتي قال فيها:

يا ساكني مصر إنا لا نزال على عهد الرفاء وإن غبنا مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم شيئاً نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسته ما أبعد النيل إلا عنأمانينا^١

وكذلك ظهر نفس الإحساس الصادق بالحنين إلى الوطن في أندلسيته التي مطلعها:
يا ناسخ الطلح أشباء عواديـنا نشجـى لـواديـك أـم نـأسـى لـوـاديـنا^٢
ظهر الصدق في الإحساس أيضاً ظهوراً قوياً في قصيدة الأخرى التي مطلعها:
ما تختلفـ النـهـارـ كـوالـلـيلـ يـينـسـيـ اـذـكـرـاـ لـالـصـباـ وـأـيـامـ أـنسـيـ
وووضـفـ فيهاـ ماـ يـجـولـ فـيـ خـاطـرـهـ منـ آثارـ مصرـ وـذـكـراـهاـ.

بومـا عـادـ شـوـقـيـ فـيـ سـنةـ ١٩١٩ـ مـ إـلـىـ مـصـرـ وـانـدـلـعـتـ نـيـرانـ الثـورـةـ الـوطـنـيـةـ
المـصـرـيـةـ كـتـبـ شـوـقـيـ قـصـائـدـ فـيـ الـوطـنـيـةـ، وـإـنـ كـانـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ قدـ سـبـقـ ظـهـورـهـ
فـيـ شـعـرـهـ بـمـقـدـارـ كـاـ يـظـهـرـ فـيـ قـصـيدـتـهـ التـيـ وـدـعـ فـيـ الـلـورـدـ كـرـوـمـرـ.
ولـقـدـ قـالـ شـوـقـيـ فـيـ عـيـدـ الـاسـتـقـلـالـ وـفـيـ نـجـاتـةـ سـعـدـ سـوـفيـ ظـائـفـةـ هـنـ.

(١) مجلة الكتاب، ذكرى شوقى بمحاظة هند نحاسن، أكتوبر ١٩٤٧ م، ص ١٥١٧.

(٢) الشرقيات ١٢٧: ٢

(٣) أيضًا ٤٤: ٢

الحوادث السياسية الكبرى ، فهو على العموم كان يتأثر بالحوادث السياسية ويراها مجالاً لقول الشعر ، وهنا نرجع إلى ما ذكرناه من أن شوقي يعتبر امتداداً للبارزاني في هذا المجال من القول في الوطنية ، وإن كان شوقي قد تعدى مصر إلى البلاد العربية ليشجعها ويقول الشعر في تمنياته لها .

وربما تكون عودة شوقي من المنفى وبغضه للأغراض القديمة هو الذي دعاه إلى تأليف مسرحياته ، وإن كان قد ألف من قبل رواية قبض فسقطت وأثر سقوطها في نفسه فأحجم عن تأليف المسرحيات حتى غادر من الأندلس ، ولكن شوقي وقد مارس طريقة التأليف القديمة معظم حياته لم يكن يستطيع أن يتخلص منها حتى بعد أن وجد غرضاً جديداً لقول الشعر وهو التأليف المسرحي ، ولاح له أنه يستطيع أن يقول على نفس الطريقة الغنائية وصارت النواة الغنائية محور فنه بأجمعه وبها وعن طريقها انتقل إلى المثل وأثر في الجمهور ، ومن هذه النواة تتبع حسنات فن شوقي وعيوبه ، فهذه الأغاني امتداد لما كتبه الشاعر من مقطوعات غناها المغنون^١ .

وعلى العموم فإن مسرحيات شوقي كانت تخلو من مقومات المسرحية التي تعتمد على الحادثة والعقدة والصراع والحوار ، بحيث تكامل هذه المقومات تماماً يضمن الحركة المسرحية ويرتفع بالرواية التمثيلية إلى مرتبة التراجيد الأوربية . أما الأغاني التي كتبها شوقي والتي غناها المغنون فإنها كانت تمتاز بالرقابة في الألفاظ وبالرنين الموسيقى فيها ، وسرى على محمود طه وقد تقدم خطوة بموسيقى اللفظ إلى الأمام أكثر من شوقي وإن كان في الأصل متأنراً بهذبه في الأغاني التي هرت إحساس جيل كامل ولازال . ولا يستطيع أن ننسى تلك الأغاني مثل :

يا جارة الوادي طربت وعادني ما يشبه الأحلام من ذكراك^٢

(١) المسرحية في شعر شوقي : ٣٦ (مطبعة المقتطف والمقطم : ١٩٤٧)

(٢) الشوقيات ٢ : ١٧٨

أو : أنا أنطونيو . . .

أو :

رددت الروح على المضني معك أحسن الأيام يوم أرجوك
وهناك قصيدة لشوقى يصف فيها غابة بولونيا ، وكان نظمه فيها من
أصدق التجارب الشعرية .

وناحية أخرى جدد فيها شوقى ، وهى تسجيله للأحداث السياسية
الكبرى تسجيلا تاريخيا ، واستلهم محتائف التاريخ ليدعى محسولة منها في
قصائده فنراه يقول :

غبار بالتأريخ واجعل صحفه من كتاب الله في الإجلال قابا
واطلب الخلد ورمي منزلا تجد الخلد من التأريخ بابا^١
ثم نجد ذلك الاتجاه واضحا كل الوضوح في قصيده التي نظمها في كبار
الحوادث في وادى النيل ، والتي تناول فيها عصر بناء الأهرام وعصر رمسيس
 وإغارة الفرس إلى آخر تلك القصيدة ، ثم يزيد ذلك الاتجاه وبين عند ما
يلم شوقى بطاقة من عظامه الشرق والغرب يسجل تاريختهم ، فكان من تناولهم
شوقى نابليون ومحمد علي والخديجو اسماعيل وكشر ، ثم إن شوقى وقف على
طاقة من الآثار يستوحى الذكرى وعبرة التاريخ ، وكان بعض هذه القصائد
فرائد في الشعر أتعرف لها القادة المحدثون بالامتياز لما ظهر فيها من صدى
إحساس شوقى بجمال القديم ومن تلك القصائد قصيده التي مطلعها :

قنى يا أخت يوشع خبرينا أحاديث القرون الغابرينا^٢
الى أعجب بها الدكتور طه حسين وقال فيها : «ولقد أعجز العجز كله
إن أردت أن أصف لك جمال هذه القطعة الصافية المتلائمة من قصيدة شوقى ،

(١) الشرقيات ٢ : ١٨

(٢) أيضا ١ : ٢٧١ (دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦)

وهذه القطعة التي يتحدث فيها الشاعر إلى فرعون فيسأله ويستطعه بالحكمة العالية والمعنفة الحسنة^١. وهنا يسجل الدكتور طه حسين حسنة من حسنات شوق التي أعجب بها على الرغم من نقده لمعارضات شوق.

وبالاضافة إلى التجديد في الأهداف من حيث ايجاد الشعر التمثيلي ومن حيث تسجيل التاريخ إلى آخر ما ذكرنا نرى شوق يصف الطبيعة. وصفا يتجلّى فيه روعة الإحساس بجماليتها ويحاول أن ينقل صور المرئيات بالعين كما فعل البارودي من قبل وهو قد تفتقى بالشمس والبدر والبحر والنيل ووصف الآثار كما في القصيدة التي أشرنا إليها سابقاً، وكما في قصidته في وصف قصر أنس الوجود.

والحق أنتا في إمامتنا السريعة بالبارودي وشوق لم تستهدف إلا إظهار تاريخ تطور الشعر لكي نلم بالتجدد الذي أدخله على الشعر، ولأن الجيل المعاصر لم يسمح بشاعرين محدثين أكثر مما سمح بهما، وكان لزاماً علينا أن ندرسهما لنعرف أثرهما في شاعرنا، ولنعرف أثر المدرسة الحديثة في النقد عليه فان مدرسة النقد الحديث كما قلنا ثارت مناقشاتها حول شوق وطريقه في الشعر، ونحن سنحاول أن ندرس شعر على محمود طه لنرى هل هو امتداد لشوق ومدرسته وطريقته أو أنه أدخل عناصر جديدة لم تكن موجودة من قبل على هذه المدرسة والطريقة، أو هل هو أثر مباشر من آثار مدرسة النقد الحديث، أو أنه طراز وحده فريد في الشعر العربي على العموم. تلك هي الأسئلة التي سنحاول أن نجيب عنها في الفصل التالي لتحديد مكان على محمود طه بين القديم والجديد.

شعر معنٰ من أوس المزني

إننا في دراستنا هذه لشعر معنٰ تناول الموضوعات التي تناولها والأغراض التي طرفاً ومدى قوتها ومتانته في هذه الموضوعات.

نجد بعد دراسة شعر معنٰ أنه تناول عدة موضوعات كان يحول فيها ويصل إلى بعض هذه الموضوعات تظاهر مقدرتها وقوتها وفي بعضها لا يتميز عن أي شاعر آخر.

نرى أنه تناول الغزل والنسيب والوصف والمدح وأحياناً يدخل ميدان الهجاء والعتاب أيضاً.

الغزل :

قلنا في ترجمة معنٰ بن أوس أنه نشأ في الباذية في قيلنه «مزينة»، ولكن بعد ما شبّ تحول في الآفاق كعامة العرب وكعامة الشعراء، في هذه الأسفار والرحلات رأى أناساً مختلفين كما رأى وجوهاً جديدة من الشاميات والعربيات وحظى بعضهن بالزواج والوصال، وحرم بعضهن بعد ما سامت الظروف وأدركت الأيام. وكان يعاني لوعة الحب ويحن إلى اللقاء ويشتاق إلى وقية حبيبته ولو في النمام، فهو في هذه الحالة يتغزل باخلاص ويقول باحساس صادق بل ينقل احساسه الكامن ويبيث وجده الملهب.

وأحياناً نجده يذكر النساء في بداية القصائد وقد تكون في الفخر أو العتاب وأحياناً تكون في المدح والثناء.

وفي هذه الحالة يسلك مسلك عامة الشعراء العجاهلين يعني يجعل الغزل وسيلة لا غاية ويصف الغانية ولا يصف لواعج الموى وألم الفراق.

يقول في بداية القصيدة الميمية أول قصيدة في الديوان :

وشاوك بالمسحاء من سرف دسم
وحتت به الأرواح والمطر السهم
نوى الشحط اذا ردوا الجبال واذ زموا
سفانـتـ أو نخل مذلة عمـ
وأحسن من يعشى على قدمـ نعمـ
ولم تجاوبـ حولـ كلـهاـ البـهمـ
وجيدـ كـجيدـ الـريمـ زـينـهـ القـطمـ
عليـهاـ اذا دـنـتـ غـسـطـاـتـهاـ كـرمـ
وـكـعبـ عـلـاهـ الـاحـمـ لـيـسـ لـهـ حـجمـ
ويـقـتـلـهـمـ مـنـهـاـ التـدـلـ وـالـنـفـمـ
نـمـتـ فـيـ نـعـيمـ وـانـهـمـلـ بـهـاـ الـجـسـمـ
نوـاعـمـ لـاـ سـودـ قـصـارـ وـلـاـ خـمـ

عـفاـ وـخـلاـ مـنـ عـهـدـتـ بـهـ خـمـ
عـفاـ حـقاـ مـنـ بـعـدـ ماـ خـفـ أـهـلـهـ
مـدـامـ سـىـ صـالـحـينـ رـمـتـ بـهـ
بـعـينـكـ رـاحـواـ وـالـحـدـوجـ كـانـهـاـ
وـفـيـ الـحـيـ نـعـمـ قـرـةـ الـعـيـ وـالـمـنـيـ
مـنـعـمـةـ لـمـ تـغـذـ فـيـ رـسـلـ ثـلـةـ
سـبـتـنـيـ بـعـيـنـيـ جـبـرـ بـخـمـيلـهـ
وـوـحـفـ يـثـيـ فـيـ الـعـاقـاصـ كـانـهـ
هـلـ كـفـلـ رـأـبـ وـسـاقـ عـيـمـةـ
تـصـيدـ أـلـبـابـ الرـجـالـ بـأـنـهـاـ
لـاـخـيـةـ عـجـزـاءـ جـمـ عـظـادـهـاـ
تـوـالـدـهـاـ يـضـ حـرـاثـرـ كـالـدـمـيـ
إـلـىـ أـنـ قـالـ :

وـذـىـ رـحـمـ قـلـمـ أـظـفـارـ ضـغـتهـ
بـحـلـمـيـ عـنـهـ وـهـ لـيـسـ لـهـ حـلـمـ
فـقـ الـبـادـيـةـ كـانـتـ الرـسـومـ تـعـفـرـ وـالـأـثـارـ تـزـولـ ،ـ وـالـخـيـمـ تـقـلـعـ وـالـأـهـلـ
وـالـعـشـيرـ يـرـحلـونـ وـيـتـقـلـلـونـ حـسـبـ الـظـرـوفـ وـالـأـحـوالـ ،ـ فـعـينـ كـانـ الشـاعـرـ
يـمـرـ بـهـذـهـ الـدـيـارـ فـيـذـكـرـ الـدـيـارـ كـماـ يـذـكـرـ أـيـامـ الـوـصـالـ وـسـاعـاتـ الـهـنـاءـ حـيثـ
كـانـ الـقـلـبـ فـيـ سـعـادـةـ بـمـنـظـرـ مـحـياـهاـ وـطـلـعـةـ وـجـهـهاـ وـعـذـوبـةـ حـدـيـثـهاـ .

وـنـرـىـ مـعـنـ بـنـ أـوـسـ أـيـضاـ وـصـفـ الـأـثـارـ وـمـاـ يـتـقـيـ مـنـهـ ،ـ وـصـورـةـ هـذـهـ
الـتـيـ تـزـولـ وـتـنـدرـسـ بـعـدـ هـبـ الـرـيـاحـ الشـدـيـدةـ وـنـزـولـ الـأـمـطـارـ الغـزـيرـةـ ،ـ
فـعـاـوـدـهـ الذـكـرـيـاتـ الـماـضـيـةـ فـيـذـكـرـ صـورـةـ حـيـيـتـهـ كـيـفـ سـافـرـتـ مـنـ هـذـاـ المـكـانـ
وـأـنـهـ رـكـبـ الـهـوـدـجـ وـكـانـ النـاقـةـ تـجـرـىـ وـتـعـوـمـ بـهـوـدـجـهـاـ فـالـأـقـاـةـ تـسـيرـ وـتـسـيرـ وـنـفـسـ
مـعـنـ تـسـيرـ وـرـاءـهـاـ وـحـينـ يـغـيـبـ مـنـظـرـ الـهـوـدـجـ وـالـنـاقـةـ تـحـقـقـ وـرـاءـ الـرـمـالـ يـعـودـ

إلى نفسه من جديد ويتناول وصف الظعنة.

ويقول عنها: أنها جميلة وكريمة وأنها نشأت وترعرعت في بيت كريم
غنى ، نمت ونشأت في الترف والغنى وليس كعامة النساء اللائي يرعى آباءهن
القلم والشاه بل أهلها بعيدون عن القلم ، ثم يصف جسمها الذي نشأ في ترف
وبدخ فيكون بطبيعة الحال ناعماً بضا وشعرها طريل وغدائرها متولدة كأنها
كرم العنبر وحديثها حلو ناعم عذب كأنه سحر فيه غنة الغانينات ودلال
المنغفات المترففات ، وأخيراً يقول : لها جسم معتدل لا ضخم فتعاب ضخامته
ولا نحيف فتبرز العظام وينقص الجمال ، ثم يقول : أنها ليست جميلة فحسب
بل ورثت الجمال والحسن عن الأمهات اللائي لا يعيهن قصر الجسم ولا صغر
الألف كأنهن الدي والتماثيل .

هذه هي صورة المرأة عند كل شاعر جاهلي ، وهذا الوصف الظاهري هو موضوع كل شاعر جاهلي وخاصة في مقدمة القصائد التي لا يجعل الغزل فيها غاية بل وسيلة ، يتناول صورة الحبوبة لا صورة العاطفة الملتبة ولا تصوير النفس النيرة .

لذلك نرى أن الشعراء يشتكون في هذا النوع من الغزل. مثلاً يقول زهير بن أبي سلمي المزني في قصيدة الميبة المشهورة:

أ من أم أوفى دمنة لم تكلم
 ديار لها بالرقتين كأنها
 بها العين والأرام يمشين خلفة
 أثافي سعفا في معرس مرجل
 فلما عرفت الدار قلت لربها
 تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
 علون بأنماط عناق وكلاء

أنيق لعين الناظر المتوص
وفيهن ملهمى للطيف ومنظر
فنن لوادى الرس كاليد فى فم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة
وكم بالفنان من محل ومحرم
جعلن الفنان عن يمين وحزنه
على كل قينى قشيب ومفام^١
ظهرن من السوبان ثم جزعنه
إلى أن قال :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعد ما تبزل ما بين العشيرة بالدم
نرى في هذه القصيدة نفس الصورة التي رأينا في قصيدة معن بن أوس ،
صورة الهدج ومن في الهدج ، كان غانية واحدة تنتقل من مكان الى مكان
ويراها شاعر بعد شاعر فالوصف واحد والصورة واحدة ، وصورة الدار أيضا
في كل مكان واحدة وكذلك صور الدمن والأنثاني . ونرى صور الآرام
والظباء تمرح وتسرح في هذه المساكن الخيالية فهى الآن مسرح ومرتع الظباء
والثيران بعد أن كانت منزل الأحياء والحييات فالصورة واحدة عند زهير
ومن بن أوس .

إذا انتقلنا الى كعب بن زهير وجدنا عنده أيضا هذه الصور تتحرك

وَسَكَمْ يَقُولُ :

تو همها من بعد ساف ووابل
 على أثر حول قد تجرم كامل
 تطيف بمكحول المدامع خاذل
 ترو وبمعتم من الرمل هائل
 تظل بوادي روضة وخمائل
 أفال تروي من عروق غلال^٤
 أمن أم شداد رسوم المنازل
 وبعد ليال قد خلون وأشهر
 أرى أم شداد بها شبه ظلية
 أغنى غضيض الطرف رخص ظلوفه
 وترنو بعيني نعجة أم فرقد
 وتفتر عن غر الثايا كأنها

(١) ديوان زهير بن أبي سلمي المزني (ط دار الكتب) ٤-١٤

(٢) ديوان كعب بن زهير (ط دار الكتب) ص ٨٩-٩٠

فلا نجد أى معنى جديد ولا أية صورة جديدة فالصورة واحدة عند هؤلاء جميعا . نفس الرسوم الدارسات ونفس العيون والأسنان ونفس الشفاه والثام .

وعند التالية أيضا في قصيدة :

عوجوا خيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحبون من لوى وأحجار
عنه أيضا هذه الدمن والأحجار .

ونقدم أيضا هذه القصيدة التالية لمعن بن أوس :

أتهجر نعما أم تديم لها وصلا وكم صرمت نعم لنى خله وصلا
اذا أنت عزيت الفواد عن الصبا تذكرت منها الانس والمنطق الرسلا
وذا أشر عذبا ترف غروبه وسالفه في طولها جدل جدلا
ونحرها كفاثور اللجين وناهدا وبطنا كغمد السيف لم تدر ما الحلا
فإين تلك نعم صرمته فانها تريش وتبرى لي اذا جئتها البلا
تبدى فتدنو ثم تتأى بوصلها لتبلغ مني او لقتني قيلا
فا الحبل من نعم يiac الجديدة ولا كان الا المواعيد والمطلال

في هذه القصيدة نجد نفس هذه المرأة التي كانت في القصيدة السابقة فنعم انتقلت من القصيدة الأولى الى القصيدة الثانية بجسمها الرشيق وحياتها الانس ومنطقها المادي المتملل وعنقها الطويل المستقيم المتزن ونحرها الصافى النقي الأبيض كأنه قطعة من فائز اللجين ونهدها الممتلىء بالشباب والحيوية وخرصها الرقيق النحيف كالفتا وبطنهها الملتصق كأنه لا يعرف الحمل .

ثم يصف مواعيدها التي لا توفي مواعيد الحسناء التي تعدد ثم ترك العاشق يعني عناء الانتظار وساعة اللقاء ولكن أين الوفاء عند الغانيات ؟

وننتقل بعد ذلك الى قصيدة أخرى :

فها يا خليلي المطى المقدرا على الطلل البالى الذى قد تأبدأ

لنا بعد عرفان ثابا وتحمدا
وان كان من ذى ودنا قد تمعددا
جيعا وأما حى دعد فصعدا
مقيم وحى سائر قد تجدا
حق لقلبي ان يراع ويعدما
اذا ما اجتل فى شارة او تجردا
تجر قشيا من حرير وبجسدا
وقالت أرى هذا الفتى قد تخندا
فسل عليه جسمه أم تعبدا
وديدنا في الدهر الا لا هدا
اذا حسرت عنها الطراف المددوا
فناة أقيمت في قنا قد تأدوا
أرى عنك سربال الصبا قد تقددا

فها نبك في أطلال دار تنكرت
فها انها أمست قفارا ومن بها
فساروا فاما جل حى فقرعوا
فيهات من بالخورنق داره
أولنك فاتونى غداة تحملوا
بأح恨ين أهل الأرض جسما ومبسا
وقدقت اذ قامت وقالت وأعرضت
جفت عين ذات الحال لما تذكرت
فواهه ما أدرى الحب شفه
فذلك التي ما ان تذكرت ديدنى
لضىء واستار من البيت دونها
وان هي قامت في نساء حسبتها
وقالت لشنى لي الموى وتشوفنى

ففي هذه القصيدة تظهر شخصية معن كشاعر فحل قوى. جزل الأسلوب متين التركيب شديد الاحساس، فالمراة في هذه القصيدة تبرز في لباس جميل أنيق ومحنة في هذه القصيدة شاعر حضرى فالتشبيهات حضرية. ثم من ناحية ثانية تتبع الكلمات في غاية الروعة والجمال كتابع الانعام والايقاعات بفن ومهارة ، ومثلا:

وقد قمت اذ قامت وقالت وأعرضت تجمر قشيا من حرير وبجسدا
ما أجمل تتابع التاءات في الشطر الاول ، وما أحسن ترتيب الصورة
مع بقاء الموسيقى والنغمة وعلى هذا الغرار يقول شاعر آخر :
المت خيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت النفس تزهق
والشيء الجديد الأخير الذي نجده في القصيدة هو الحكاية على لسان

الجية وأحياناً نجد ذلك عند بعض الشعراء الجاهلين ولكنه قليل نادر، وقد أحسن معن بن أوس في تعبيره من هذه الخواطر التي تختصر بـ يال النساء الفاتات كما كان أسلوبه في غاية الجمال حينما سلك مسلك التجاهل حينما قال على لسانها :

جفت عين ذات الحال لما تكررت
وقالت أرى هذا الفتى قد تخددا
فوالله لا أدرى أللحب شفه
فسل عليه جسمه ألم تعبدا
ثم البيت الذي يقول فيه :

أرى عنك سر بال الصبا قد تقددا
وقالت لثنى لى الهوى وتشوقي
فأجاد التعبير عن نفسية المرأة التي تعرف طرق الاغراء وتعرف مواضع
الضعف في الرجال فتصيدهم بمهارة وتوقعهم في جهاها بفن. اذن معن في هذا
البيت ترجان المرأة التي تعرف اسلوب الاثارة والاغراء وتعرف اسلوب
اعادة الهوى والصبا.

هذه صورة من غزله التقليدي الذي جعله وسيلة لا غاية. ولكن لمعن أيضاً صور من الغزل الحقيقي أعني به أن الشاعر كان صادقاً فيها قاله لأنها اكتوى بنار الحب وحرم لذة الوصال وبق الشوق يراوده في ضوء النهار وظلمة الليل. يحدثنا صاحب الأغاني^١: ان معن بن أوس المزني تزوج امرأة عراقية في البصرة وكانت ذات جمال ويسار وقضى معها فترة من الزمان في سعادة النفس ورعد العيش، ثم استأذن منها للسفر إلى الحجاز فأذنت له، وبعد ما رجع إلى بلده وطالت المدة، ومات زوجته الفراق والوحدة. سافرت إلى المدينة تسأل عن معن بن أوس وأخيراً اجتمعت به على غير ميعاد، وبعد اللقاء طلبت منه السفر إلى البصرة، ولكن معنا لم يتم حمس السفر بل تكاسل وتردد حتى قال وهو في منعرج الطريق «يا ليلى إن قلبي يندرج إلى

(١) الأغاني ١٢ : ٥٨ ، معاهد التصيص ٤ : ٢٤

ما هاها ولو بقيت سنة أيضا ولكن ليلي لم تعجبها حياة الباذية ، وأخيرا طلبت منه الطلاق وأرادت الفراق فطلقها معن ، وسافرت الى البصرة ، طلق معن بن أوس زوجته المحبوبة ليلي ولكنها ندم على فعله وقال :

بانت نواها من نواك وطاوعت مع الشامتين الشامتات الكواشعا
فقولا لليلى هل تعوض نادما له رجعة قال الطلاق مازحا
فان هي قالت لا فقولا لها ألا تغيني الجازيات . الذوابجا

وتركت ليلي جروحا في قلب معن وحنينا الى اللقاء والوصال ، فقال :
أمن آل ليلي الطارق المتأوب وقد سبق النسر السماك المصوب
وودنى حزابي الطوى فيثقب فلا الواى مصدق ولا الحب يذهب
له حزن ان شطت الدار منصب يخبر عن ليلي أفااص وجنب
جري دون ليلي مائل القرن أعضب إليها وأفواه الاشاحيج تتعب
ألا تأمران الركب أن يتقرروا أبى النوم انا كلنا يتتصبب
فكان جزعنا من سنبح وبارح

فقل لعيid وابن وهب بن قابس
ألا تأمران الركب أن يدخلجوا بنا
ففي هذه القصيدة تظهر قوة معن في الشعر كما يظهر حبه وإخلاصه أيضا . فهو في هذه القصيدة محب مخلص وصاباته ملتهبة عارمة وهو يتضرر قدومها في أيام

الحج في مني ولكن أني الوفاء والصدق من شيمة النساء ؟

أما الحب فإنه يزداد ويشتد كل يوم . ويحاول أن يحمد ناره ويهدأ حدته ولكن أني للقلب أن يهدأ ويستقر ، ويذكرها بلهفة ويتضرر قدومها بشوق ، وحينما تأخرت في القدوم بدأت الأوهام والشكوك ترد على خاطره . من الذي منعها من القدوم وأخرها عن الميعاد ؟ فما ترى هل خرجت وساحت

سانحة السوء فأجلت سفرها وغيرت ارادتها . هذه نفسية الحب والعاشق ، والوساوس تراوده في كل لحظة فهو لا يراها فتقر عينه ولا ينساها فيهدأ بالله . أما هو فلم يتغير ولم يتغير حينما لج به الشوق والمحب عليه الحدين بل خرج من بيته نحو ديار ليلي وبدأ يقطع الفيافي والقفار وفي الطريق تسعن له سانحات السوء وتتعب له الغربان غربان الشؤم والنحس ولكنه لا يالي بها بل يظل سائرا ، بل طائرا على جناح الشوق والمحب .
بعد ذلك نذكر النساء اللائي كان معن يتغزل بهن أو كان يذكرهن منهن من كانت قد سعد بها بالزواج والوصال ، ومنهن التي حالت الأيام والظروف بينه وبينها ، فخرم لذة اللقاء وسعادة الوصال ، وكان نصيه العذاب والحرمان .
نجد بين هؤلاء :

(١) «نعم»

ولا ندرى أهي زوجته أم كانت من يحبهن ولم يحظ بوصاها أم كانت امرأة خيالية .

أتهجر نعماً أم تديم لها وصلاً وكم صرمت نعم لذى خله وصلاً
وكان يقول :

وكانت لهذا القلب نعم زمانة خالاً وسقماً لا يعاد له سقماً

(٢) «دعد»

ولا نعرف من هي ولا من أين ؟ وكان يتغزل بها كثيراً .
بعد ولن ألقى لها ذاودة ولا قيماً في الحمى إلا محسداً

(٣) «ليلي»

التي تزوجها في البصرة ولكن فرق الأيام بينها أذنب البناه وذهبت السعادة ، يقول :

نأت ليلي وليلي لا تبالي وضنت بالمودة والثبات

ويقول :

تبدل من ليلي ود سكرة طا شعوبا و مala مدبرا و عجارفا

(٤) «عيمرة»

ذكرها أيضا وأغلب الظن أنها زوجته.

قالت عيمرة ما يلهيك عن غئبي وقد حللت مع المعزية المادى

(٥) «ارنب»

متى تأتمـم ترفع بناقـي بـرـة وتصـدـح بـنـوـح يـفـرعـ النـوـح اـرـنـبـ

(٦) «أم حـقةـ»

وهي زوجته التي طلبت منه الطلاق حينما رأته أنه قد أقبل إليه الشيب
وأدبر الشباب وضاعت الأموال وخلت اليـد من المال ، يقول :

كـانـ لمـ يـكـنـ يـاـ أمـ حـقـهـ قـبـلـ ذـاـ بـيـطـانـ مـصـطـافـ لـنـاـ وـمـرـابـعـ

إـذـاـ نـحـنـ فـيـ غـصـنـ الشـيـابـ عـسـاـ بـنـاـ آـنـ إـلـاـ أـنـ يـعـوـضـ جـازـعـ

(٧) «أم ثـورـ» : زوجـهـ الشـامـيـةـ :

لوـ شـهـدـتـيـ وـجـوـادـيـ ثـورـ وـالـأـسـ مـنـ مـيلـ وـمـورـ

لـضـحـكـتـ حـتـىـ يـمـيلـ الـكـورـ

هذه الأسماء موجودة في القصائد التي عثرنا عليها في الديوان وغير
الديوان من كتب الأدب والتاريخ والترجم .

المديح :

تقول كتب^١ الأدب والترجم ان معن بن أوس المزني كان من الشعراء
الذين يجيدون المديح ويكتبون فيه ، وقد مدح معن كثيرا من الصحابة والخلفاء.
ولكننا مع الأسف الشديد لم نعثر على هذه القصائد التي كان معن يمدح فيها
هؤلاء ، ووجدنا بعد جهد عده قصائد من قصائده مدح بها الناس وأكثرهم

(١) معاهد التصيس ٤: ١٧ ، الاصابة (ط الشرقية) ٦: ١٧٩ ، متى الليب (ط حجازى) ٢: ٩٤

من الصحابة . قصيدة يمدح فيها سعيد بن العاص ، وقصيدة يمدح فيها عاصم ابن عمر بن الخطاب وأيضا نرى أنه مدح عبيد الله بن العباس ، وجعفر بن العباس ، ولا شك أن القصائد الطويلة قد ضاعت وقد ذكرنا ذلك سابقاً ، ولكن القصائد الموجودة بين أيدينا مع قلتها تعطي فكرة واضحة عن قوة معن في هذا المضمار وخاصة القصيدة التي مدح فيها سعيد بن العاص ، وقد برزت في هذه القصيدة شخصية المدوح والمادح ، وقد اجتمع فيها كل الخصائص التي تلزم المادح والمدوح .

والعادة في المدح أن يتاول الشاعر مدوحه ويعده كل الصفات والخصائص البارزة التي يتصرف بها . والصفات قيم مشتركة عامة في كل الأمم والشعوب فأينما يمدح المادح في أي مكان أو في أي عصر فلا نجد في هذه الصفات فروقاً كثيرة .

فالإنسان منذ خلق وعرف الحياة وسر الحياة يفضل دائماً الشجاع على الجبان ، والكرم على البخيل ، والعالم على الجاهل ، والجميل على القبيح ، والعزيز على الذليل ، والإباء والشموخ على التملق والتسلك ، والذكاء والفطنة على الغباء والبلادة والنطق والبيان على العي والفهادة .

والذين يتصفون بهذه الصفات كانوا أبطال كل قوم ، فالشجاع هو بطل الحرب ينقذ قومه من الملاك ويقودهم نحو الفلاح والنجاح ويهرم الأعداء ويقتل شوكة الطامحين والمعتدين .

والكرم هو معين الفقراء ومساعد الضعفاء ومؤوى المسافرين وابن السبيل وينال الضيف في منزله أكراماً واحتراماً ، ويجد الجار في جنبه طمأنينة وسكوناً ويجد المرملون في ساحته قدوراً منصوبة على نيران لا تهدأ ولا تخمد . والإباء شرف انساني يعرف الإنسان بفضله سر وجوده ، فالإباء يرفع قيمة الإنسان و معنوئيه وهو الذي يمنع الإنسان من قبول الهوان لنفسه و قوله .

والعالم دائمًا ولا يزال مرفع الرأس على الشأن في أمنه وقومه ، عزيزا بين عشيرته وقبيلته ، قد يها وحديثا عبد الناس العلماء فتحوا لهم التأليل وبنوا لهم الملاك . وكل ذلك تعبير عن الثناء وال مدح .

الفصيح والمبين دائمًا يقود أمنه نحو المعرفة والخير بفضل خطابه وبيانه يهون لهم المشكلات ويسهل لهم المصائب . فكان الخطيب أو الشاعر القوى ماوي ضعاف النفوس والقلوب ، وبفضل شعره أو خطبه يتحمس الجماهير ويقوى المارب المزور هؤلاء هم أبطال كل أمة وشعب في كل عصر في القديم والحديث . وكان هؤلاء هم محط الانتظار في كل قوم وعليهم امطرت السنة الشعراة أمطار المدح والثناء .

فالشاعر القوى الفذ هو الذي يكشف هذه الحقائق في مدوحه ويزيل هذه الخصائص فيه وأحياناً يأخذ الشاعر صفة معينة من صفات المدوح فيكشفها ويزيلها وأحياناً يأخذ كل الأوصاف التي يتصل بها المدوح . وحينئذ ينتقل الشاعر في أثناء المدح من صفة إلى صفة ، من ميزة إلى ميزة أخرى ، فالمدوح يأنق على مسرح الحياة كأنه لابس حلا حلة مختلفة الألوان والأشكال . يظهر أحياناً أمام الجمهور في لباس الشجاعة والكرم ، وأحياناً في زي الخطيب والعالم ، وأحياناً في لباس الإباء والشموخ فكانه يمثل دور الخطيب ، ودور المقاتل الجريء ، ودور الكريم السخي . في ضوء هذه الأمور نقرأ قصيدة من بن أوس التي مدح فيها سعيد بن العاص ، لترى إلى أي حد نجح معن والى أي مدى ظهرت قوته وبراعته ، يقول :

إليك سعد الخير جابت مطيقى فروج الفيافي وهي عوجاء عيهل
باشعث من طول اسرى عسفت به إليك علندة من العيس عيطل
ترى انه لا قصر عنك وما لها سواك من قصر ولا عنك معدن
فليلا بلغت كف امرى متاؤل من المجد الا حيث ما نلت اطعون

ولو صدقوا الا الذى فيك أفضـل
مدحت به تجـزى بذاك وتـقبل
لمـن نـاـبـه حـرـز نـجـاهـةـ وـمـعـقـلـ
له العـزـ منـهـ والـقـدـيمـ المؤـثـلـ
يـحـلـ عـلـىـ أـرـجـائـهـ ثـمـ يـرـحـلـ
لوـشـكـ قـراـهاـ وـهـيـ بالـجـزـلـ تـشـعلـ
كـهـدـرـ الجـمـالـ رـزـماـ حـينـ تـحـفـلـ
شـاهـيـةـ فـيـ يـافـعـ لـاتـزـمـلـ
مـقـبـصـةـ فـيـ قـعـرـهاـ مـاـ تـحـلـلـ
تـغـاطـسـ فـيـ تـيـارـهاـ حـينـ تـحـفـلـ
يـزـعـرـهاـ مـنـ شـدـةـ الغـلـ اـفـكـلـ
لـمـ نـاـبـهـ فـيـهاـ مـعـاشـ وـمـأـكـلـ
عـنـ الضـيـمـ لـاـ يـقـصـيـ وـلـاـ يـذـلـلـ
مـبـسـاـ وـلـكـنـ بـالـتـوـدـ تـخـبـلـ
اـذـاـ سـيـمـ ضـيـاـ خـادـرـ يـتـبـسـلـ
لـهـ فـيـ عـرـينـ الغـابـ عـرـسـ وـأـشـبـلـ
حـلـيفـانـ ماـ دـامـتـ تـعـارـ وـيـذـبـلـ
بـرـايـةـ تـعـلوـ الرـوـابـيـ مـنـ عـلـ
فـرـىـ أـنـ مـعـنـ بـنـ أـوـسـ تـاـوـلـ مـمـدوـحـهـ مـنـ نـوـاحـ كـثـيرـةـ.

أولاً : ان المدوح يتمتع بشهرة سائرة وسمعة طيبة ، والناس يقصدونه من أطراف البلاد ويقطعون لأجله القفار والصحابى .

وأكبر فضيلة لا يرى انسان أن يكون محظ الانظار ومطعم القلوب وتهافت عليه النقوس ويؤمه القريب والبعيد ، وهو كريم جواد ورث الكرم

والجود من الأجداد.

فهو أذن أصيل موئل ، وهو يقدم إلى القادمين من معروفة والناس يجزونه بأفراهم الطيبة وقصائدتهم السائرة . منها حاولوا الثناء عليه لا يصلون إلى كل ماله من الشرف والكرم وإن القصائد والأشعار لا تستطيع أن تصفه بما يستحق من الثناء والحمد .

ان قدوره منصوبة على النيران التي لا تخف ولا تخمد ، والناس مزدحون في ساحته ليل نهار من قادم وعائد من مقيم ومسافر . وإن هذه القدور واسعة كبيرة جدا ، والقطع الكبيرة من اللحم تغلى وتحرك ويسمع لها صوت كأنها أغاني وأهازيج . ان جاره في أمر وطمأنينة لا يصييه أى أذى أو ضرر ولا يشعر بأى ضيق أو حرج إنما هو يعطي السائرين والطارقين فلا يعطينهم بعد اذلاهم واهاتهم ولا يقاومهم عابس الوجه متغير اللون بل يمطحهم وهو ضاحك مبتسم صافي النفس نقى الطوية . ولكن ليس معنى ذلك أنه يتقبل الذل والهوان ويلين ويخضع أمام المتكبر أو يتسلل للعدو مهما كان . بل هو أمام العدو كأنه أسد بل أسد وآى أسد هصور باسل وغضوب ما كر وهو دائمًا في يقظة واتباه كأنه يحافظ على عرسه أو اشباله في العرين .

هذه هي الصور المختلفة صورها معن بن أوس في ممدوحه سعيد بن العاص ، ظهرت شخصيته واضحة جلية ، فهو كريم وجoward ومؤوى المرملين والمسافرين وصديق الجيران ونصيرهم . الناس يقصدونه من أقصى البلاد ويصلون إليه بعد أن تغير ملابسهم وترث ثيابهم وتشعث هويتهم ، وفي هذا المعنى يقول النابغة الديانى أيضًا :

وجتنك عاريا خلقا ثيابي على شعث تظن بي الظنو
 لقد أجاد معن بن أوس في تصوير الفضائل كما أجاد في تصوير الممدوح وهو متصف بهذه الفضائل والصفات ، كما أجاد في تصوير الناس وهم يأتون

إليه ويرجعون ويحلون ويرحلون ، كان هذا المنظر حاضر أمام العيون . وقد أبدع في تصوير القدور وما في القدور فكانها صور تتحرك وأغان تسمع وأهازيج تردد وخاتم القصيدة من أروع ما يكون .

أخو العرف معروف له الدين والندي حليفان ما دامت تuar ويدبل
تبجح في بحوجة المجد منهم برایة تعلو الروابي من عل
وأعتقد أن هذه القصيدة وحدها ترفع شأن معن بن أوس وتجعله في صف
في جوهر الشعراء المجيدين وتظهر براعته في اتقان الألفاظ وتركيب الجمل وتصوير
الجالة ، ووصف القدور واللحوم . وهذه الصور المختلفة تعد من اللوحات
الفنية في الأدب والشعر .

وكذلك مدح معن بن أوس عبيد الله بن العباس بن المطلب ، يقول :
وانك فرع من قريش وإنما تمج الندى منها البحور الفوارع
ثروا قادة للناس بطحاء مكة لهم وسقایات الحجيج الدوافع
فلما دعوا لله ولهم لم تبك منهم على حدث الدهر العيون الدوامع
وفي هذه القصيدة تناول الشاعر شخصية المدوح وقال إنه من أصل
كريم وفرع شريف ومن أصحاب الندى والجود لهم السيادة الدينية
والقيادة العامة .

صابرون في البأس والضراء جلدون لا يكون ولا ينحوون على حوادث
الدهر ومصابيح الزمان والأيام . وحينما يطلبون للحرب لا يفرعون
ولا يرجعون :

لم نجد في ديوان معن بن أوس مدحا لاحد في الجاهلية ، لا ندرى أنه مدح
أحدا في الجاهلية ، أم ضاعت القصائد التي مدح فيها رئيسا أو بطلًا في الجاهلية .

المجام :

المجام باب من أهم الأبواب في الشعر العربي في الجاهلية والإسلام

كانت له أسباب مختلفة ودروافع عديدة. فمن أهم أسباب الهجاء في التححر الجاهلي العداوات المستمرة القائمة بين القبائل والعشائر وفي العصر الاسلامي لما قاتل الدولة الاموية أو لما انشقت العصا بعد خلافة عثمان بن عفان في الدولة الغربية انحر الشعراء إلى الأحزاب والأشخاص وبدأوا يدافعون عن أنصارهم ويجهون اعدائهم.

واشتهر هذا الباب لما تفسرت المصيبة القبلية في أيام الامويين ونشأت هناك طبقة من الشعراء فاقت جميع الشعراء الأولين حتى الجاهلين في الهجاء وهم طبقة جرير والفرزدق والأخطل، لأنهم مع سلطة لسانهم وقوة يانهم كانوا يمارسون الهجاء كمهنة وفن.

وفي العصر الاسلامي أو في صدر الاسلام نجد بعض الشعراء يقولون القصائد في الهجاء، فثلا نجد حسان بن ثابت يقول في الهجاء لأنه كان شاعرا ميسيا للإسلام وكانت مهمته أن يدافع عن الاسلام والمسلمين ويرد على المشركيين وشعراء قريش الذين يهجون الرسول وأصحابه.

وأيضا نجد الهجاء عند بعض الشعراء في صدر الاسلام غير حسان ولكنه هجاء شخصي ودافعه الحاجة الشخصية وهذا النوع من الهجاء يدل على خسدة النفس وسوء الطوية، ومن هؤلاء الحطينة، حتى ان عمر بن الخطاب اشترب شر لسانه.

أما معن بن أوس فلم يشتهر في العداوات القبلية والنزاعات السياسية ولا شك انه افتخر بنفسه وعشيرته وقومه وقبيلته، يقول:

مزينة قومي ان سألت فانهم لهم عزة لا تستطيع لها نقلها
ولو سرت حتى مطلع الشمس لم تجد لقوم على قومي وان كرموا فضلا
أعف وأوفي بال صباح فوارسا اذا الخيل جالت في اعتها قبلها
هو اذن يبني شأن قبيلته ولا يحاول أن يهدم شأن غيره . وفي نفس

الوقت يؤمن بالسمو والغفوة ولا ينادر إلى الشر والأذى ، حليم يحب الحلم ، كريم يحب الكرم ، شريف يحب الشرف . لا يبني المجد والشرف والعز على حساب غيره ، يقول :

لعمرك ما أهويت كفي لرية ولا حملتني نحو فاحشة رجل
ولست بماش ما حيت لنكر من الأمر لا يمشي إلى مثله مثل
حتى أنه يحاول أن لا يبدأ عدوه بالأذى ، يقول :
وان سؤتني يوماً صفتت إلى غد ليعقب يوم منك آخر مقبل
ويقول أيضاً :

ويأمن أعدائي شذاقي ولم أكن لارأم ذلاً ما هدت قدمي نعل
ويفتخر معن بن أوس أحياناً بأنه قادر على الهجاء ، ويقول في قصيدة
يعاتب ابن أخيه لما غدر بابنه .

فلولا أن أم أبيه أمى وأن من قد هجاه فقد هجاني
وأن أبي أبوه لذاق مني مرارة مبردي ولكن شاني
إذا لاصابه مني هجاء يذل به الروى على لسانه
انه مع قدرته واستطاعته لا يهجو .

وفي بعض القصائد هجا بعض أفراد أسرته حينما تفاسع في مساعدة
القبيلة والشيبة لدفع الديبة حتى اضطرت القبيلة ان تأخذ المساعدة من غيره
مع ان هذا الشخص كان قادراً على المساعدة ، فعن يهجو هذا الشخص ولكننا
نرى أن هذا الهجو أقرب إلى السخرية والعتاب ، يقول :

ألا من مبلغ عن رسول الله اذ عجل الرسالة
تعاقل دوننا أبناء ثور ونحن الاكثرن حصى ومالا
وراء الماسعين لك السبالا
وقد تكفي المقاده والمقالا
فلا تعطى عصا الخطباء فيهم

فانكم وترك بني ايكم واسرتكم تجرون الحالا
وودكم العدى من سواكم للاحيران يتبع الظلالا
فانا بالشروع وجابيهما نشك خلاتها حلقا حلالا
كأنه لما تقاعس عن مساعدة القوم سلبت منه القيادة والسيادة وحرم
أن يتصدر الناس خطيا ومتكلما والناس قد استغروا من مقاله وقيادته وأنه
لما انسحب من قومه وانسل فاصبح بدون قوم وقبيلة لا نصير له ولا معين
وأصبح حائرا لا يجد سبيلا مستقها يمشي يمينا وشمالا حائرا متربدا.

وودكم العدى من سواكم للاحيران يتبع الظلالا
وننتقل بعد ذلك الى قصيدة أخرى هجا فيها معن صاحبا له وأخا في
الرضاعة وهو عبد الله بن الزبير. هذه القصيدة أقرب الى السخرية والاستهزاء
وتدل على خفة الروح وظرافة الطبع.

في الأغاني^١: قدم معن بن أوس الى مكة على عبد الله بن الزبير فازله
في دار الضيفان وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيافان. فأقام يومه
لم يطعم شيئا حتى اذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بيتس هزيل فقال: كلوا من
هذا وهم نيف وبسبعين رجلا ففضب معن وخرج وقال:

ظللنا بمستن الرياح غدية الى أن تعالى اليوم في شر محضر
لدى ابن الزبير جالسين بمنزل من الخير والمعروف والرفد مقفر
رمانا أبو بكر وقد طال يومنا بيتس من الشائم المجازى اعفر
وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة وسبعون انسانا يا لوم خبر
فقلت له: لا تقرننا فأمامنا جفان ابن عباس العلا وابن جعفر
وكن أمنا وانعق بيتس انه له اعنز ينزو عليها وابشر
فعن في هذا الهجاء لا يستعمل القسوة والعنف بل انه يمزج الهجاء

(١) الأغاني ١٢: ٥٧ ، معاهد التصيص ٤: ١٩.

بشيء من السخرية والنكتة أو العتاب ، كما يسخر صديق من صديقه أو أخيه اذا رأى فيه شيئاً من الاعوجاج أو شيئاً من الاهمال .
فهجاؤه لا يعلم ولا يثير الغضب بل يثير الضحك والابتسام .

الفخر :

كان الفخر أيضاً من الأبواب التي طرقها صاحبنا كعادة الشعراء الجاهلين والاسلاميين ، والظاهرة الجميلة في نفر من بن أوس هي الاتزان والاعتدال والبعد عن المبالغة ، ففخره أقرب إلى الواقع والحقيقة . فعن بن أوس يفخر بالأشياء التي يتصرف بها كأنه يبتعد في نفره عن الأشياء التي ضرب من المبالغة . لذلك عصم لسانه عن المفاخرة التي تثال غيره بالمنقصة والازدراء كعادة بعض الشعراء الذين تدفعهم العصبية القبلية والدعاوى الشخصية والسياسية . فيفخرون بقبيلتهم وعشائرتهم وبالنفسهم . فيجعلون الخير والكرم والشرف كلها في قبيلتهم وعشائرتهم وأحياناً في أنفسهم فقط .

معن في نفره أقرب إلى بيان الحقيقة وتصوير الواقع ، وهو في نفره يظهر شخصاً رزيناً متزناً هادئاً عاقلاً بل شيخاً وقوراً يحب الفضيلة والشرف وينفر من الرذيلة والفحش ، يقول :

لعمري ما أهويت كفي لريمة ولا حلتني نحو فاحشة رجل
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأي عليها ولا عقلني
وأعلم أنّي لم تصبني مصيبة من الدهر الا قد أصابت فقي قبل
ولست بعاش ما حيت لمنكر من الأمر لا يمشي الى مثله مثل
ولا مؤثر لنفسي على ذي قرابة وأؤثر ضيق ما أقام على أهلي
 فهو اذن يفخر بالشرف والكرم ويحمد لنفسه انها تنفر من الفحش
والنكر بل فوق ذلك لم يفكر في المنكرات فضلاً عن ان يمارسها ويتغاطاها
وهو يربأ بنفسه أن ينزل الى مستوى عامة الناس الذين لا يقدرون أنفسهم ،

ويقول أيضاً :

تضمنت بالاحساب ثم كفيتها
وهل توكل الاحساب الا الى مثل
فان يجن قومي الحرب يوماً كفيتها
وما أنا بالجاني ولا هي من أجلى
أمر وأحل واحياء حليفتي
ولا خير في من لا يبر ولا يخل
وانى أخوهم عند كل ملامة اذا مت لم يلقوا أخالم عدل
تجود لهم كفى بما ملكت يدى وقمت بلا فحش عليهم ولا بخل
في هذه القصيدة يعتقد بنفسه ويفتخر بأنه ورث الحسب وورثه بجدارة
واستحقاق وليس من الذين يرثون الاحساب والماثر ثم لا يحافظون عليها
قضيع وتذهب فيناقض حاضرهم ماضيهم بل انه حفظ هذه المكرمة الى
ورثها من الآباء ثم ناماها وزاد فيها المكارم الجديدة ولم يقف عند هذا الحد
بل انه ينقل المآثر والمكارم الى الابناء والاحفاد، ويقول :

اذا ما بحر خندف جاش يوماً يغطّط موجه المتعارضينا
فهجا كان من خير فانا ورثناها اوائل أولينا
وانا موروثون كما ورثنا عن الآباء ان متا بنينا

فرى في هذه الآيات أنه لا يكتفى بأن يتمسك بهذه الاحساب الكريمة
وهذه الوراثة القيمة فحسب بل ينقلها الى الابناء والاحفاد كما ورثها من
الآباء والأجداد ، ثم انه يفتخر بالجود والسخاء كأى عربي كريم ونرى
أن أهم شيء عنده الشرف والعرض ففي سبيل العرض يضحى بكل شيء في
الوجود ، وهو حليم ولذاته لا يؤمن بالحلم اذا مس أحد عرضه ، يقول :
ولا خير في حلم يعود مذلة اذا الجهل لم يترك لذى الحلم مقعدا
وكعادة الشعراء الكرماء لا يالي بعدل العاذلات في سبيل الجود والكرم ، يقول :

وعاذلة هبت بليل تلومنى وقد غاب عيوق الثريا وعردا
تلوم على اعطائي المال ضلة اذا جمع المال البخيل واعددا

أربني جوادا مات هزلا لعلني
أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا
تقول أسي امسك عليك فاني
أرى المال عند المسكين معتمدا
ثم ينتقل الى معنى آخر :

ولا خير في حلم يعود مذلة
إذا الجهل لم يترك لذى الحلم مقعدا
إذا زال نعشى واعتبرتني مني
وصاحبت في لحدى الصفيح المنضدا
فقولى فتي قد غبوا في ضريحهم
ترود من حب القرى ما ترودا
ذرني فما اعيا بما حل ساحتى
أسود فاكفى ان أطیع المسودا
ساورث بالمعروف عرضى من الاذى
وأدنو من المعترأن يتبعدا

فهو يحاول أن يجمع كل الخصائص المحمودة التي تلزم الشخص يريد
لنفسه القيادة والسيادة ومن شروط الزعامة أن يكون الزعيم جواداً كريماً ،
يهم بالشرف والعرض ويتجنب سفاسف الأهور وحقيرها وهو في القصيدة
أيضاً يرد على عذل العاذلات ، وسفه آرائهم وعقليتهم ولا يكون عتابهن
وعذلن إلا على الإنفاق والاعطاء فهو يقول : إن الإنسان الججاد يكسب الحمد
والجد وأنه لا يموت من الفقر والجوع إذا انفق أمواله في سبيل الخير ،
وغداً بعد ما يفارق هذه الحياة سيذكر بالخير بل يذكر مع الجيد والشحاء
كما يذكر مع الكرم وحب القرى وفي بعض الأحيان يتحمس من بن أوس
أيضاً فيفتخر بحسبه وقيليته كما يفتخر بقوته وشجاعته وحدة سيفه وخطورة
رممه . كأنه شخص يعيش في القبيلة ويدافع عن نفسه وقيليته معاً ، فلا يرى
شرفه وعزته إلا مع شرف القبيلة وعزتها ولا يرى مجد نفسه إلا مع مجد
العشيرة وعلوها ، يقول :

مزينة قومي ان سألت فانهم لهم عزة لا تستطيع لها تقلا
ولو سرت حتى مطلع الشمس لم تجد لقوم على قومي وان كرموا فضلا
اعف وأوف بالصلح فوارسا اذا الخيل جالت في اعتتها قبلنا

نقول فـيـرضـى قولـنا وـنـعـيـنـه
 وـنـخـنـ نـقـيـنـا عنـ تـهـامـةـ بـالـقـنـا
 وـبـالـجـرـدـ يـعـلـمـ الرـفـاقـ بـنـاـ مـعـلاـ
 مـدـرـبـةـ قـبـ الـبـطـوـنـ تـرـىـ لهاـ
 متـونـاـ طـواـلاـ أـدـبـجـتـ وـشـوـىـ عـبـلاـ
 اذاـ اـمـرـيـتـ بـالـقـدـجـاشـتـ وـأـزـبـدـتـ
 وـانـ وـاضـبـختـ تـقـرـيـبـهاـ وـبـلـتـ وـبـلـاـ
 بـكـلـ فـتـيـ رـخـوـ النـجـادـ سـمـيدـعـ
 يـأـيـدـيـمـ سـمـرـ المـنـونـ دـوـارـنـ
 وـمـشـهـورـةـ هـنـدـيـةـ أـخـلـصـتـ صـقـلاـ
 اذاـ ماـ فـرـغـناـ منـ قـرـاعـ كـتـيـةـ
 نـصـبـناـ إـلـىـ أـخـرـىـ تـكـونـ لـنـاـ شـغـلاـ
 فـكـمـ مـنـ عـدـوـ قدـ أـصـابـتـ رـمـاحـناـ وـكـمـ مـنـ صـدـيقـ نـالـ مـنـ سـيـبـنـاـ سـجـلاـ
 فـوـ يـفـضـلـ فـيـ هـذـهـ القـصـيـدـةـ قـيـلـتـهـ عـلـىـ سـائـرـ الـقبـائـلـ وـشـرـفـ قـومـهـ عـلـىـ
 سـائـرـ الـأـقـوـامـ مـنـ مـطـلـعـ الشـمـسـ إـلـىـ مـغـرـبـهـ .

ويفتخر بالفروسية كما يفتخر بضرب السيف وطعن الرماح وفي هذه اللحظة أيضا لا ينسى العفة التي هي دينه ودينه والوفاء الذي هو طبيعته وسبعينه هو أخو المغوار كما هو حليف الرفاء والسعاد، ينال الأعداء ما يستحقون من ضرب السيف وطعن الرماح كما ينال الأصدقاء والأقرباء نصيهم من الكرم والسعاد ويتهلون من فيض كفهم ويعترفون من بحر جودهم .

بعد عرض هذه النماذج من قصائد الفخر نرى أن معن بن أوس لا يتحمس في الفخر ولا يبالغ فيه بل فخره أقرب إلى الطبيعة والبساطة وبعيد من التكلف ، والتصنع ، وأسلوبه في الفخر أسلوب عادي سهل بسيط وليس أسلوبه كأسلوب هؤلاء الشعراء الذين يقولون الشعر في الفخر للفخر ، لذلك يستعملون فيه أسلوبا قويا ويتحمسون ما تيسر لهم الحاستة ويبالغون إلى أقصى ما يقدرون عليه من المبالغة ، فشعرهم في الفخر يجيئ بالقوة وينبع بالحياة والحركة ، أما معن بن أوس فهو يتتجنب المبالغات لأنه لا يقول الشعر في الفخر كفن بل الفخر عنده بيان الخصائص التي يتصف بها والاعتزاز بذلك

الوراثة الكريمة التي ورثها من اصالة في الحسب والنسب وجدور من الشرف واللغة امتدت من الآباء والأجداد حتى وصلت إليه.

الحكمة :

يقال عن بعض الشعراء الجاهليين والاسلاميين أنهم كانوا حكماء وأصحاب أمثال سائرة، ينبغي أن نعرف ما هي الحكمة أو المثل في الشعر العربي وخاصة في الشعر الجاهلي والاسلامي.

حياة العرب معروفة أنها كانت حياة حل وترحال، وأما الذين كانوا يسكنون في المدن والحضر فما كانوا يدرسون الفلسفة والحكمة كفن و موضوع مستقل، كما كان العلماء والحكماء في الأمم الأخرى مثل الرومان واليونان والهنود حيث كانوا يتلقون الحكمة والفلسفة في المعابد والمكاتب كفن و موضوع.

أما العرب فأنهم لم يتعودوا الحياة التي فيها معاناة ومكابدة للنفس والعقل بل كانوا يتلقون الحكم من الأشياء الموجودة حولهم وأحياناً كانوا يتلقون من وحي ضميرهم.

فالحكم والأمثال كانت تسرى وتحرى في حياة العادية طيبة وجلة لا صنعة وحرقة. كان يتلقى الفرد من الجماعة والابن من الأب ومن الأسرة والقبيلة ثم كلما يتقدم به السن وتطول به الحياة ويمتد به الزمن تكثر تجاربه بالاحتكاك، والاتصال، ومشاهدة الكون مع صفاء الطبيعة ونقاء الجلة، وبالاسفار والرحلات ثم المصائب والمشكلات في الحياة كلها كانت مصدر حكمة ومثل هؤلاء العرب الصراحه.

لذلك لانجد أى شاعر فعل قوى يمارس الحكمة كفن بل نرى الحكمة في ثنايا القصائد تأق عفو اللسان دون تعب ومعاناة.

وأحياناً تظهر أنها نصائح شيخ مارس الحياة ورأى خيراً وشرها كأنه

ذاق من الحياة وحلوها فهو يقدم إلى الناس تأثير حياته بأسلوب عادي طبيعى كلهذه الحكم نفسها . زهير بن أبي سلى المزنى كان معروفا بين معاصريه بهذا الضرب من الشعر .

ونجد عند معن بن أوس المزنى أيضاً أمثلة متعددة تظهر من خلالها شخصيته كأنه معلم ومدرس ومربي وداع ، وتظهر الحكم أحياناً كأنها درس وأحياناً كأنها تجربة وأحياناً أخرى كأنها شخص يتكون بما في المستقبل على ضوء تجارب الماضي فثلا يقول :

إني أرى كل ابن أثى موجلا
ولم تضرب الآجال إلا لتفندا
فلا تحسين الشر ضربة لازم
ولا الخير في الدنيا على المرء سردا
ولا خير في مولاك مadam نصره عليك ولم يترك لنارك موقدا
فكان هذه الآيات تجربة انسان بنى على أساسها هذه الأحكام أو هذه
الحكم ، ويقول أيضاً :

إذا أنت لم تتصف أخاك وجده
على طرف المجران ان كان يعقل
وفي الناس ان رث جالك واصل
وغيرك حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
أو كما يقول :

إذا قلت فاعلم ما تقول ولا تكن
كاخطب ليل يجمع الدق والجزلا
أو كما يقول :

إذا المجد الرفيع توأكله
فكانه في ذلك مدرس يلقى الدرس وبين الطريق المستقيم ويتحدث عن
الحياة والموت ومصير الانسان اذا عمر طويلاً وامتدت به الايام وضعفت
الأعضاء وخارت القوى ، ويقول :

فإن تنسى الآجال نفسى حماقها
فإن ورأى أن يفندنى أهلى

وأصبح هادى العصا حين اغنى ويسلمى من بعد كلمته عقلى فهذا الأمور كلها تلقاها من وحي الحياة ومشاهدة الكون لا من كتاب ولا من صحيفه . هذه وأمثالها هي حكمة العربى وفلسفته فى الحياة ويتلقاها الناس وتسرى بها الركبان ويرددتها الحداة على متون النوق والجال وينطفئها الشعراء ويمزجون قصائدهم بها .

وهذا ما يقصده الأستاذ (باول شفارتز) في مقدمة ديوان معن بن أوس فيما يقول^١ : تخلل الحكم والأمثال قصائد معن بن أوس أو انه يمزج قصائده بالحكم والأمثال .

ويقول بروكلمان : ان شعر معن يدل على نضجه العقلى والفكري وخاصة حين يستعمل الحكم والامثال فى ثنايا قصائده وأبياته .

وهل نجد نصيحة ممزوجة بالحكمة والمثل أحسن من هذه ، يقول :

فلا تكونوا كمن تغدو بدرتها أولاد أخرى ولا يغذى لها ولد
ان تصلحوا أمركم تصلح جماعتكم وفي الجماعة ما يستمسك العمد^٢

فمعن بن أوس حكيم في خلال قصائده وأبياته وهذا هو السبب الذي من أجله أعتقد أن معاوية^٣ بن أبي سفيان كان يفضل زهير بن أبي سلى على جميع الشعراء الجاهليين ، وكان يفضل معن بن أوس على جميع الشعراء المسلمين . ومعاوية بن أبي سفيان كان من أصحاب القرىحة النقية والذوق السليم بل كان يقول الشعر أيضا وورث الشعر من أبيه وأمه .

وزهير كان يمتاز عن الشعراء الآخرين بحكمه وأمثاله ففضلة على الآخرين

(١) مقدمة الديوان (ط أوربا)

(٢) الاشباه والنظائر المخطوط ١٢٣

(٣) معاعد التصييص ٤ : ١٧ - ١٨ ، الأغاني ١٢ : ٥٦ ، الاصابة ٦ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢:١٧ (المخطوط)

ومن بن أوس كان يمتاز أيضاً عن غيره بالحكم والأمثال .
وان عبد الملك بن مروان كان من كبار النقاد للشعر وكان لا يرى^١
بديلاً لمعن بن أوس حتى أنه كان يفضله على الشعراء الجاهلين والاسلاميين جميعاً .
واعتقد أن الذي دفع إلى تفضيل معن بن أوس على الآخرين إنما هو
بعض قصائد معن التي تجرى فيها الحكم والأمثال ويظهر معن بن أوس بين
هذه القصائد شخصاً له عقلية ناضجة وتجارب ضخمة . وقد ترك هذه
التجارب آثاراً لطيفة قيمة في شعره .

أما من حيث الأسلوب والبيان فلابد أن يقول إن معن بن أوس
كان يفوق النابة وأمرؤ القيس والأعشى وغيرهم ، إنما الذي دفع عبد الملك
ابن مروان إلى تفضيل معن بن أوس على هؤلاء جميعاً هي الحكم الإنسانية
والآيات السائرة التي تجلى في قصائده وأشعاره .

ولا نجد الانواع الأخرى من الشعر عند معن بن أوس كالرثاء والشعر
السياسي . أما الشعر السياسي فقد تكلمنا عنه بالتفصيل في الفصل السابق وقلنا
أن معن بن أوس لم يخوض المعارك السياسية التي دارت في أيامه ولم يتكلم
عن الحوادث الهامة التي جرت في عصره بل تجنب المشكلات السياسية والحربية
والالتزام الحياد والانعزال ، لذلك لازم أي أثر سياسي في شعره وقصائده .
أما الرثاء فيظهر أنه أثر أن يشى على الأحياء ويمدح الموجدين ويترك
الأموات والراحلين ، كما آثر الصبر والجلد على الضعف والخور لذلك لم يسمح
لعينيه أن تذرف الدموع كما لم يسمح لسانه أن ينوب وينطلق بالشكوى
والحسنة أو بالحزن والكآبة على ما فات وضاع .

الخصائص الفنية لشعر معن بن أوس :

(١) الامل ٢: ١٠١ - ١٠٢ ، الاغانى ١٢: ٦٠ ، الخواة ٣: ٤٤١ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧: ٢٤ ،
ديوان المعانى (ط القدس) ١: ١٥٣ .

لقد أدرك معن بن أوس الجاهليه والاسلام وامتدت به الحياة حتى توفي في عهد عبد الملك بن مروان . اذن رأى معن بن أوس جماعة من الشعراء الجاهليين مثل زهير بن أبي سليم المزني الذي توفي قبل بعثة النبي ﷺ بمدة قليلة وقد ذهب بعض المؤرخين انه عمر الى بعثة النبي عليه السلام^١ . وكذلك أدرك الأعشى صناعة العرب ، والمعروف عن الأعشى انه عمر الى بعثة النبي بل حضر اليه ولكن لم يقدر له الاسلام والاعيان وما تعلق به دين آبائه^٢ .

وإذا نظرنا الى الشعراء الخضرمين وجدنا أن عدداً كبيراً كانت فترة جاهليتهم أطول من فترة اسلامهم مثل حسان بن ثابت ولبيد بن أبي ربيعة . وعددًا كبيراً من هؤلاء الخضرمين الذين كانت فترة جاهليتهم أقل من اسلامهم ، وعاشوا طويلاً في الاسلام يبحلون ويصولون في ميادين الشعر ، منهم كعب بن زهير ، معن بن أوس المزني ، حميد بن ثور ، وأبو محجن الثقفي ، والشاعر ضرار الغطفاني وآخره مزرد ، والخطيب .

اذن عاصر معن بن أوس هؤلاء الفحول الكبار أيضاً .

ثم امتدت به الحياة فرأى طبقة الاسلاميين والأمويين أيضاً ، مثل جرير والفرزدق ، والأخطل ، وشاعر المجاز مثل عمر بن أبي ربيعة ، وجبل بشينة وعروة بن أذينة ، وأمثالهم .

فقد أتاح القدر لمعن بن أوس أن يرى الشعراء المختلفين كما يرى الوانا مختلفة من الحياة الجاهلية النقيّة الصافية ، والاسلامية التأثير المترفة ، والأموية المترفة المقدّة ، ولكل هؤلاء الشعراء لون خاص في الحياة وأسلوب معين في المنهج والفن ، كان زهير بن أبي سليم من الطبقة الأولى في الوصف والحكم

(١) الأغاني (ط دار الكتب) ٢٩١:١٠

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢١٢:١ تحقيق أحد شاكر

والأمثال ، وكان الأعشى في الطبقة الأولى في وصف الله ووالغناه وكان يمثل في شعره الدور الحضري .

كما برع حسان بن ثابت والنابغة الذبياني في المديح وخاصة النابغة في الاعذار .. وهكذا الشعراء الخضرمون لكل واحد ميزة وخصائص .

ولا ندخل في العصر الأموي الا ونرى أنواعا من الشعر ، الشعر الغنائي يمثله شعراء الحجاز ، والشعر السياسي يمثله شعراء الشام والعراق والشعر الديني يمثله شعراء الشيعة والخوارج ، والآن ننظر الى شاعرنا معن بن أوس هل تأثر بهؤلاء الشعراء ؟ هل أثرت فيه هذه العصور المختلفة ؟ ثم ننظر الى فنه ومنهجه في الشعر ، هل أتى بجديد أم يقى على منهج الشعراء الجاهلين يردد معانיהם .
لقد رأينا الموضوعات التي طرقها كالغزل ، والهجاء ، والمديح ، والحكم ، والوصف . ووجدنا فيها قد جرى على منهج القدماء في العاطفة والخيال . وفي غزله ونسيه كان مقلدا ولم يكن مبدعا .

وفي المديح أيضا تناول أوصاف المدوح كما كان يصف الشاعر الجاهلي ممدوحه من الكرم والشجاعة والغفوة ورزانة العقل والسؤدد ، وأحيانا شرف الحسب والنسب ، والمال والثراء ، كل شاعر كان يصف ممدوحه بهذه الأوصاف ، وإن كانوا يختلفون في إبراز هذه الأوصاف والخصائص .
كما كانوا يختلفون أحيانا في التعبير عن الأوصاف المادية والمعنوية ، فثلا كان النابغة عميقا في التعبير عن الأوصاف المعنوية والتفسية كما كان حسان بن ثابت قريا في ابراز الأوصاف الظاهرة والمادية .

على كل حال لم يأت معن بن أوس بشيء جديد في المديح ولكن نرى أنه تأثر بالإسلام قليلا ، فأدخل العنصر الإسلامي الأصيل في ممدوحه . وهذا العنصر الجديد الثابت كان أهم وأعز شيء لمدحوه الذي شرفه الله بنعمة الاسلام ونور قلبه بنور الایمان والعرفان مثلًا حينما مدح سعيد بن العاص

بقصيدة المشهورة وصفه بالكرم والجود والعلم والعلم مع الشجاعة والشامة والآباء
والشموخ ، وختم القصيدة بصفة عزيزة لدى كل مسلم وهي الدين :
أخو العرف معروف له الدين والندي حليفان ما دامت تعار ويدبل
تبجحت في بحبوبة المجد منهم برأية تعلو الروابي من على

وكذلك حين يمدح عيد الله بن العباس :

انك فرع من قريش وإنما تمج الندى منها البحور الفوارع
ثروا قادة للناس بطحاء مكة لهم وسقایات الحجيج الدوافع
معن بن أوس لم يمدح أحداً في الجاهلية أو لم تصلنا قصائد التي مدح
بها أحداً في الجاهلية، ولكن كتب التاريخ والتراجم تحدثنا أن معن بن
أوس له مدايحة كثيرة في الصحابة . وحينما نقرأ هجاء معن بن أوس فنكتشف
أمام شاعر حليم متزن بل أقول أمام شاعر لطيف رحيم غير قاس ولا
شديد ، إنسان لا يريد الأذى والظلم لأحد ، لا لصديقه ولا لعدوه .
أما الحكمة فقد كان معن بن أوس فيها بارزاً بعض الشيء ، وقد سبقه
في هذا المضمار شاعر مزني آخر هو زهير بن أبي سلمى .

هناك عدة قصائد لمعن بن أوس نجد في خلاها بعض الحكم والأمثال
ولكن هذه الحكم والأمثال هي أمثال وحكم عربية خاصة أعني أن هذه
الحكم اقتبسها الشاعر من صميم الحياة العربية وتلقاها في المجتمع والبيئة وكانت
هذه الأمثال على ألسنة الناس ، فثلا يقول :

إذا المجد الرفيع توأكته بناة السوء أوشك أن يضيعا
هذه الحكم يستعملها الناس في أحاديثهم بل هي شعور عام يمر على خاطر كل
إنسان يخاف الهرم والشيخوخة وينظر إلى الذين ضفت أصابعهم وخارط قواهم .
ومثلا يقول :

فلا تكونوا كمن تعذو بدرتها أولاد أخرى ولا يغدو لها ولدا

اذن هذه المعانى استعملها الناس فى أحاديثهم العامة والخاصة وخاصة المثل الأخير فهو شعور كل انسان اذا رأى أحدا قد أهمل أهله وعشيرةه ويدى الاهتمام والاعتناء بغيره ، أحيانا نجد عنده بعض الأمثلة يقتبسها من الصور المادية :

لعمرك أنى والفراسة هاهنا أخيرا الكالمادى وقد نزل الركب

ويقول :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني يمنيك فانظر أى كف تبدل

ويقول :

لقد بدا لي أن قلبك ذا هل عنى وقلبي لو بدا لك أذهل
كل يحامل وهو يخفي بغضه أن الكريم على القلى يتجمل
ولا شك أن هذه اللقطات لها قيمة في الأدب والشعر وخاصة إذا كانت
من صميم الحياة والمجتمع .

الخصائص اللغوية :

حين تكلمنا عن حياة معن بن أوس قلنا لا شك أن معنا
أدرك الجاهلية والاسلام ، ثم عاش فترة في الدولة الاسلامية حين كانت
الفتوحات على قدم وساق ، ثم أدرك العصر الاموى الذى غزت فيه الحضارة
الأجنبية العاصم الاسلامية وعمت الرفاهية في البلاد ، وتغير مجرى الحياة
وخرج الشعراء يحملون راية التجديد ، وينخرجون إلى المجتمع بأنواع جديدة من
الشعر ، ولكن مع كل هذه التيارات العديدة يق معن بن أوس المزني متمسكا
بالحياة القديمة وظهرت آثارها في شعره .

وقد أتينا بعدة شواهد من كتب التاريخ والترجم على أن
معنا كان يفضل حياة الباذية والإقامة فيها على المدن والعواصم ، ونلمس آثار
الباذية في شعره كثيرا وخاصة حين يذكر القرى ، والنخيل والمزارع . لذلك

في أسلوبه الصفاء والسهولة وهو أقرب إلى الطبيعة والفطرة كعامة الشعراء الجادلين.

فالتشبيهات كلها مادية مستمدّة من المجتمع والبيئة وخاصة في التشبيهات التي استعملها في الغزل والنسيب، فيشبه نحر المرأة بنحور الظباء وبطنها بغمد السيف، وعينها بعين العجوز، وشعرها بالكرم وجيدها بفأثور اللجين، وهكذا. قد نجد في ديوانه قصائد فيها كثيراً من الكلمات الصعبة الغريبة، ولكن بعد دراسة قليلة يتبيّن أن هذه الكلمات كانت عاديّة مستعملة في حياة البايدية وخاصة إذا كانت في وصف الناقة والفلة، يقول:

رمى سدف الظلماء واحتفر السرى
به لا بها أرحي الفلاة عن الهوى
وأفرح غم المسدف المتلامح
بمضطرب الضفرين مطرد القرى
طويل الزمام ذي زفر عراهم
ضبر مضر بالتواحى إذا اشتكى
عيجا شدقه عن فاطر الناب ناجم
مجد ييارى أينقا جردت له
مباعدة الأيدي طويل الخراطم
وهنا في القصيدة نجد عدة كلمات غريبة استعملها معن بن أوس في وصف الجمل ولكن مع صعوبة الكلمات لم تفقد القصيدة قوتها وسلامتها، بل بقيت الجمل متينة رصينة.

وأحياناً نجد ظاهرة غريبة عند معن هي أنه يستعمل أسماء الأمكنة حتى أن القصيدة تكتمل بالأسماء ومع ذلك لا تضيق عليه القافية بل يصل إلى النهاية بسهولة ويسر.

يقول:

تأبد لاي منهم فعتاده فذو سلم اشاجه فسواعده
فذات الخماط خرجها فطلولها يطن البقيع قاعه فرابده
فسعف الغراب ضبطه فأساوده فندفع العلان علان منشد

قدفف عبود فخبراء أصاف فدو الجفر أقوى منهم قدادفه
فدهاء موضوع كان عراضاها بها نضد مذوف جيل محافده
إلى أن قال :

عراقية تحمل غولا فسعسا محل العراق دارها ما تباعده
لفت معانها وخف أنيسها من أدهم محروس قديم معاهده
نرى تتابع الأسماء في يت وراء بيت ولكن على كل هذا ظل الشاعر مستمرا
وسازنا إلى أن وصل إلى النهاية ، ولا شك أن هذه العملية تحتاج إلى اعتاته
والنضج الفني في صياغة التركيب ، فتحن نرى أن معنا تخلص من المشكلات
بدقة ومهارة ، وهذا يدل على قوته وتمكنه من ناحية الكلام .

وأحياناً نجد في بعض أبياته ما يخالف القافية مما يسمونه الأقواء فمثلاً يقول :

ألا من لمو لا يزال كأنه صفا فيه صدع لا يدانيه شاعب
تدب ضباب الغش تحت ضلوعه لأهل الندى من قومه بالعقارب

على كل حال أسلوب معنـ أسلوب ناصـ ، كـ انه بارع في اختيار
الـلفاظ المناسبـ كعادةـ الجـاهـليـينـ ، وـتـجـلـيـ شخصـيـتهـ فيـ قـصـائـدهـ تـاماـ ، يـظـهرـ
فيـهاـ كـانـهـ شـخـصـ يـتـمـتـعـ بـنـفـسـيـ صـافـيـ ذاتـ خـلـقـ وـكـرـمـ ، وـسـماـحةـ وـعـفـةـ ، وـبعدـ
منـ التـصـنـعـ وـالـتـكـلـفـ ، وـهـذـهـ مـيـزـةـ الشـعـرـ الجـاهـلـيـ أوـ الشـاعـرـ الجـاهـلـيـ ، وـالـصـفـاءـ
وـالـوضـوحـ كـصـفـاءـ الطـبـيـعـةـ الـعـرـبـيـةـ نـفـسـهـاـ ، فـعـنـ بـنـ أـوـسـ مـعـ اـنـهـ عـاشـ فـرـةـ
طـوـيـلـةـ فـيـ الـاسـلـامـ . ظـلـ كـالـشـعـرـاءـ الجـاهـلـيـنـ فـيـ الـمعـانـيـ وـالـلـفـاظـ ، وـفـيـ الـعـاطـفةـ
وـالـخـيـالـ .

منصور الفقيه: حياته وشعره

تمهيد:

يواجه الباحثون في الأدب ، والمهتمون بالسير والترجم في هذا العصر صعوبة مرهقة قد تكون عامة لا مناص منها ، وهي أن كثيراً من الشخصيات الأدبية والعلية التي عاشت في القرون الماضية قد أهملها التاريخ فلم يذكرها البتة ، أو ذكرها بالإيجاز لا نستطيع رسم خطوط شخصية منها وإبراز ملامحها في ضوء المعلومات التي سجلها التاريخ وقידها المؤرخون . وهذه الظاهرة لا تخص الخاملين من العلماء والأدباء ، بل نرى أن كثيراً من الذين خدموا العلم وأسهموا في الحركة العلمية في عصرهم بنشاط ملحوظ قد أهمل ذكرهم وضن بالتفاصيل عن حياتهم وآثارهم العلية ، حتى لا يمكن لنا أن نعرف أحواهم الاجتماعية والسياسية ، ولقدر مكانتهم العلمية والأدبية .

وهذا هو ما نواجهه في الكلام عن صاحبنا منصور الفقيه الشاعر المصري . فقد ورد ذكره في معظم كتب الترجم والتاريخ ، أكثرها مطبوعة متداولة بين الناس ، وبعضها ما زالت مخطوططة إلى الآن . وهذه المراجع - مع شهادتها للشاعر بالفضل والنبوغ العلمي ومع إشادتها بآثاره العلية - ترك الجوانب المهمة في حياة الشاعر وآثاره الشعرية ، ولا تلقى ضوءاً كافياً على الأمور والنقاط التي تهم الباحث ، ولا تعرف بالكتب التي ألفها هو حتى فستطير معرفة قيمتها العلمية . وعلى هذا فليس من اليسير أن تتبسط في الكتابة عن حياة الشاعر وتفصيل الكلام في ترجمه والتعريف بهؤلفاته ، ولكننا مع ذلك نبذل قصارى جهودنا ونحاول تفصيل ما أجمله المراجع ، والتعريف بحياة الشاعر وفته وما تركه هو في مجال العلم من الآثار .

كان صاحبنا من رجال القرن الثالث الهجري، أى إنه قضى أكثر أيامه في ظل الدولة الطولونية، ولذلك تزيد أن نشير بایجاز إلى هذه الدولة وحالة النشاط الأدبي فيها.

ظلت مصر بعد قيام الدولة الأموية في حالة ضعف وجود في كل ناحية من نواحي الحياة، إلا في فرات قليلة عمل فيها ولاة هذه البلاد على تقدمها ورقابها، على أنها أخذت تتنعش حوالي منتصف القرن الثالث الهجري، منذ قيام الدولة الطولونية التي استقلت بحكمها استقلالاً يكاد يكون تاماً. وعلى الرغم من أن عمر هذه الدولة لم يزد على ثمان وثلاثين سنة، فما زلت مصر أخذت في النصف الأول من هذا العصر بقسط موفور من التقدم والإصلاح.

كان مؤسس هذه الدولة أحمد بن طولون (٢٢٠-٥٢٧) وصل إلى مصر في رمضان سنة ٥٢٥هـ نائباً عن والي مصر، حتى وصل إلى مرتبة الإمارة، ثم إلى حكومة مصر. وظل يستعين في الدفاع عن حقوق اكتسبها حتى آخر رمق في حياته. وكانت مدة حكمه ينما وست عشرة سنة. وبعد وفاة أحمد بن طولون ولـ ابنه خمارويه، ثم بعده ثلاثة من آل طولون، لم يزد حكمهم على عشر سنين. وزوال هذه الدولة كان في سنة ٥٢٩هـ.

كان الطولونيون بمصر أهل كرم وبذخ، يعطون الأموال الكثيرة، ويهبون المــدايا، فاستقدموا الشعراء والأدباء وقربوهم ووصلوهم، وكــونوا حولهم بلاطــا أدــيا أــشبــه ما يــكون يــلاقــه خــلفــاء العــباســيين، فــأــنــتجــتــ هذهــ الحياةــ فيــ مصرــ أيامــ الطــولــونــيينــ شــعراــ كــثــيرــاــ، وــاجــتمــعــ فــيــهاــ عــدــدــ مــنــ الشــعــراءــ قــلــ أنــ يــجــودــ الــدــهــرــ بــثــلــهــمــ.

والاستعراض العام للشعراء في هذا العصر يدل على أن عدداً كبيراً منهم ظهرــواــ فيــ هــذــاــ الــصــرــ، وــأــنــشــدــواــ شــعــراــ فيــ مدــحــ الــأــمــرــاءــ وــالــوــلاــةــ، وــأــنــ كــثــيرــاــ مــنــهــمــ تــقــلــبــ فــيــ المــدــحــ بــتــقــلــبــ الــأــحــوــالــ الســيــاســيــةــ فــيــ الــبــلــدــ، إــذــ لــاــمــ لــأــمــتــالــ

هؤلاء الشعراء إلا إرضاء الأمير مهيا كان هذا الأمير . ومعظم شعرهم في الوصف والمدح والرثاء والحكم والأمثال . وكانت الشعراء في هذا العصر منغمسين في تيار الله و المجون ، فقد غثّرهم الترف فأخذوا بمحظ وافر منه ، وكثير المجنون في هذا العصر وازداد بازدياد ثروة البلاد . ف تكونت في مصر جماعة محمد بن عاصم و سعيد بن فاخر وأبي هريرة بن أبي العاص كـ كانت في العراق جماعة أبي نواس وأمثاله .

اسم وحياته : هو أبو الحسن منصور بن اسماعيل بن عمر ، التميمي المصري ، الفقيه الشافعى الضرير . أصله من رأس عين البلد المشهورة بالجزيرة من نواحي حلب . وهذا مما أجمع المراجع عليه ، إلا أنها لم تذكر مسقط رأسه وتاريخ ميلاده ، وكذلك لا نعرف الأسباب التي حملت الشاعر على السفر من بلده إلى القاهرة سوى ما قيل من أنه كان جنديا ثم كف بصره وسافر إلى مصر . وبها توفي في جمادى الأولى سنة ٥٣٠هـ .^١

ويقول الزركلى : إنه سافر إلى بغداد في شبابه ومدح بها الخليفة المعزن ثم سكن مصر^٢ . ولكن لا نعرف متى كان هذا السفر ولماذا ، ثم متى غادر بغداد إلى مصر ؟

هذا ، وقد ذكر الدكتور كامل حسين أنه قدم مصر صغيراً . ولكنه لم يوكله رأيه بدليل ، ولم يذكر نصا صريحاً على هذا الحكم . والذى يتراجع عنى هو أن الشاعر قدم مصر بعد أن قضى شطراً غير قليل من حياته ، تولى خلاله منصب الجندي في الجيش ، ومدح الخليفة العباسى المعزن في بغداد ،

(١) معجم الأدباء ١٩: ١٨٥ والبداية ١١: ١٣٠ والمنتظم ٦: ١٥٢

(٢) الأعلام ٨: ٢٢٥

(٣) أدب مصر الإسلامية: ٢٧٤

كما أشار إليه الزركلي^١.

ثم بعد ذلك تبقى ناحية مهمة في حياة الشاعر لا نستطيع أن نقول عنها شيئاً، وهي حياته العائلية. فلا نعرف متى تزوج ومن، وكم ترك من الأولاد؟ إلا أنه من المؤكد أن كان له أولاد فإنه قد خاطب بناته في بعض أشعاره، يقول:

بني لا تجزعى واصبرى عساك بالصبر ان تظفرى

ويقول:

لولا البنات والذنوب لما رعت لذكر الخوط والكفن

ويقول:

لو لا بناتي وسنانى لطرت شوقا إلى الممات

وهذا كلام يدل على أنه تزوج وكان له عيال كثيرون أو معظمهم بنات، وأنه كان يهتم بأمرهن ويوطئهن على الصبر وتحمل المشاق ومواجهة مر الحياة وحلوها.

حياته العلمية: قد أشاد الرواة بالنشاط العلمي للشاعر وشهدوا له بالفضل والتبغ في مجال العلم والشعر والفقه، يقول ابن خلakan: «كان فقيها جليل القدر، متصرفاً في كل علم، شاعراً مجيداً، لم يكن في زمانه مثله بمصر»^٢. ويقول ياقوت: «كان إماماً في فقه مذهبة، أديباً شاعراً مجيداً مفتناً، له حظ من كل علم، لم يكن في زمانه مثله في مصر»^٣.

ويقول ابن الجزرى: «كان أديباً فهما عاقلاً حاد المناظرة، وصنف

(١) الأعلام ٨: ٢٣٥

(٢) ديفيات الأعيان ٤: ٣٧٧

(٣) معجم الأدباء ١٩: ١٨٥

المختصرات في الفقه على مذهب الشافعى ، وله الشعر المليح^١ .
ومن الحق أن هذا النبوغ العلمي وهذه القدرة الفائقة في الفقه والشعر
لم يظهرها نتيجة للصدفة والاتفاق ، بل كانا ثمرة لحياة علمية طويلة شاقة عاش
الشاعر في بداية حياته ، بذل فيها جهوداً كبيرة ، واستفاد خلاها من
الأساتذة المتخصصين وشق طريقه إلى العلم مستيرًا بإرشادهم وتوجيهاتهم
في العلم والسلوك .

ولكن الأسف أن أحداً من أصحاب التراجم والرواية لم يتناول هذا
الموضوع وترك هذا الجانب مهم في حياته غفلاً . ولذلك لا يمكن لنا الجزم
بأى شيء في هذه الناحية ولا تسمية أحد من العلماء الذين تلقى صاحبنا دروسه
على أيديهم ، واستفاد منهم زمن التحصيل . نعم يذكر الإمام البافعى في ترجمته
للشاعر «أنه أخذ الفقه عن أصحاب الإمام الشافعى ، وعن أصحاب أصحابه»^٢ .
ومن المعلوم أن هذه الإشارة الخاطفة إلى أسانته بدون ذكر أسمائهم
ومكانتهم العلمية لا ترقى شيئاً في معرفة شخصياتهم ومستواهم العلمي ومدى ما
أثروا في تلميذهم الذي نال بعدهم شهرة كافية وأجاد في الفقه والشعر . فاعترف
الناس بتفوقه في العلوم ورسوخ قدمه في مجال الشعر والأدب .
وقد رأينا مما سبق – ولو على سبيل الإشارة والإيحاز – أن صاحب
كان على حظ كبير من العلوم ، وكان له تخصص في الفقه على مذهب الإمام
الشافعى . والمراجع التي ترجمت لنصور كلها تبرز هذه الناحية من حياة
العلمية وتنقى عليه في الدراسات الفقهية التي قام بها . يقول ابن خلkan : «أخذ
الفقه عن أصحاب الشافعى رضى الله عنه ، وعن أصحاب أصحابه . وله مصنفات
في المذهب مليحة» .

(١) المنظم لابن الجوزى ٦ : ١٥٢ .

(٢) مرآة الجنان ٢ : ٢٤٨ .

ويقول ياقوت : «كان إماما في فقه مذهبة». وتفوقه في الفقه هو الذي دعا أبو عبد القاضي إلى أن يخصص لمنصور عشية من العشايا التي كان يجلس ويذاكرا فيها جماعة العلماء ، كما سيأتي.

وآثاره في الفقه لم تصل إلينا حتى تتمكن من معرفة قيمتها العلمية والحكم عليها ، والإشارة الموجزة التي نراها في كشف الظنون وغيره من الكتب إلى مؤلفات منصور لا تكفي لمعرفة مكانتها وميزاتها والباحث التي تتضمنها . ومن هذه الآثار : كتاب الواجب ، المستعمل ، وزاد المسافر ، والمداية ، وهذه الكتب جميعا في الفروع .

وله كتاب آخر ذكره صاحب هدية العارفين^(١) وهو «أسماء من نزل فيهم القرآن». ولكن لا سبيل إلى معرفة مباحث الكتاب وميزاته سوى ما نفهم من عنوانه أنه كتاب يتناول الشخصيات التي عاشت في زمن النبي ﷺ وخصوص التزيل لسبب ما .

ثم هناك حادث مهم في حياة منصور يتعلق بناحيته الفقهية ، فصل فيه الكلام ابن خلkan وذكره غيره من الرواة بالإيجاز ، يقول ابن خلkan : كان (أبي منصور) من أكرم الناس على أبي عبد القاضي ، حتى كان منها ما كان بسبب المسألة ، وكان لأبي عبد في كل عشية مجلس يذاكر فيه رجالا من أهل العلم ويخلو به ، خلا عشية الجمعة فإنه كان يخلو بنفسه فيها ، فكان من العشايا عشية يخلو فيها بمنصور وعشية يخلو فيها بأبي جعفر الطحاوى ، وعشية يخلو فيها بمحمد بن الربيع الجيزى ، وعشية يخلو فيها بعفان بن سليمان ، وعشية يخلو فيها بالسجستاني ، وعشية يخلو فيها للنظر مع الفقهاء . وربما حدث ، فجرى بينه وبين منصور في بعض العشايا ذكر الحامل المطلقة ثلاثة ، ووجوب تفقتها ، فقال أبو عبد : زعم قوم أن لا نفقة لها في الثالث ، وأن نفقتها في الطلاق غير الثالث ، فأنكر

(١) هدية العارفين ٢ : ٤٧٣ .

ذلك منصور ، وقال قائل : هذا ليس من أهل القبلة ثم انصرف منصور فحدث بذلك أبا جعفر الطحاوى ، فكاه أبو جعفر لأبي عبيد فأنكره ، وبلغ ذلك منصورا فقال : أنا أكذبه ، واجتمع الناس عند القاضى وتواعدوا لحضور ذلك ، فلما حضروا لم يتكلم أحد ، فابتدا أبو عبيد وقال : ما أريد أحدا يدخل على ، ما أريد منصورا ولا نصارا ولا متصررا ، قوم عميت قلوبهم كما عميت أبصارهم ، يحكون عنا ما لم نقله ، فقال له منصور : قد علم الله الكاذب ، ونهض فلم يأخذ أحد يده غير أبي بكر بن الحداد فإنه أخذ يده وخرج معه حتى ركب ، وزاد الأمر فيها يينهما ، وتعصب الأمير ذكا وجاءه من من الجند وغيرهم لمنصور ، وتعصب للقاضى جماعة ، وشهد على منصور ، محمد بن الربيع الجيزى بكلام سمعه منه يقال إن منصورا حكا عن النظام فقال القاضى : إن شهد عليه آخر مثليا شهد به عليه محمد بن الربيع ضربت عنقه ، فخاف على نفسه ومات فى جمادى الأولى سنة ٥٣٠هـ . وخاف أبو عبيد أن يصلى عليه لأجل الجناد الذين تعصبو لمنصور ، فتاخر عن جنازته لهذا السبب ، وحضرها الأمير ذكا وابن بسطام صاحب الخراج ، وأوعب الناس ولم يختلف أحد ، وذكر أبو عبيد أن منصورا قال عند موته :

قضيت نحبي فسر قوم حمى ، هم غفلة ونوم

كان يومى على ختم وليس للشامتين يوم

فاطرق أبو عبيد ساعة ثم قال :

وتموت قبلى ولو يوم

فقد فرحتنا وقد شمتنا وليس للشامتين يوم

وقيل إنه كان حول نعشة آلاف من الجناد ، أظهروا سب

القاضى وقدفوه ، وندم القاضى نفسه على ما كان منه وتأسف على

ما فاته من منصور^١.

شعره: كان منصور الفقيه من الشعراء العلامة الذين يتقنون كثيراً من فنون العلم، مع أنه كان يعيش في عصر ظهر فيه تطور ملحوظ في الشعراء فقد ترك أكثراً منهم العلم واهتماموا بالفن الشعري والتخصص به.

وأجمع الرواة كلام على جزالة شعر منصور وجودته، وشهدوا له بالنبوغ والتفوق في هذا الفن. فعند ابن خلكان هو «شاعر مجيد». وعند ياقوت «شاعر مجيد متفنن». ويقول ابن كثير: له الشعر الحسن».

وهذا يدل على أن الاتاج الشعري المنصور كان يتم بسباب السكاك ويتميز بالقوة والجدة، وهذا الذي حمل بعض شعراء عصره على أن يعارضوه ويأخذوا من معانيه وأسلوبه. فقد ذكر ابن خلkan المنصور بستين هما:

باب الفقه قوم لا عقول لهم وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الصبح والشمس طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصير

ثم قال : ومن هنا أخذ أبو العلاء المعري قوله من القصيدة المشهورة :
والنجم تستصغر الابصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر
وفي أخذ المعري من معانٍ منصور دلالة كافية لبيان مقدرة منصور
على ناصية الكلام وتفنته في معانٍ الشعر وصوغها بأساليب تستلتفت إليها
أنظار الأدباء وتحملهم على معارضتها واتباعها .

ثم نرى الدكتور محمد كامل حسين يصرح بأنه لم ينشد قصائد مطولة، بل كل شعره مقطعات. ويستدل على ذلك بقول الحصري: «وهو على المقطعات، لا تزال تندر له الآيات ما يستظرف معناه، ويستحلل معزاه، ويفيق سناه^٢.

(١) ابن خلkan ٤ : ٣٧٦ وأدب مصر الاسلامية : ٢٧٦ .

(٢) زهر الآداب : ٣

ويبدو أن هذا صحيح، لأننا نرى في المراجع أن الرواية لا يوردون من شعر منصور إلا آياتاً عديدة. ولا يذكرون له قصيدة كاملة. اللهم إلا ما يوجد في بهجة المجالس من الآيات التي قد يصل عددها إلى ١٨ بيتاً، مما يحمل على الظن بأنه أنشد قصائد طويلة ولكنها لم تحفظ. ويؤيد ذلك ما يذكر من أنه رحل إلى بغداد قبل مجئه مصر، ومدح هناك الخليفة المعزى العباسى. وكذلك يقول عنه صاحب طبقات الشافعية^(١): كان شاعراً خبيث اللسان في الهجوء. ومن المعروف أن النوعين من الكلام يتطلبان الطول ويقتضيان الاستطراد، كما هو المعروف لدى الشعراء. فالغالب أن منصوراً قد مدح وهجاً وأنشأ في ذلك قصائد طويلة ولكنها لم تحفظ فضاعت مع الزمان.. وكانت توجد في مصر منذ القرن الثاني للهجرة نزعة صوفية. وكان ذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٨ هـ من أوائل الصوفية الذين نشروا هذه النزعة وقووها، ومنذ ذلك الوقت قد أصبح الصوفية مكانة وعصبة في مصر وقد بقىت إلى الآن.

والدارس لشعر منصور يلاحظ أنه - مع تخصصه في الفقه - كان يميل إلى هذه النزعة الصوفية، فيحث الناس على الفرار والتخلّي عن الدنيا، والزهد بما في أيدي الناس، يقول:

أنتهو وقد ذهب الأطيان
وأنذرك الشيب قرب الأجل
كأنك لم تر حياً يموت
ولم ترميَا على مغتسل

ويقول :

رضيت بها قسم الله لي
وفرضت أمري إلى خالي
كما أحسن الله فيها مرضي
كذلك يحسن فيها بقى

وكانت ثقافة منصور الدينية الواسعة وتجاربه الطويلة للناس والزمن

قد أوحت إليه كثيرا من المعانى، وأنطقته بأيات جرت بجرى الحكم والأمثال، ورددتها ألسنة الصغير والكبير، يقول:

يامن يسر بموقى إذ أتاه البشرين

إن البشير بموقى فلا تسر، نذير

اليس من كان مثلى إلى مصيرى يصير

ويقول:

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة أن لا يرى ضوئها من ليس ذا بصر

ويقول:

خذ من زمانك ما صفا ودع الذى فيه الكدر

فالعمر أقصر من معاينة الزمان على الغير

ويقول:

منافسة الفتى فيما يزول على تقاصن همه دليل

ومختار القليل أقل منه وكل فوائد الدنيا قليل

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي لوسقناها جميعا لطال بنا الكلام،

فإننا نرى أن جميع شعره يتضمن على الحكم والمعانى البليغة والناصحة اللطيفة

ما يدل على أن منصورا كان عميق النظر واسع الفكر، يكتسب التجارب

من الحياة ويسجلها في أشعاره، فهو «الشاعر الحكيم»، الذى تعمق فى العلم،

وتفتح فى الشعر. إنه عرض أمام الناس جميع ما تلقاه وتعلمه فى ثوب شعرى

جذاب، يأخذ الألباب ويستميل القلوب.

وبدافع من هذه الثقافة الدينية كان منصور يكذب التجيم الذى كان

منتشرًا بين طبقات الناس، ويستخف الذين كانوا يؤمنون به، يقول:

من كان يخشى زحلا أو كان يرجو المشترى

فأنتى منه وإن كان أبي الأدنى برأى

ثم يقول مشيراً إلى حكمة الله تعالى في خلق النجوم :
 وليس للنجم إلى ضـ سـرـ ولا نفع سـيـلـ
 إـنـماـ النـجـمـ عـلـىـ الـأـوـقـاتـ والـسـمـتـ دـلـيـلـ
 ويقول :

دعا إـلـيـهـ التـوـهمـ	قال النـجـمـ شـبـيـناـ
ما يـقـولـ المـنـجـمـ	فـلـاـ نـصـدـقـ شـبـيـناـ
لـقـالـ صـكـواـ النـجـمـ	لـوـ أـنـ بـحـمـاـ تـكـلمـ
بـالـغـيـبـ مـاـ لـيـسـ يـعـلـمـ	لـأـنـهـ قـالـ جـهـلاـ

ومن ذلك يظهر شدة حرصه على دينه ، وعلومه الإسلامية الخالصة التي تذكر مثل هذه الأقوال التي انتشرت بين الناس . ولا شك أن مثل هذا الرجل كان بعيداً كل البعد عن حياة اللهو التي جرفت أكثر شعراء مصر ، فكان هذا الشاعر يمثل طبقة الشعراء العلامة الذين لم يأخذوا بنصيب من تطور الحياة في عصره . وكان يؤمن بالأخلاق والمثل العليا التي دعا إليها الإسلام ، وكان يدعى الناس إليها في شعره . والأيات الآتية تعبر خير تعبر عن اتجاهه الديني وسلوكه المثالى ، يقول في الاستغناء عن الناس والتوكيل على الله تعالى في معركتك هذه الحياة :

قطـعـتـ رـجـائـىـ مـنـ بـنـىـ آـدـمـ طـراـ	فـأـصـبـحـتـ مـنـ رـقـ الرـجـاءـ لـهـ حـرـاـ
وـكـيـفـ يـعـيـبـ النـاسـ بـالـنـعـمـ مـؤـمـنـ	يـرـىـ النـفـعـ مـنـ يـمـلـكـ النـفـعـ وـالـضـرـاـ
عـلـيـهـ اـنـكـالـىـ فـالـشـدـائـدـ كـلـهاـ	وـحـسـبـيـ بـهـ عـنـدـ الشـدـائـدـ لـىـ ذـخـراـ

ويقول بمحذراً من مصاحبة الفاسقين :

لـفـاسـقـ أـوـ كـفـورـ	لـاـ تـلـفـيـنـ خـلـيـطـاـ
فـالـقـرـبـ مـنـ ذـيـنـ عـاـ	رـعـىـ الـفـتـىـ الـمـسـتـورـ

ويقول مشيراً إلى أن البخل هو شر ما في الإنسان ويؤديه إلى أسفل

المدارك:

ما في البخل انتفاع والكلب ينفع أهله
فنه الكلب عن أن ترى أخا البخل مثله
وكذلك له أبيات أخرى في ذم البخل والبخيل، وفي بعضها حكى
اللقاء هو عند زيارته لصديق بخيل.

وبعد أن درسنا حياة متصور الفقيه وشعره، نحب أن نشير إلى رأي لابن الجوزي أبداه تجاه متصور وشعره، يقول في ترجمته له: «ويظهر في شعره التشيع، وهذا الرأى نفسه قد نقله ابن كثير عن ابن الجوزي بحث يدو أنه أيضاً مقتنع بما ذهب إليه ابن الجوزي.

أما نحن فلا نعلم مصدراً لهذا الرأي، وليس عندنا من الشواهد ما يصدقه، فابن الجوزي قد عاش في القرن السادس الهجري، فيئه وبين منصور نحو قرنين من الزمن، ولو كان الأمر كما زعم ابن الجوزي لكان من المعقول أن يشير إليه من ترجم منصور قبل ابن الجوزي.

ثم الذى روينا من أشعاره لا نجد فيه ما يحمل على تصديق زعم ابن الجوزى ، فليس عليه مسحة من التشيع والانحراف عن مذهب أهل السنة ، بل الجميع يدعون إلى التمسك بالدين والسلوك الخلقى القويم . ولو فرضنا صحة رأى ابن الجوزى فمعنى ذلك أن هذا النوع من أشعار منصور لم يصل إلينا بل ضاع فيها ضائع من الآثار الأدبية والعلمية الأخرى .

نماذج من شعره :

فافية الألف

ترواح ما ليس يرضي الابه وتدو عليه وتخشي البلا^١

(١) هو مصدر بلي من باب سمع ، يقال : على الثوب ، أى خلق ورث .

ك فعل النساء إذا ما أسان
ولو كنت داويت قرح الذنب
وعاتبتهن أطلن البكا
ترك الدنوب حدت الدوا^١
فافية البا

لأن بنى دهرنا أفاع
فلا يكن فيك بعد هذا
ليس لما ساورت طيب
واحد منهن نصيب^٢

قد ضرب الباب والماجح
وأصبح الصاحب من ينهم
وعاتضت الناهد من بعده
وجد في تبذير ما لم يزل
وقهرمان^٣ الدار والكاتب
بحيث لا جار ولا صاحب
ألفا سواه وكذا الكاعب
يحمد له وارثه اللاعب
يازا هدا فيها وياراغب
منهما عدو فاتل سالب^٤

من لم تعظه المانيا
ولم يعظه الكتاب
فليس ينفع فيه
ولو تعني عتاب^٥

كذبت إن أنا سبي
من لا يعاشر إلا
بت محسناً أو مصيناً
منجماً أو طيباً^٦

(١) بفتح المجالس ٢ : ٢٧٤

(٢) ساوره : أخذ برأسه ووثب عليه .

(٣) بفتح المجالس ٢ : ٤٥

(٤) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج ، والمعنى قهارمة ، والكلمة دخيل .

(٥) بفتح المجالس ٢ : ٢٥٦

(٦) نمح نحاماً ونحوها (ف) فيه الدواه : دخل فأثر فيه أو ظهر أثره .

(٧) بفتح المجالس ٢ : ٢٧٧

(٨) بفتح المجالس ١ : ٨٤

يا من دعنه الغواني ع
ما وقد كان شبا
قد كنت ورداً جيناً
فصرت ورداً هرباً^١

لا تكثرن من الفكاهه
في حديث الدعايه
ودع الغريب من الكلا
م لأهله عند الخطابه
أغفلته دون الإصايه^٢
وإذا أصبت فكل ما

واخرس إذا خفيت سبب^٣
سل الحق عنك عن الإجايه
بسکوته عز المهايه^٤
فأقل ما يحزرى الفتى

إن الحجاب عذاب
وليس لي بالعذاب
كلا فلا تعذلو في
على اتصال اجتنابي^٥

وقال نيسنا فيها رواه
عن الرحمان في علم الغيب
يمن به على أهل الذنب^٦
محال أن ينال العفو من لا

هبني خضب^٧ لشبي^٨
تسراً عن حبيبي
فما أروح ولاغدو^٩
إلا بوجه مربب^{١٠}

(١) بهجة المجالس ٢ : ٢٢٠ ، والمربى : معمول بالرب وهو سلامة خماره كل ثغر بعد اعتصارها.

(٢) بهجة المجالس ١ : ١٢٧

(٣) والذي يحفظ أستاذى الدكتور مختار الدين أحد هر : «أمور الحق» .

(٤) بهجة المجالس ١ : ١٤

(٥) بهجة المجالس ١ : ٥٦

(٦) بهجة المجالس ١ : ٨٠

(٧) في «دل» «ستر»

(٨) في «دل» «مشيج»

(٩) بهجة المجالس ٢ : ٢١١

ليـس الأـدـيـب أـخـا الرـوـا
يـة لـلـنـوـادـر وـالـفـرـيـب
سـن أـبـي نـوـاس أـو حـيـب
مـة وـالـعـفـاف هـوـ الأـدـيـب^١

فـضـلـ النـقـى أـفـضـلـ مـنـ
فـضـلـ الـيـسـار^٢ وـالـحـسـبـ
إـلـىـ الـعـفـاف وـالـأـدـبـ^٣
إـذـاـ هـمـاـ لـمـ يـجـمـعـاـ

قافية الناء

قال في مرضه معرضاً بـأـبـي عـيـدـ القـاضـيـ :

يـاـ شـامـتـاـ بـيـ لـنـ^٤ هـلـكـتـ
لـكـلـ حـىـ مـدـىـ وـوـقـتـ
وـأـنـتـ فـيـ قـبـضـةـ الـلـيـالـىـ^٥
تـخـافـ مـنـهـ^٦ كـاـ شـرـبـ
وـالـكـأسـ مـلـاـيـ وـعـنـ قـرـيبـ^٧
شـرـبـ مـنـهـ^٨ كـاـ شـرـبـ
وـلـنـاـيـاـ وـإـنـ تـرـاخـتـ
فـيـ الـدـهـرـ يـاـ ذـاـ الشـهـاتـ بـغـتـ^٩

قـارـبـ فـدـيـنـكـ إـنـ أـكـاـ
تـ وـإـنـ شـرـبـ وـإـنـ غـشـبـتـاـ
وـأـنـاـ الـكـفـيـلـ لـكـ الـحـيـاـ^{١٠}

(١) بـهـجـةـ الـمـجـالـسـ ١ : ١٦ وـجـامـعـ بـيـانـ الـعـلـمـ ٢ : ٧

(٢) فـيـ «ـلـ» وـالـلـسـانـ

(٣) بـهـجـةـ الـمـجـالـسـ ٢ : ٢٨ ، ١٧١

(٤) مـعـجمـ الـأـدـبـاـ : «ـإـذـاءـ

(٥) مـعـجمـ الـأـدـبـاـ : دـعـفـلـةـ الـنـيـاهـ

(٦) مـعـجمـ الـأـدـبـاـ : «ـقـلـيلـ

(٧) مـعـجمـ الـأـدـبـاـ : «ـمـنـهـاـ

(٨) بـهـجـةـ الـمـجـالـسـ ٢ : ٧٧ وـمـعـجمـ الـأـدـبـاـ ١٩٠ : ١٩٠ وـلـيـسـ فـيـ الـبـيـتـ الـرـابـعـ .

(٩) بـهـجـةـ الـمـجـالـسـ ٢ : ١٤٤

فَإِنْ^١ كُنْتَ تَرْعِمُ^٢ أَنَّ النَّجْوَ
مَ لَضَرِ وَتَنْفُعُ مِنْ^٣ تَحْنَهَا
فَلَا تَنْكِرْنَ عَلَى مِنْ يَقُو
لَبْأِكَ بِاللهِ أَشْرَكْتَهَا^٤

لَوْ لَا بَنَقَ وَسِيَّاقَ
لَطْرَتْ شَوْقَا إِلَى الْمَمَاتِ
لَاقَ فِي جَوَارِ قَوْمٍ
بَغْضُ^٥ لِي قَرْبَهُمْ حِيَاقٌ^٦

مَا بَيْنَ يَوْمِ الْمَهَيَّاتِ
وَبَيْنَ يَوْمِ الْمَعَزِّيَّاتِ
إِلَّا كَمَا بَيْنَ هَا وَهَاتِ^٧
وَإِنْ تَوْهِمْتَهُ طَوِيلًا

إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي الْمَحْكَمَاتِ
وَفِي الْمَوْتِ نَاهٌ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ
فَلَسْتَ بِمُنْتَفِعٍ إِلَى وَاعِظَاتِ^٨

أَرْسَلْتَ فِي حَاجَةِ رَسُولًا^٩
يَكْنِي أَبَا دَرْهَمَ فَتَمَتْ
وَلَوْ سُواهُ بَعْثَتْ فِيهَا^{١٠}
لَمْ تَحْظُ^{١١} لَقْسِي بِمَا تَمْنَتْ^{١٠}
قَافِيَةُ الثَّاءِ

زَادَ الْبَخِيلُ إِذَا مَضَى لِسِيلِهِ
ذَمَ الْعَدِي^{١١} وَقَطِيعَةُ الْوَرَاثِ

(١) معجم الأدباء وأدب مصر الإسلامية [إذاء]

(٢) ل : «تصدق»

(٣) ل : «ماء»

(٤) بهجة المجالس ٢ : ١٦٣ و معجم الأدباء ١٩ : ١٨٧ وأدب مصر الإسلامية : ٢٧٣

(٥) معجم الأدباء : «بغضني»

(٦) بهجة المجالس ٢ : ٨٣ و معجم الأدباء ١٩ : ١٨٧

(٧) بهجة المجالس ٢ : ٧٧

(٨) بهجة المجالس ٢ : ٢٧٧

(٩) حلقي حظره وحظره (س) بالرزرق : نال حظا منه .

(١٠) بهجة المجالس ١ : ٥٨

(١١) العدى : اسم جمع للعدو .

وآخر الساحر فحفظه من أهله ومن الغريب مداخن ومراث^١

قافية الجم

إذا الحادثات بلغن المدى وكادت لهن تذوب المهجِّجُ

وحل البلاء وقل الوفاء فعند التناهى يكون الفرج

إذا كان في بخله حكماء
وجاكم يخطب زنجية
فلا تحفل به خطابا
وإن كان سمحا جميل الفعال
وإن القطيعة في صرفه
بعير صداق لابعسارة
وحل من المجد أعلى الدرج
مشوهه الخلق فيها هوج
ولا تفرجهن ولا تنهج
كريما جوادا فإن المخرج
ولو جاء يخطب إحدى الملاج
وما عسر -متظر للفرج .

قافية الحاء

ولم تر منه سبيلا فسيحا أخاك اللبيب المحب النصيحا وأبدوا من الرأى رأيا صحيحا إذا هو شاور أن يستريحما ^٤	إذا الأمر أشكل إنفاذ فشاور بأمرك في ستره فربما ^٥ كشف الناصحون ولا يلث المستشير الرجال
---	---

(١) بحجة المجالس ٢ : ١٨

(٢) جمع المَهْوِيَّة بالضم: وهي الروح، يقال: خرجت مهْوِيَّة أى روحه.

(٣) هجرة المجالس ١ : ٣٣

(٤) هر ج ہو جا (س) کان طوپلا فی حق و طیش و تسرع :

(٥) بحجة المجالس ٢٢: ٢ وعجز البيت الاخير يوجد في بحجة المجالس ١: ٣٢ وفيه: وما عسر لمنظر الفرج

(٦) حف القليل مثل رب .

(v) بحثة المجالس ١ : ٩٩

قاقة الدال

إن اللئام لهم عند الكرام يد
بايوا^١ بفضل إذا ما حصل العدد
وزاد غيرهم فضلاً بما اعتقادوا
يعدوا على والد من لومه ولد
لما رأيت جميع الناس قد فسدوا
فيه ودانوا بالخلاف الذي وعدوا
واستجهلوا كل من واسى بما يجد
وأنزلوا الجود عار البخل، لارشدوا^٩

قل للكرام أعرفوا حق اللئام لكم
لولا لللئام لما عدوا الكرام ولا
لكنهم جنحوا للنقص فاتقصنا
جادوا فسادوا وأوضن^٢ الآخرون فلم
قد ساء ظني بمن^٣ قد كنت أحده
تدار^٤ سوا البخل حتى دق مذهبهم^٥
فاستعقولوا كل من أصفع لجهلهم^٦
فصار للبخل^٧ حق الجود بينهم

يا شامتين بمصرعى اليوم لي لكم غدا^٨

يامن يخاف أن يكو ن ما يخاف^٩ سردا
أما سمعت قولهم^{١٠}
إإن مع اليوم غدا^{١٢}

(١) بانه يبون (ن) طاله في الفضل والمزية .

(٢) في ل : «عد» .

(٣) الكلمة غيرها صحة في النسختين :

(٤) ل «باء» .

(٥) ل : «يدارسو» .

(٦) ل : «مدحهم» .

(٧) ل : «لبخاتهم» .

(٨) في نسخة «حق منهم لهم» والذى ابتهأ من ذلـه هو الأنسب .

(٩) بهجة المجالس ٢ : ٢٠

(١٠) بهجة المجالس ٢ : ٧٧

(١١) رواية التويرى : «ما أحاف» ..

(١٢) بهجة المجالس ١ : ٣٤ والتثليل والمحاضرة : ١٠٥ ونهاية الأربع ٣ : ١٠١

إذا تغدو ربطوا قطهم
بخلاء بما طرحته المائدة
ما عرضت قطا لهم تخمة
ولا تشکوا معدة فاسدة^١

تخل عن القبيح ولا ترده
ومن أوليته حسناً فزذه
فتکنى^٢ من عذولك كل كيد
إذا كاد العدو ولم تکده^٣

فافية الراء

يا من يسر بمحق
إذا أتاها البشير
إن البشير بمحق
فلا تسر، نذير
واسع فا أنت من
تخفي عليه الأمور
أليس من كان مثل^٤
إلى مصيرى يصير^٥

فأصبحت من رق الرجال له حررا
إذا ذكروا قدرأ كادناهم قدرأ
غنى عنهم بالله لا مطاؤلا

قطعت رجائي من بني آدم طرا
وعدل يأسى بنيهم فأحلتهم
غنى عنهم بالله لا مطاؤلا

(١) بهجة المجالس ٢ : ١٩

(٢) ديوان أبي العناية : «فتح» .

(٣) ديوان أبي العناية : «خيراء» .

(٤) ديوان أبي العناية : «ستقي» .

(٥) بهجة المجالس ٢ : ٢٣٦ وما في ديوان أبي العناية : ١٣٣ (الخاشية) وقال محقق الديوان :

دبور صاحب نسخة الأنوار الزاهية هنا طافحة من الآيات أثبتها مع مقدماتها :

١— وبروى له أيضاً في محاذرة صديق السوء والعدو المعاذق «من الوافر» :

تح عن القبيح لـ^٦

ثم قال : «البيان في المستطرف ١ : ٢٨٤ برؤاية :

ومن أوليته حناء .

(٦) بهجة المجالس ٢ : ٧٦

يرى الفرع عن يملأ الفرع والضرا
وحسبي به عند الشدائـد لـ ذخرا^١

وكيف يعيـب الناس بالمنع مؤمن
عليـه اـنـكـالـيـ فـيـ الشـدـائـدـ كـامـاـ

وبـاخـلـ جـيـتهـ قـسـدـمـ لـ
كـسـرـةـ خـبـزـ وـعـيـهـ عـبـرـىـ
وـقـالـ ماـ لـشـتـهـىـ ؟ـ فـقـلـتـ لـهـ :

قطـعـةـ خـبـزـ وـكـرـةـ أـخـرـىـ
احـذـرـ عـدـوكـ مـرـةـ
واـحـدـ صـدـيقـ أـلـفـ مـرـةـ

فـلـهـماـ اـنـقـلـبـ الصـدـيقـ
عـسـاكـ بـالـصـبـرـ أـنـ تـظـفـرـىـ
كـسـاكـ الـدـيـقـ وـالـتـسـتـرـىـ
ولـكـ أـبـوـكـ اـبـتـلـ بـالـعـلـمـ

بـنـيـ لـاـ تـجـزـعـيـ وـاصـبـرـىـ
فـلـوـ نـالـ يـوـمـأـ أـبـوـكـ الغـنـىـ
مـ فـاـنـ يـبـعـ وـلـاـ يـشـرـىـ
أـوـ كـانـ يـخـشـىـ زـحـلـاـ

فـإـنـيـ مـنـهـ وـإـنـ

لـاـ تـلـفـيـنـ خـلـطـاـ
لـفـاسـقـ أـوـ كـفـورـ
فـالـقـرـبـ مـنـ ذـيـنـ عـاـ

(١) بهجة المجالس ١ : ٨٢

(٢) بهجة المجالس ٢ : ١٩

(٣) حاضرات الأدباء : «أعلم» ، وفي ابن أبي الحديد : «أعرف»

(٤) بهجة المجالس ٢ : ٤٩ ، وفي حاضرات الأدباء ٣ : ٢١ . قد نسبا لعلي بن عيسى ، وابن أبي الحديد ١٩ : ٢٩

(٥) دقيق : بلد مصر قرب بور سعيد ، وإليه تنسب «الثياب الدقيقة».

(٦) تستر : أعظم مدينة بخوزستان اليوم . وهو ترجم «شوشتر» ، وكان يعمل بها ثياب وعظام فاتحة .

(٧) بهجة المجالس ١ : ٢١

(٨) معجم الأدباء : «منه» .

(٩) بهجة المجالس ٢ : ١٦٣ ، والتسليل والحاضرة : ١٨٩ ، ومعجم الأدباء ١٩ : ١٨٦

(١٠) بهجة المجالس ٢ : ٢٣٩

يا أخا الدهر إن وفي
أثراً على غاية المذكرة.^١

فِي النَّاسِ خَيْرٌ كَثِيرٌ
وَقَدْ نَصَحَّتْكَ جَهْدِيْ
فَإِنْ وَلَقْتَ بِقُولِيْ

خذ من زمانك ما صفا
فالعمر، أقصر من معا
ودع الذى فيه الكدر
ينة الزمان على الغير.

قافة السن

إذا ما استحر ولم يتسع
وحل وأمك من نفسه
ولم يك رطاً ولا يا بسا
فنبه له جارك الناعساً

<p>وصير في الایحاش من خلقه أنسى بعد مغيب الشمس عن مطلع الشمس وأصبح مس—روراً بذلك كاً أمسى وقرب جناتها العذب شئ سوى الأنس^٤</p>	<p>بارك من لوشاء ملكني نفسى وباعد دارى عاجلاً عن ديارهم لعل ان أمسى من الشر آمنا فا ن ked الدنيا على طيب ظلمها</p>
--	--

(١) يهجة المجالس ٢ : ٤٢ ، وفي ٢٣٤ بدون عزو .

(٢) الجهد ، بالفتح : الطاقة ، يقال : «أفرغ جهداً» . أى طاقته .

(٤٢) بحجة المجالس :

(٤) محاضرات الأدباء:

فالعمر أقصر مدة

(٥) يهجة المجالس ٢ : ٣٣٧ وقد نسبا في حاضرات الأدباء ٢ : ٦٧٤ لديك الجن.

(٦) يهجة المجالس ٢ : ١٣١ ، والناعص : اسم فاعل من نعس نعساً (ف) الرجل : أخذه فترة في حواسه
نقارب النوم ، والجمع : نعن .

(٧) بہجۃ المجاہس ۲ : ۴۵

قافية الشين

كل من فارق المروءة عاشا
ونما وفره^١ وزاد رياشا^٢
وآخر الفضل والمروءة والديه
من مقل أمره تتلاشى^٣

قافية العين

أخوه البخيل وضعيف
كما البخيل وضعيف^٤
وما يقال سوى ذا
في ذين إلا رقيق^٥

ما ضيع الله خلقاً
فأنت أنت أضياعاً
الله يرزق من لا
يطيعه والمطينا
فاجعل سكونك لله
ـه ونجواك جميعاً
فكل بوسى ونعمى
سينسيان سريعاً^٦

يا شريفاً طب أمثا
لي عنه النصح بدعه
لو مطلت النفس بالفروع
ـج بعد اليوم جمعه
لم تمت هزلاً ولم يلد^٧
ـتزيك الحمى بسرعه
ـفاحترس بعد فحسب^٨

قلت للعجب لما
قال مثل لا يراجع

(١) الوفر ، بالفتح : النقى ، ومن الملال والنتائج : الكثير الواسع ، أو العام من كل شيء ، والجمع : وفور .

(٢) الرياش ، بالكسر : اللباس الفاخر . يقال . دله رياش . أي لباس فاخر كريش الطائز في نعمته .

(٣) بهجة المجالس ٢ : ٢٧

(٤) بهجة المجالس ٢ : ٢٤ والرقيق : هو الأحقن أو قليل الحياة .

(٥) بهجة المجالس ١ : ٢٣

(٦) ما يمكث من قراءة هذه الكلمة .

(٧) بهجة المجالس ١ : ٨٥

يا قريب العهد بالخ سرج لم لا تواضع^١

إذا قفت بقوت ولبس ثوب مرقع
ولم يكن لي غيال نفسى لهم تفجع
ولا بنون صغار قلبي لهم يتقطع
ولا صديق مصاف فراقه أتوقع
وقد فرغت^٢ عن الله سو والغنا والتمنع
وكان لله نسك فما ترى الدهري صنع^٣

قافية الفاء

إذا خلقت عن صديق ولم يعاتبك في التخلف
فلا تعدد بعدها إليه فإنما وده تكلف
وإن تعدد بعدها إليه فلا تلمه على النصف^٤

قولوا لزوار الكف والمنشأين من النطف
يا جيفا من الجيف مالكم وللصلف^٥

قافية الفاف

إذا كان لا بد من حجبة ومن حاجب فاجعلوه ريقا

(١) بهجة المجالس ١:٩٦؛ والبيث المسمى ١:٩٥ رانظر لها في محاضرات الأدباء ١:١٣١ والأخير في نفس الجزء: ٢٥٩

(٢) ل: «عرفت من».

(٣) ل: «فأني».

(٤) بهجة المجالس ٢:٢

(٥) بهجة المجالس ٢:٥١ والبيان الأولان في التمثيل والمحاضرة: ١:٥٥ وخاص الخاص: ١:٣٤ والاعجاز والإيمان الأولان فقط: ٢:٥٦ ومعجم الأدباء ١٩:١٨٩

(٦) بهجة المجالس ١:٩٦ وللصلف مصدر بابه سمع، يقال: صلف الرجل: أى ت مدح بماليس، عند، أو جاز قدر الظرف وادعى فوق ذلك اعجاها وتكبرا.

يُخاطب من جاهه بالجبل
فاني صديقاً ويعرضي صديقاً

يا سيداً بات القلوب لأن
بات كا لا نحب محترقه
إن ذوى الطب ، لا أقول بما
يدمل رب خلافه ، فسقه
على شحيح بدينـه شفقـه
فلا تشاورهم فليس لهم
في كل يوم وليلة ورقـه
وائل من الوحي ما استطعت ولو
فا تداوى العليل يرـحـك الله
ـه بمثل القرآن والصدقة^١

أجالـسـ كـلاـ وإنـ لمـ يكنـ
ـعـلـىـ ماـ أحـبـ سـوـىـ الـأـمـوـقـ
ـوـأـنـهـضـ عـنـهـ فـلـاـ نـلـقـ
ـبـأـفـضـلـ مـنـ هـجـرـةـ الـأـحـمـقـ^٢

الحمد لله شـكرـاـ
ـوـالـشـكـرـ أـيـسـ حـقـهـ
ـعـدـوـمـ أـجـلـ صـدـقـهـ^٣
ـأـمـسـيـ الصـدـيقـ كـثـيرـاـ

قافية الكاف

منابـيكـ الـأـدـنـيـ أـشـدـ عـدـاـوـةـ
ـيـقـولـ الذـىـ يـبـيـنـ وـيـبـيـنـ مـوـجـبـ
ـوـمـاـ قـدـ رـمـاـ أـوـ لـيـتـيـ وـهـ عـالـمـ
ـوـمـاـ خـيـرـ مـنـ يـمـسـيـ وـيـصـحـ سـاخـطاـ
ـوـكـفـرـآـلـماـ أـوـ لـيـتـهـ مـنـ عـدـ اـنـكـاـ
ـعـلـيـكـ لـعـمـرـىـ أـثـرـقـ^٤ بـحـيـاتـكـاـ
ـبـأـنـكـ قـدـ آـثـرـهـ بـصـلـاتـكـاـ
ـعـلـىـ اللهـ فـيـ تـأـخـيرـهـ لـمـاـنـكـاـ^٥

(١) بهجة المجالس ١ : ٥٦

(٢) بهجة المجالس ١ : ٨٤

(٣) أفضل تفضيل من ماق مرقا (ن) الرجل : حق في غواوة ولئاق : الأحق .

(٤) بهجة المجالس ١ : ١٢٠

(٥) بهجة المجالس ١ : ١٢٨

(٦) الآترة : الاختيار والاكرام ، والمرامة الموارنة .

(٧) بهجة المجالس ٢ : ٨٩

من شاب قد مات وهو حي يمشي على الأرض مثل ^١ هالك ^٢

قافية اللام

منافسة الفتى فيها يزول
على نقضان همه دليل
وختار القليل أقل منه
وكل فوانيد الدنيا قليل ^٣

إن لم يصبك من الكروبي
يم الحمر روابه فطله ^٤
إن الكريم له على معروفة نفس تده
ييدي فرندي السيف صقله ^٥

أحدرك الناس إلا قليلا
فلا تغين إلهي سيلا
وفارقهم عن قلي ^٦ واتخذ
إذا ما خشيت افرادا خليلا
تجدهم أبرا فعالا وقيلا
من الجن والجن إن تلهم
بهم طالبا من سواهم بديلا ^٧
من الإنس لا كان مستائنس

(١) التثليل والمحاضرة والكتكول: «مشي هالك». ومحاضرات الأدباء: «وهر هالك».

(٢) بهجة المجالس ٢: ٢١٥: ٢١٥ و«التثليل والمحاضرة»: ٣٨٨ ومحاضرات الأدباء: ٣: ٣٤٠ ونهايتها

آخر وهو:

لو كان عمر الفتى حابا
لكان في شيء فذلك
وهو في ذهر الآداب: ٩٠١ مكذا:

لو أن عمر الفتى حاب
كان له شيء فذلك
وكذلك في ل، ثم إن البيت الأول قد نسب لابن واصلة في الكتکول ١: ٧٠

(٣) بهجة المجالس ٢: ٢٥٨: ٢٥٨ والمستظرف ١: ٢٥٣: ٢٥٣ وابن أبي الحديد ١: ٢١٦: ٢١٦

(٤) الطل: المطر الضعيف، الندى، والجح طلال وطال.

(٥) الفرندي: السيف، وجورهه ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب العمل أو شبه الغبار، والجمع فراند،

(٦) بهجة المجالس ٢: ٢٢: ٢٢

(٧) قلية يقلاه قلي (س) أبغضه.

(٨) بهجة المجالس ٢: ٤٦: ٤٦

فَكُنْ راضِيًّا بِالْقُوَّةِ وَاحْتَسِبِ الْفَضْلًا
وَقُلْ لَهُمْ إِمَا لِقَيْتُهُمْ أَهْلًا
وَلَوْ جَادَ بِالدِّينِ لَسَانُهُ بَذْلًا
بِأَدْنِ الْوَرَى شَبَّيًّا إِلَى الْمَزْلُ الأَعْلَى
فَيْعَ بِالْغَنِيِّ فَقْرًا وَبِالْعَزَّةِ الذَّلَّا^١

إِذَا شَتَّ أَنْ تَحْيَا بِلَا عَائِبَ أَصْلًا
وَكَافَ ذَوِي الْإِجْرَامِ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ
وَلَا تَلْقَ خَلْقًا سَاءِلًا وَزَنْ ذَرَةٍ
فَأَشْرَفَ الْمَرْءُ الْحَسِيبُ وَلَا ارْتَقَ
سَوْيَ صَبْرٍ هَذَا عَنْ هُوَاهُ وَحْرَصَ ذَا

عَلَى بَيْتِ الْأَزْمَهِ مِنْزِلَهُ
فَاعْتَضَعَ مِنْ الْمُحْرَرَةِ الْمُبْقَلَهُ
وَبَاعْدَ الْمَيْلَ عَنِ الْمَكْحُلَهُ
يَأْكُلُ فِي الصَّحَّهِ مَا عَنْ لَهُ^٢

يَاذَا الَّذِي أَكَبَرَ لِي مِنْزِلِي
إِنْ كُنْتَ فِي الصَّحَّهِ ذَا رَغْبَهُ
وَاسْتَعْمَلَ الْمَاشَ^٣ وَأَشْبَاهَهُ
فَإِنَّمَا الْجَاهَلُ كُلُّ اُمْرٍ

وَلِي حِيلَهُ فِيمَ نِيمَ^٤
مِنْ^٥ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُولُ

أَرَى الْهَلَالَ الْخَفِيَّ بِالْعِجْلَهُ
لَمْ أَرَهُ قَبْلَهُ وَلَا جَهَلَهُ

(١) بهجة المجالس ٢٦ : ٢

(٢) الماش : حب كالكرستة نافع للحمى والرذايم ، يؤكل مطبوخا .

(٣) عن عنا وعنونا (ن ، ض) له الفتنى ظهر أمامه واعتراض .

(٤) بهجة المجالس ١ : ٨٤ ، ٨٥

(٥) نم نما (ن ، ض) الحديث : أظهره بالوشاعة ورفعه على وجه الاشاعة والافساد .

(٦) الموشح : من كان يكذب ما يربى . د خليق فيه قوله

(٧) بهجة المجالس ١ : ٨٨ ووفيات الأعيان ٤ : ٣٧٦ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٨٦ وشذرات الذهب ٢ :

(٨) ونكت المعيان : ٢٩٨ وهما قد نسبا في المستطرف ٢ : ١٠ لمحمد بن أبي الجنوب ، وفي الموشح :

(٩) قد نسبها لمحمد بن مروان بن أبي حنفة . وما في الكامل ٢ : ٧٠٢ ونسبة بعض المحدثين

بدون تسمية .

(١٠) بهجة المجالس ١ : ٩٦

يا سائل عن حسن وقت مضى واشتكاله
 أفل ما في حسن كف الأذى واحتماله^١

ما في البخيل انتفاع والكلب ينفع أهله
 فنره الكلب عن أن ترى أخا البخل مثله^٢

أيها المظهر الشمس ته إن مت قبله
 عن قريب يصير مش على من كنت مثله^٣

اسمع فهذا كلام ما فيه والله عمله
 أقل من كل شيء من لا يرى الناس قوله^٤

طول الحجاب وخبر عن عي صاحبه وبخله
 فإذا الفتى لم يتبين هذا تبين ضعف عقله^٥

إن بين الحق والبا طل فرقا لا يحيل
 وعلى نيسة ذى القو ل من القول دليل
 فقل الحق وإن قيل لك الحق ثقيل
 واتق الله إذا أسررت وانظر ما تقول
 لا يصدنك إن فالمن الناس جهول

(١) بهجة المجالس ١ : ٦١

(٢) بهجة المجالس ٢ : ٢٣

(٣) بهجة المجالس ٢ : ٧٧

(٤) في لـ : وفي الناس .

(٥) بهجة المجالس ٢ : ٢٢٧

(٦) عي يعي عيا (س) في المطلق : حصر فهو عي وعيي .

(٧) بهجة المجالس ١ : ٥٦

إِنْ قَوْلَ الْمَرْءِ فِيهَا لَمْ يُسْلِعْ عَنْهُ فَضْلُولٌ^١
 كُلُّ مَنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ النَّاسِ ذَلِيلٌ
 وَأَذْلَلُ النَّاسِ مِنْ لَمْ يَرْضِ مِنْهَا بِالْقَلِيلٌ^٢

أَتَهُو وَقَدْ ذَهَبَ الْأَطْيَانُ وَأَنْذَرَكَ الشَّيْبَ قَرْبَ الْأَجْلِ
 كَأُنُكَ لَمْ تَرَ حِيَا يَمْوتُ وَلَمْ تَرْمِنَا عَلَى مَغْتَسَلٍ^٣

قافية الميم
 نَيْهُ^٤ وَجْسَمُكَ مِنْ نَطْفَةٍ وَأَنْتَ وَعَاءٌ لَا تَعْلَمُ^٥

لِيْسَ هَذَا زَمَانٌ قَوْلٌ^٦ مَا الْحَكَمُ
 وَالْحَقُّ بِاَنَّا بِأَهْلِكَ أَوْ أَنْ
 وَمَنِي^٧ تَنَكِّحُ الْمَصَابَةَ فِي الْعَـ
 فِي حَرَامٍ أَصَابَ سَنَغَزَالٍ^٨
 إِنَّا ذَا زَمَانٌ كَرُ^٩ إِلَى الْمَوْ^{١٠}

- (١) بهجة المجالس ١ : ١٣
- (٢) بهجة المجالس ٢ : ٢٥٨
- (٣) بهجة المجالس ٢ : ٢٧٥
- (٤) ناه تبها (ض) تكبير.
- (٥) بهجة المجالس ١ : ٩٦ والغيث، المسجم ١ : ٩٥ و التمثيل والمحاضرة : ٤٤٥، وفي الكشكوكل ١ : ٤١٤ بدون نسبة.
- (٦) معجم الأدباء : «قولك» .
- (٧) معجم الأدباء : «أو مني» .
- (٨) البغام : صوت الطيبي .
- (٩) في ل «كدة» .
- (١٠) بهجة المجالس ٢ : ٢٦٥ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٨٨

قال النجم شيئاً دعا إليه التوهم
فلا نصدق شيئاً ما يقول الماجم^١

أيت عمرا سحرا ف قال : إني صائم
فقلت : إني قاعد . ف قال : إني قائم
فقلت : أتيك غداً ف قال : صوئي دائم^٢

أعلن وهب كرمه في وصله من صرمه
وعفوه عن كل من أخطئه أو ظلمه
وببره بنفسه وما له من حرمه
فما يراه معظم للحق إلا أحظمه
أبقى عليه الله ما أبقاء فيما زمه
وزاد فيها عنده وحاطه وسلمه^٣

أحب البنات فحب^٤ البنات
لأن^٥ شيئاً لأجل البنات
لآخر^٦ محب^٧ لا تعرض عن النصب
فالنصح أولى ما قبل^٨

(١) بهجة المجالس ٢ : ١٦٣

(٢) بهجة المجالس ٢ : ٢١

(٣) بهجة المجالس ٢ : ٢٥

(٤) في ل : « وحبا » .

(٥) قبل : « وإن » .

(٦) بهجة المجالس ٢ : ٧٣ والشريشى ٣ : ٢٠٥

(٧) في ل « أناك به » .

(٨) بهجة المجالس ٢ : ٢٣٧

ألا أليها النفس التي صرت هائمه
ضلال لاذهان وطن مكذب
وقد غص بالكافر الكريهة أحد
عليه سلام الله ما فضل الندى^١

تریدین تخلییداً بدنياك دائمه
رجاؤك أن تبقى على الدهر سالمه
ومات فات الحق إلا معاليه
وصدق^٢ ذو الشح المطاع لوانمه^٣

ألا أليها النفس الشفوف تنبئي وألي السمع إلقاء خازم^٤

وقال يداعب صديقا له يكنى أبا نصر ويسمى فتحا قدم من الحج :
سألت الحجاج وقد أقبلوا يومون مصر من أرض الحرم
فقلت لهم بعد إيناسهم أفتح بهكم ألم قد قدم
 فقالوا ترحل من قبلنا عشر ليال توالت حرم
فقلت : بحرمة من زرتم فأقبلت في صرخة منهم
أعدد آلامه والجفون
فصادقني صالح عبده
 وما ذا دعاك إلى ما أرى ؟
فقلت : المذار على ذي الكرم
إذا المزن^٥ ضنت بصوب الديم^٦

(١) الندى : المطر والفضل والخير وما يسقط في الليل من بخار الماء المكافف .

(٢) فـ لـ : «صدق ذو الكشح» ،

(٣) بيهجة المجالس ٢ : ٢٨٣

(٤) لا يوجد هذا البيت في نسختنا وإنما أثبتاه من «لـ» .

(٥) جع «المساح» : وهو صاحب الجود والمساحة .

(٦) التدم : اضطراب .

(٧) المزن : السحاب أو ذو الماء منه .

(٨) الدبة : مطر يدور في سكون بلا رعد ولا برق ، والمعنى : ديم ودبوم .

من قال: «لا» في حاجة مطلوبة فـا ظلم
يقول: «لا» بعد «نعم»^٧ وإنما الظلم من

- (١) الأدم : جمع الأدام وهو ما يحمل مع الخبر فيطليه ، وكل موافق وملائم .
 - (٢) جمع الفرو وهو شئ كالجلبة يطن من جلود بعض الحيوانات كالارانب والسمور .
 - (٣) جمع البرمة وهي القدر من الحجر .
 - (٤) القديد : اللحم المقطع المجفف .
 - (٥) الملوز : التمر المشو باللوز . والنعن :
 - (٦) بحجة المجالس ١ : ٥٩ ، ٦٠
 - (٧) بحجة المجالس ١ : ٧٠ والتسليل والخاضرة : ١٠٦ والاعجاز والابيحاز : ٢٥٥
 - (٨) المحاسن : أما الرغيف لدى الخرا ن فن كريمات الحرم
 - (٩) في ل : «يس» المحاسن : «يحس» .
 - (١٠) في ل : «يس» .

فإذا نزلت بدارهم ^١
 فائز لسرق ^٢ والثُّمَّ
 يا من يعيش مسلماً ^٣
 حتى تعيش مسلماً ^٤

لو أن نجماً تكلم ^٥
 لقال: صكوا المنجم
 لأنه قال جهلاً ^٦
 بالغيب ما ليس يعلم ^٧

قافية النون

أخرس إذا سألوا وإن ^٨
 قالوا: عي أو جبان ^٩
 فالعي ليس بقاتل ^{١٠}
 ولربما قتل اللسان ^{١١}

إذا القوت ثانى لـ ^{١٢}
 بك والصحة والأمن
 وعف الفرج والفهم ^{١٣}
 فيما الله والبطن
 وأصبحت أخاحزن ^{١٤}
 فلا فارقك الحزن ^{١٥}

الصدق أولى ما به ^{١٦}
 دان أمرؤ فاجعله دينا ^{١٧}
 ودع النفاق فا رأي ^{١٨}
 بت أمرء إلا مهيننا ^{١٩}

أرزاقنا مقسمة وهكذا آجالنا

(١) في ل: «يشدق ملشم».

(٢) بهجة المجالس ٢: ١٨: اليتان سوى الآخرين في الحسن والمساوي؛ ٢٥٩ والرواية مختلفة جداً.

(٣) بهجة المجالس ٢: ١٦٣.

(٤) بهجة المجالس ١: ١٣.

(٥) في ل: «تنق قه».

(٦) التثنيل: «فأصبحت أخا خوف».

(٧) بهجة المجالس ٢: ٢٦١ والأول والثالث في زهر الأدب ٣: ٨٤٨ وما في محاضرات الأدباء ٢: ٥١٨ وقد نسبا لأبي العنانية، ويوجدان في ديوانه (طبعة لويس شيخو: ٢٦٣ وطبعه دار صادر، بيروت، ١٩٦٤: ٤٢٥) وفي التثنيل والمحاضرة: ٣٩٨ سوى الثاني بدون عزو.

(٨) بهجة المجالس ١: ١٢٨.

فَا تَحْوِلْ يَنْنَا وَيَنْهَا أَحْوَالُنَا^١

فَلَا تَعْدِلْ بِهِ أَبْدَأْ قَرِينَا
وَلَا تَسْمِحْ بِحَظْكَ فِي مُودَّتِهِ ظَنِينَا^٢

أَصْلَحَ اللَّهُ كُلُّ مِنْ
يَتَوَلِّ أَمْرُنَا
وَوَقَانَا شَرُورُنَا^٣

مَاذَا جَنَّتْهُ الْلَّيَالِي
فِيهَا جَلَبَنِ إِلَيْنَا
وَكُلُّ يَوْمٍ نَعْزِي
فِيمَنْ يَعْنِي عَلَيْنَا^٤

عَلَيْكَ السُّكُوتَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ
فَرِبْمَا فَارَقْتَ بِالَّذِي
تَقُولُ أَمَا كَنْهَا الْأَسْنَهُ^٥

النَّاسُ بَحْرٌ عَيْقَنِ
وَالْعَدُّ مِنْهُمْ^٦ سَفِينَهُ
وَقَدْ نَصَحْتَكَ فَانْظُرْ
لِنَفْسِكَ الْمَسَكِينَهُ^٧

(١) بهجة المجالس ١ : ٢٣ .

(٢) في لـ: «ظنينا» .

(٣) بهجة المجالس ٢ : ٣٥ والظنين: القليل الخير، والجمع: أظنه .

(٤) بهجة المجالس ٢ : ٢٤٤ .

(٥) الاعجاز والإيجاز: «أرتاء» .

(٦) الاعجاز والإيجاز: «ما أتى إلينا» .

(٧) الاعجاز والإيجاز: «فـ كل يوم نعنى ، بـ من» .

(٨) بهجة المجالس ٢ : ٢٨٧ والاعجاز والإيجاز: ٢٥٦ .

(٩) بهجة المجالس ١ : ١٢ .

(١٠) معجم الأدباء والاعجاز والإيجاز: «عنهم» .

(١١) معجم الأدباء: «المسكينة» .

(١٢) بهجة المجالس ٢ : ٤٢ والتسليل والمحاضرة: ١٠٥ وفي ص ١٦٢ بدون عزو . ومعجم الأدباء
١٩ : ١٨٦ والاعجاز والإيجاز: ٢٥٥

هبني تحرزت مـ من ينم بالكتان
فكيف لي باحتراس من قائل البهتان

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين
وربما لم تجده في الآلف حرفين^١ حرفان في ألف طومار مسورة^٢

لو أن لتنا نفعت
مع ترك ما ينفعني
ما كان لي قول سوى
دياليتي لم أكن،^٧

جهلوا القياس للطفله فتوهوا
أن البخيل وكلبه مثلان
والكلب يحفظ أهله ويقيهم
ويكف طارقهم عن العداون

(١) الزمانة: العاهة، عدم بعض الأعضاء، تعطيل القوى.

(٢) بِهَجَةِ الْمَجَالِسِ ٢ : ٩٩ وَالْأَيَّاتُ تُسَبِّ إِلَى ابْنِ لَكْكَ فِي خَاصِ الْخَاصِ : ١١١ وَمَعْجمُ الْأَدَبِ : ١٩ : وَانظُرُوهَا فِي بَيْتِمَةِ الدَّهْرِ ٢ : ٣٤٧ وَدِيْوَانُ الْمَاعَنِيِّ ٢ : ١٠٢

(٣) بِهِجَةِ الْمُجَالِسِ ١ : ٨٨

(٤) في تتمة البِيَّنةِ : «من» .

(ه) تمهة البتمة والتثليل وجامع بيان العلم : «مسودة» وهو الصحيح وفي الأصل : مسورة ، وهو تحرير واضح .

(٦) بحجة المجالس ١ : ٢ وتمة البتيمة : ٢ ونهر القلوب : ٣٢٩ والتثليل والمحاضرة : ١٦٠ وجامع بيان العلم ١ : ١٠٦

(٧) بِهِجَةِ الْمُجَالِسِ ١ : ١٨

والندل^١ يوحش أهله ويحيعهم
ويحصن ناصرهم عن الخذلان
فهـما ، ومن جعل الكلاب أعزـة
والبـاخـلـين^٢ أذلة ، ضـدان^٣

لـفـرـتـ منـ كـلـ مـنـ وـثـقـتـ بـهـ
إـذـ كـلـهـمـ خـاتـقـىـ^٤ وـلـمـ أـخـنـ
وـمـنـ أـبـىـ أـنـ يـلـيـنـ لـمـ أـنـ^٥

لـوـلاـ الـبـنـاتـ وـالـذـنـوبـ لـمـ
رـعـتـ لـذـكـرـ الـخـنـوطـ وـالـكـفـنـ^٦

قالـواـ أـعـدـ فـلـانـ
لـخـوـفـ هـذـاـ الـقـرـانـ
زـادـأـ كـثـيرـأـ وـدـاـ
رـأـ وـثـيقـةـ الـبـنـيـانـ
فـقـلـتـ بـاتـ فـلـانـ
يـرـجـوـ النـجـاةـ بـذـانـ
هـلاـ اـسـتـعـانـ عـلـىـ مـاـ
يـخـشـىـ مـنـ الـحـدـثـانـ
بـمـنـ وـقـاهـ وـلـيـدـأـ
مـكـرـوـهـ كـلـ زـمـانـ
وـمـنـ غـذـاهـ جـنـيـنـاـ
فـيـ ضـيـقـ ذـاكـ الـمـكـانـ^٧

هـبـكـ نـلتـ المـنـيـ وـفـوقـ الـأـمـانـ^٨
وـتـجـاـزـتـ حـالـةـ الـإـحـسـانـ^٩
هـلـ تـرـىـ ذـاكـ باـقـيـاـ لـكـ

(١) الندل : الساقط في الدين أو الحسب ، والجمع : أنذال وندول.

(٢) ل : «والبـاخـلـينـ» .

(٣) بهجة المجالس ٢ : ١٧

(٤) ل : «خـابـيـ» .

(٥) بهجة المجالس ٢ : ٤١

(٦) بهجة المجالس ٢ : ٨٤

(٧) بهجة المجالس ٢ : ١٦٣

(٨) ل : «الـأـنـسـانـ» .

(٩) بهجة المجالس ٢ : ٢٣٨

يا سميع الدعاء كن عند ظني
واكفني^١ شر من كفني الشرمني
وأعني على رضاك وخرلي
في أموري وعافي واعف عن^٢

دانيا تروح بأهلها
في كل يوم مرتين
فغدوها لتجمع
ورواحها الشتات بين^٣

تعبد لحذف فضول الكلام
إذا ما نأيت وعند التداني
قليل العروض الكثير المعانى^٤
ولا تكثرن خير الكلام الـ

قافية الواو

احذر مودة ماذق^٥
مزج^٦ المرارة بالحلواه
يخصى الذنب عليك أيد^٧
سام الصداقة للعداوه^٨

من فارق الصبر والمروه^٩
امكن من نفسه عدوه^{١٠}

قافية الهماء

لا تحفلن بيته فتحمله
على التزيد مما يسخط الله
واهجره الله لا للناس مبتغا^{١١}
ثواب ربك في هجران من تاهها^{١٢}

(١) الشرط في ل مكذا : واكفني من كفنته الشرمني .

(٢) بهجة المجالس ٢ : ٢٤٥

(٣) بهجة المجالس ٢ : ٢٤٨

(٤) بهجة المجالس ١ : ٨

(٥) مذق مذقا (ن) الود : شابه بقدر ولم يخلصه فهو ماذق .

(٦) ابن أبي الحديد : «شاب» .

(٧) بهجة المجالس ٢ : ٤٩ وابن أبي الحديد ١٩ : ٢٩

(٨) بهجة المجالس ٢ : ٢٦

(٩) بهجة المجالس ١ : ٩٦

حضرتك الكبير لا يعطفك ميسمه^١
 فإنه ملبس نازعته الله
 يا^٢ بوس حامل رجس ليس يغسله
 بالماء^٣ عنه إذا كلمته تاهها
 إن نال في العاجل السلطان والجاحا
 يرى عليك له^٤ فضلا و^٥ منزلة
 كذبت يا صاحب^٦ الدنيا ومولاها^٧
 من على نفسه راض بسيرته^٨

ضحك دنياك يا إز
 سان عن^٩ نهيك عنها
 مع تمنيوك على رب
 بك مالم تؤت منها^{١٠}

نفسك رأس العنا فصنها
 من لم يصن نفسه يهونها
 فالياس منها غناك عنها^{١١}

(١) الشريشى : «بسمه» باليام الموحدة وديوان أبي نواس :

«حضرتك التي لا يعلقك ميسمه»

(٢) الشريشى :

يا بوس جلد على جوف مجونة
 يحوى مقاذير إن كلمته ناه

(٣) ديوان أبي نواس : «دنه الخروق» .

(٤) الشريشى : «له عليك» ، وديوان أبي نواس : «عليك به» .

(٥) ديوان أبي نواس والشريشى : «بيين به» .

(٦) ديوان أبي نواس : «بسيرتها» .

(٧) ديوان أبي نواس : «خادم» .

(٨) بهجة المجالس ١ : ٩٦ وقد نسبت الآيات في الشريشى ١ : ٣٠ لابي نواس وهي في ديوانه : ٦١٣
 مع خلاف في الترتيب .

(٩) ل : «من» .

(١٠) بهجة المجالس ٢ : ٢٥٠

(١١) اليتان ليسا في الأصل وإنما اثبتنا هما من «ل» .

قافية الأيام

رأيت البلاء كقطر السماء
وما تبت الأرض من هاميه
فلا تسأل إذا ما سألت
إلهك شيئاً سوى العافيـه^١

حفظ الفقى لسانه
صحته في العافيـه
واقية من البلاء
إن كان منه واقـه^٢

أفضل ما نال الفقى
بعد المدى والعافيـه
قرينة مسلمة^٣
عفيفـة مواتـه^٤

إذا رشوة من باب يـت^٥ تـقـمت
لتدخل فيـه والأمانة فيـه
سـعـت هـرـبـاـ منـه وـولـتـ كـانـهـا
حـلـيمـ تـنـحـيـ عنـ جـوارـ سـفـيـهـ^٦

منـ كـفـاهـ منـ مـسـاعـيـهـ
وـلهـ يـتـ يـوـارـيـهـ
فـلـمـ يـذـلـ بـالـعـرـ
كـلـ مـالـ مـعـنـهـ الـ
ـهـ رـغـيفـ يـغـزـيـهـ
ـهـ وـثـوبـ يـكـتـسـيـهـ
ـضـ لـنـذـلـ أـوـ سـفـيـهـ
ـيدـ أـيـدـيـ بـاـذـلـيـهـ

(١) بهجة المجالس ١ : ٨٣

(٢) بهجة المجالس ١ : ٨٣

(٣) في ل والبهجة ٢ : ١٧١ : «أمراة جليلة».

(٤) بهجة المجالس ٢ : ١٢٢ و ١٧١

(٥) في ل : «قوم» وفي البهجة ٢ : «دار قوم».

(٦) البهجة ٢ : «جراب».

(٧) بهجة المجالس ١ : ٢ و ٦٠ و ١٤

(٨) رواية البيت في معجم الأدباء هكذا:

ـ لـذـيـ كـبـرـ وـتـيـهـ

فـلـامـ يـذـلـ الـوـجـ

فهو للوراث والوزر على مكتسيه^١

أى زمان نشأت فيه
كذا ضلال بأرض تيه
ما شئت من عالم خييث^٢
فيه ومن جاهل سفيه^٣



(١) بهجة المجالس ٢ : ٢٦٤ و معجم الأدباء ١٩ : ١٨٩ ولا يوجد فيه البيان الأخيران.

(٢) ل : «حبيب» .

(٣) بهجة المجالس ٢ : ٤٤

استدراك

ص ١٥٣ :

كان يوجد في نسخة «ت» بعد قول منصور :

فصار للبخل حق الجود عار البخل ، لارشدوا
وألزموا الجود ينهم بيت آخر وهو :

فإن سمعت بهلك البخيل فقل بعده وسحقا له من هالك يرد

وحينما عرضت هذا البحث على أستاذى فضيلة الدكتور مختار الدين أحد
فقد تكرم بالتنبيه على أن البيت لا يمكن أن يكون من شعر منصور ، لأن الجاحظ
قد أورده في كتاب البخلاء ، وهو متقدم من منصور بنحو خمسين سنة . وبعد
ذلك تيسر لي الرجوع إلى نسخة أخرى لبهجة المجالس طلبها فضيلة الدكتور من
ألمانيا الغربية ، وفيها وجدت أن عبارة «قال آخر» قد سقطت من نسخة «ت»
فانضم إلى شعر منصور ما ليس له بل هو لغيره من المتقدمين . ورواية
البيت في نسخة ألمانيا التي رمزا إليها بـ «دل» ، هكذا :

فإن سمعت بهلك للبخيل فقل بعده وسحقا له من هالك مود

ملحق لأشعار منصور التي وجدت في المصادر الأخرى

قافية الهمزة

عيش الفقيه بعلمه متنفس
وكذا الطيب وعاير الرؤياء
الآخران خشية الدنياء
أما الفقيه خشية من ربه
فيها يقول ذو النهي أشقاء
وكذا المنجم عشه من عيشهم
والبعد من زهد ومن تقواء^١
الشك أول حاصل في كفه

قافية الباء

قد قلت لما أن شكت
تركي زيارتها خلوب
إن التباعد لا يضـ
سر إذا تقارب القلوب^٢

أـخ لـى عنـده أـدب
مـودـة مـثـله نـسـب
رـعـى لـى فـوق ما يـرـعـى
وأـوجـب فـوق ما يـجـب
فـلو سـبـكـت خـلـاثـةـه
لـبـهـرجـ عنـدهـ الـذـهـبـ^٣

ولـم تـدـم قـطـ حالـ
فـاطـبـ وـطـينـكـ رـطـبـ^٤

سـأـلت رـسـومـ القـبـرـ عـنـ ثـوىـ^٥ بـهـ
لـأـعـلمـ مـاـ لـاقـ فـقـالتـ جـوانـبـهـ

(١) جامع بيان العلم ١ : ١٣٥

(٢) معجم الأدباء ١٩ : ١٨٩ والإعجاز والإيماز : ٢٥٥ وخاص الخاص : ١٣٤ والبيت الثاني نقط في التشيل والمحاضرة : ٣١٨ وأحسن ما سمعت : ٣٨

(٣) من غاب عنه المطرب : ١٠٥

(٤) جامع بيان العلم ١ : ٨٤

(٥) ثوى ثواه (ض) بالمكان وفيه : أقام فهو ثار .

^۱أسأل عمن عاش بعد وفاته بحسانه إخوانه وأقاربه

أبي الناس أن يدعوا موسراً
سليم الأديم سليم النسب
وقد خبروك فاين لم تطب
بعرضك نفساً فطب بالذهب

ألا قل لمن بات لي حاسداً: أندري على من أنسات الأدب؟
أنسات على الله في حكمه إذا أنت لم ترض لي ما وهم؟

فراق الحياة قريب قريب
إذا كنت تزعم أن الفراق
ليوم الرحيل مصيبة مصيبة
وأن المعد جهاز الرحيل
على ما يفوت معيب معيب
وأن المقدم مالا يفوت
فأمرك عندي عجب عجب
وأنت عن ذاك لا ترعوي^١

قافية النافع

قال يمدح يوم^١ بن المزرع بن أخت الماجحظ :

أنت يحيى والذى يكـرـه أنت تحيـا يموت

أنت صون النفس بل أنت ستر لروح النفس قوت

أنت للحكمة بيت لا خلت منك اليوت^٤

٣٤٥ : ٢ (١) المستطرف

٩٨) ذيل زهر الآداب :

٢٥٣ محاضرات الأدباء ١ : (٢)

(٤) ارعوي ارعوا ، الرجل عن القبيح والجهل : كف عنه ورجم ، وربما استعمل مطلع الرجوع .

(٥) جامع بيان العلم ٢ : ١٠ والمرتضى ١ : ٣٥ وليس فيه البيت الثاني.

(٦) هو أبو بكر يموم بن المزرع العبدى ، من غند القيس ، البصري ، شاعر أدب ، من مشائخ العلم وهو ابن أخت الجاحظ . من أهل البصرة ، زار بغداد سنة ٥٣١ هـ ، وهو شيخ كبير . وزار مصر مـ اـ رـاـ . وكان لا يعود مرضا خوفا من أن يقتـلـ باسمـهـ . مات بطـرـيرـةـ وـقـيلـ بدـمـشقـ سنـةـ ٥٣٤ هـ .

(٧) معجم الأدباء : ١٩ : ١٨٧

اثنان^١ من الناس
حقيق بهما الموت
وأعمى ماله صوت^٢
فقير ماله تقوى^٣

أن للحق مذهباً قد ضللته
يقدّر الله نيله ما أخذته
تسق أمراً مقدراً ما سبقته
سواء طلبته أو تركته
ذلك مستعملاً لما قد علمته
علم وحاولت جمعه فجمعته
عليه الجميع حتى سمعته
ينفع علم نسيته أو أضنته
يجدر علماً عليك أو ما جعلته
بت وعش قانعاً بما رزقه
وتجري خلاف ما قد عرفه
فإذا ما عملت خالفت سنته
عمر بن عثمان جاهداً أن قبلته^٤

أيها الطالب الحريص على تعلم
لوركبت السحاب في نيل مالم
أو جرت عاصفات ريحك كي
فعلام العنا إن كان في الحق
ليس يجدى عليك علمك إن لم
قد لعمرى اغتربت في طلب الـ
ولقيت الرجال فيه وزاحت
ثم ضيعت أو نسيت وما
وسموا عليك علمك إن لم
يا ابن عثمان فازد جرو الزم اليـ
كم إلىكم تخداع النفس جهلاـ
تصف الحق والطريق إليه
قد لعمرى محضتك النصـح يا

أفضل من ركتى قوت
ونيل حظ من السكوت
ومن رجال بنا حصونا
تصونهم داخل البيوت

- (١) ابن أبي الحديد؛ «إذا عداء» .
 (٢) ابن أبي الحديد؛ «زهد» .
 (٣) التمثيل والمحاضرة؛ ٤٦٩ وابن أبي الحديد؛ ٢٠ : ٢١٠ .
 (٤) جامع بيان العلم ٢ : ٩ .

غدو عبد إلى معاش يرجع منه بفضل قوت^١

إذا ما البخيل ثوى في الثرى
خرى وارثوه على حفرته
هوان البخيل على أهلها
هوان قيس^٢ على عنته^٣

قافية الخام

إذا نحن قلنا : خيرنا الباذل السمح
فإن قيل : من هذا الشق^٤ ؟ أقل لهم^٥

أقول إن سألوني عن سماحته
ولست من يطيل القول إن مدحنا
أولاد آدم عادوا كلام سمحا^٦

قافية الدال

يا رسوم المحدث المهجو	رقولي لابن سعد
لورأت عيناك عيني	كيف سالت فوق خدي
بعد دفني بشلال	ماهناك العيش بعدي ^٧

(١) جامع بيان العلم ٢ : ١٥ - ١٦

(٢) قال الجاحظ : «كان قيس عند عنته في ليلة مطروق وكان قد أتى يتها ضيقاً، فأخذت كلها إلى البيت، وترك قيساً في المطر، فمات من البرد. فصار هوان قيس مثلاً». انظر ثمار القلوب :

(٣) ثمار القلوب : ١٣٨

(٤) روى الشطر في ذيل زهر الآداب هكذا: «تكاد تضيق الأرض عنه برجهها».

(٥) في ذيل زهر الآداب : «الغيض».

(٦) في ذيل زهر الآداب : «لكم».

(٧) زهر الآداب ٤ : ١٠٥٧ وذيل زهر الآداب : ٩٨

(٨) ديوان المتبي مع شرح الواحدى : ١١١، طبعة برلين ١٨٦١ م

(٩) ليست هذه الآيات في الأصل وإنما أثبتناها من «ل».

وكان الناشئ هجاه فأجابه منصور:

إن ذكر السياق أصلحك الله
حيانى عند الحديث بال ولو
فاهجني ياطلا فا لك عندي

الملاح يصلح كل ما يخشى عليه من الفساد
فإذا الفساد جرى على فحكمة حكم الرماد

كل مذكور من الناس إذا ما
فقدوه صار في حكم الرماد
فافه الاء

حكى أنه أصابته مسغبة في سنة شديدة الفحط فرقى سطح داره ، ونادى بأعلى صوته في الليل :

الغياث الغياث يا أحمرار
نحو خلجانكم وأنتم بحار
إما تحسن المواساة في الشدة لا حين ترخص الأسعار
فسمعه جيرانه فأصبح على بابه مائة حمل برآ .

إذا عزل المرء واصله
لأن المولى له نخوةٌ^٢
وعند الولاية أستكبر
ولنفسه على الذل لا تصر

(١) معجم الشعراء : ٢٨٠

(٢) التمثيل والمحاورة: ١٠٥ ونهاية الأرب: ٣ : ١٠١

١٠١) نهاية الأرب : ٣

(٤) جمع الخليج ، والخليج من البحر : شرم منه .

^(٥) وفيات الأعيان ٤ : ٣٧٧ ومرآة الجنان ٢ : ٢٤٨ — ٢٤٩ ونكت المعيان : ٢٩٨ وشذرات الذهب

۲۴۹ : ۱

٩) النخوة ، بالفتح : العظمة والخامة والمروة .

^(٧) ذهر الاداب ٢: ٨٤٧ والتمثيل والمحاضرة : ١٥٠ بدون عزو .

لعظم نازلة ناله معذور^٢
من قال مات ولم يستوف مدته
وليس في الحكم^٣ أن يحيا فتى بلغت
به نهاية ما يخشى المقادير
أو سوء مذهبـه: قد عاش منصور^٤
فقل له غير مرتاب بفعلـه^٥

قال المصري: ورأيت له في أكثر النسخ، على أن الناس يرونه
لابراهم بن المهدى، وهو الصحيح:

والعيـب يـعلـق بالـكـبـيرـ كـبـيرـ
لولاـ الحـيـاءـ وأـنـيـ مشـهـورـ
ولـكـانـ مـنـزـلـنـاـ الـذـىـ نـخـتـلـهـ
حلـلـتـ مـنـزـلـنـاـ

بـأـنـ لـقـلـبـكـ فـيـهـ سـرـورـاـ
سـرـرتـ بـهـجـرـكـ لـمـاـ عـلـمـتـ
وـمـاـ كـنـتـ يـوـمـاـ عـلـيـهـ صـبـورـاـ
وـلـوـ لـاـ سـرـورـكـ مـاـ سـرـنـيـ
إـذـاـ كـانـ يـرـضـيـكـ سـهـلـاـ يـسـيرـاـ
لـآنـ أـرـىـ كـلـ مـاـ سـامـنـيـ

ياـ مـعـرـضاـ بـهـوـاهـ
لـمـاـ رـآـنـيـ ضـرـيرـاـ
كـمـ ذـاـ رـأـيـتـ بـصـيرـاـ
أـعـمـىـ وـأـعـمـىـ بـصـيرـاـ

(١) ذيل زهر الآداب: «مضـرـورـ».

(٢) ذيل زهر الآداب: «الـحـقـ».

(٣) ذيل زهر الآداب: «بـفـعـلـهـ».

(٤) زهر الآداب ٣: ٨٤٧ وذيل زهر الآداب: ٩٨

(٥) الشريـشـىـ: «مـنـزـلـهـ».

(٦) زهر الآداب ٣: ٨٤٨ وقد نسبـاـ فيـ الشـريـشـىـ ٢: ٨٤ لـابـراـهـيمـ بـنـ المـهـدىـ وـرـوـىـ عـزـرـ الـبـيـتـ
الأـوـلـ فـيـهـ مـكـنـاـ:

«والـعيـبـ بـالـرـجـلـ الـكـبـيرـ كـبـيرـ»

(٧) بيـتـةـ الـدـهـرـ ٢: ٣٨٠ وـمعـجمـ الـآـدـابـ ١٩: ١٨٧ وـديـوانـ الـتـبـيـ معـ شـرـحـ الـواـحـدـيـ طـبـعـةـ بـرـلـينـ:

عاب التفـهـ قـوم لا عـقولـ لهم
وـما عـلـيهـ إـذـا عـابـوهـ منـ ضـرـرـ
ما ضـرـ شـمـسـ الصـنـجـيـ وـالـشـمـسـ طـالـعـةـ
أـنـ لـاـ يـرـىـ حـنـوـمـهـ مـاـ لـيـسـ ذـاـ بـصـرـ^١

يـاـ منـ يـرـىـ المـنـعـةـ فـيـ دـيـنـهـ
حـلـاـ وـإـنـ كـانـ بلاـ مـهـرـ
وـلـاـ يـرـىـ تـسـعـينـ تـطـلـيقـةـ
تـبـيـنـ مـنـهـاـ رـبـةـ الـخـدـرـ
فـاجـهـدـواـ فـيـ الـحـمـدـ وـالـشـكـرـ^٢
مـنـ هـنـاـ طـابـتـ مـوـ اليـكـمـ

شـكـرـ إـلاـ لـهـ نـعـمةـ
مـوجـةـ لـشـكـرـهـ
فـكـيفـ شـكـرـيـ بـرـهـ
وـشـكـرـهـ مـنـ بـرـهـ^٣

لـوـ كـنـتـ مـتـفـعاـ بـعـدـ
سـمـكـ مـعـ موـاـصـلـةـ الـكـبـاـئـرـ
مـاـ ضـرـ شـرـبـ السـمـ^٤ وـاعـ
لـمـ أـنـ شـرـبـ السـمـ ضـائـرـ^٥

قـافـيـهـ السـينـ

الـكـلـبـ أـحـسـنـ^٦ عـشـرـةـ
وـهـوـ النـهـاـيـةـ فـيـ الـخـسـاـهـ
مـنـ بـنـازـعـ^٧ فـيـ الـرـيـاـ
سـةـ قـبـلـ أـوقـاتـ^٨ الـرـيـاسـهـ^٩

(١) وفيات الأعيان ٤ : ٣٧٦ وطبقات الفقهاء ٨٨ وطبقات الشافية ٢ : ٣١٧ ومرآة الجنان ٢ : ٢٤٨

(٢) ذيل زهر الآداب ٩٨

(٣) أدب الدنيا والدين ٨٣ وفق الكشكوك ١ : ٢٧٤ بدون نسبة.

(٤) السـمـ ، مـثـلـةـ: القـاتـلـ مـنـ الـأـدـوـيـةـ وـنـحـوـهـاـ وـالـجـمـعـ سـوـمـ وـسـجـامـ .

(٥) زهر الآداب ٣ : ٨٤٨

(٦) جامع بيان العلم : «أكرم» .

(٧) جامع بيان العلم : «ترض للرياسة» .

(٨) جامع بيان العلم : «بابان» .

(٩) جامع بيان العلم ١ : ١٤٤ ومicum الآداب ١٩ : ١٨٧ وفيات الأعيان ٤ : ٣٧٦ وشذرات الذهب

قافية العين

إِنَّمَا النَّاسُ قَرِيعٌ
لَيْسُ فِي النَّاسِ مُفْزِعٌ
ذَمٌ مِّنْ شَتَّى مِنْهُمْ
فَهُوَ لِلنَّمْ مُوضِعٌ

توكل على الله فيها اعتراف
فها في سواء تعالى اسمه
ولا تشکرن سواء معه
لراج ولا خائف منفعه

قافية الفاء

كـ بـ أـ وـ تـ يـهـ مـ غـ بـ طـ أـ
إـنـ فـ نـ يـلـ الـ مـ نـيـ وـ شـ كـ الـ رـ دـ يـ
كـ سـ رـ اـ جـ دـ هـ بـ قـ وـ تـ هـ

قافية القاف

علي معنٰ حيّا يمت أحــله بطــنى وعــاء له لا بــطــن صندوق

- (١) اليتان قد نسباً لمصور في لـ، أما في الأصل فهما مجهولـ.
 - (٢) ليس في الأصل وإنما أثبتنا هما من لـ.
 - (٣) التمثيل والنهاية والمحاضرات والاعجاز : «فاصرفوا».
 - (٤) التمثيل والنهاية والمحاضرات والاعجاز : «في الموت».
 - (٥) التمثيل والاعجاز : «لقاء» . والنهاية : «عذاب» .
 - (٦) معجم الأدباء ١٩ : ١٨٩ والتتمثيل والمحاضرة : ٤٠٦ والاعجاز والإيمار : ٢٥٦ وهو في النهاية لابن الأثير ١ : ١٨٣ من غير عزوـ، والمقطوعة مستنادـة من الحديث التبرىـ : تحفة المؤمن بالموتـ.
 - إـى ما يصيب المؤمن في الدنيا من الأذى وما له عند الله من الخـير الذي لا يصل إـلـيـه إـلا بالموتـ،
 - والـيتـ الأولـ في محاضـراتـ الأدبـاءـ ٤ : ٤٩٧ بدون نسبةـ.
 - (٧) نـكـتـ المـيـانـ : ٢٩٨ ، والـيـانـ الـأخـيرـانـ في التـمـثـيلـ وـالـمحـاضـرةـ قدـ نـسـبـاـ لـابـنـ طـباـ الـيلـويـ صـ :

إن كنت في البيت كان العلم فيه معى
أو كنت في السوق كان العلم في السوق^١

قافية الكاف

منذ ثلاث لم نرك ؟	فقل لنا ما أخرك ؟
أم دهر سوم غيرك ؟	أعالة ^٢ فتعذرك

شاهد ما في مضمري	من صدق ود مضمرك
فما أريد وصفه	قلبك عن يخبرك ^٣

قافية اللام

ليس للنجم إلى ض	سر ولا نفع سبيل
إنما النجم على الأو	قات والسمت دليل ^٤

إذا رأيت امرأ في حال عشرته ^٥	بادى ^٦ الصدقة ما في وده دغل ^٧
فلا تمن له حالاً يسر له ^٨	فإنه باتصال الحال ^٩ يتقل ^{١٠}

يا من له من تميم	عم نبيل وحال
------------------	--------------

(١) جامع بيان العلم ١ : ٦٩

(٢) الاعجاز والايجاز : «أشداده غدرك» .

(٣) معجم الادباء ١٩٠ : ١٩٠ والاعجاز والايجاز : ٢٥٤ وخاص الخاص : ١٣٤

(٤) التشيل والمحاضرة : ١٠٥ وخاص الخاص : ١٣٤ والاعجاز والايجاز : ٢٥٥

(٥) معجم الادباء ١٩ : ١٨٧ والتشيل والمحاضرة : ١٨٩

(٦) المحاضرات : «عشرته» .

(٧) المحاضرات : «صافي المودة» .

(٨) الدغل : ما يدخل في الامر بخلافه ويفسده ; والجع : أدغال ودغال .

(٩) المحاضرات : «بيهاء» .

(١٠) المحاضرات : «الدھر» .

(١١) معجم الادباء ١٩ : ١٨٨ ومحاضرات الادباء ٣ : ١٦

إن لم يكن لك تقوى
فاجلس فأنت ذليل^١

قالت لا تجعلوا فاني سوول
ما تقولون في الكتاب؟ فقالوا:
وكان ذلك سنة الرسول وقد
وأتفاق الجميس أصل وما
وكذا الحكم بالقياس فقلنا
فعالوا نرد من كل قول
فأجابوا فناظروا فإذا العلم
لديهم هو اليسير القليل^٢

إذا ما خليل أسا مرة
وقد كان فيها مضى بحلا
ذكرت المقدم من فعله
فلم يفسد الآخر الأول^٣

يا من تولي فأبدى
لنا الجفا وتبدل
أليس منك سمعنا
من لم يتمت فسيعزل^٤

فامتن بما شئت من نوال
إن لم يكن وابل فطل^٥

قال فلان ما فعل
وكان في سؤاله
قلت أبوه ما فعل
جوابه عما سأله^٦

(١) معجم الشعراء : ٢٨٠

(٢) جامع بيان العلم : ٢ : ١٧٢

(٣) مما لتصور الفقيه في الحاضرات ٣ : ٥ وفي العقد الفريد ٢ : ٢٧٧ لطاهر بن عبد العزيز.

(٤) زهر الآداب ٣ : ٨٤٧ وذيل زهر الآداب : ٩٩ والتثليل والحاضرة : ١٥٠

(٥) التثليل والحاضرة : ٢٣٨

(٦) الاعجاز والايجاز : ٢٥٦

قافية الميم

ذكر أبو عيد أن منصوراً قال عند موته:

قضيت نجبي فسر قوم
حقى بهم غفلة ونوم
كأن يومى على حتم
وليس للشامتين يوم^١

من فاتني بأيهه ولم يفتني بأمه
ورام شتمي ظلماً سكت عن نصف شتمه^٢

قافية النون

بنو آدم كالنبت ونبت الأرض الواان
ففهم شجر الصندل والكافور والبان
ومنهم شجر أفضى لـ ما يحمل قطران^٣

إن قوماً يأمرنا بالذى لا يفعـلونا
لم يكونوا يصرعونا^٤ وإن هـ لمـ جـانـين

الموت أسلـ عنـدى بين القـنا والـاسـنه
والـخـيل تـجـرى سـرـاعـاً مـقـطـعـاتـ الـأـعـنـه
من أـنـ يـكـونـ لـذـلـكـ فـضـلـ وـمـنـهـ^٥

لوـقـيلـ لـ خـذـ أـمـانـاـ منـ حـادـثـ^٦ الـأـزـمانـ

(١) وفيات الأعيان ٤ : ٣٧٨ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٩٠

(٢) زهر الآداب ٣ : ٨٤٧ وذيل زهر الآداب : ٩٩

(٣) التشيل والمحاشرة : ٢٧٥ وأدب الدنيا والدين : ١٥٤

(٤) جامع بيان العلم ١ : ١٩٥

(٥) المستطرف ١ : ٨٧ وابن أبي الحميد ٢ : ١٦٣

(٦) في الشربى : «Hadathat» وهو غير منقيم.

لَا أَخْذَتْ أُمَانًا إِلَّا مِنَ الْإِخْرَانِ^١

لولا صدود الصديق عنى
ما نال واش منه مني
ولا أدمنت البكاء حتى
قرح فيض الدموع جفني
وما جفاه الصديق إلا
هجوم خوف عقيب أمن^٢

ومستوجب شكري باعراضه عنى
أجل يد عندي له بعده عنى
تلافي بهجرى بعض ما كان جره
على بوصلى قبل إعراضه عنى^٣

قافية الواو

رحل منصور إلى العراق حيث اتصل بال الخليفة المعتن العباسى ومدحه بقوله:

ما واحد من واحد أولى بمجده أو مروه
من أبوه وجده بين الخلافة والنبوه^٤

قافية الهاء

كل مذكور منانا س إذا ما فقدوه
صار^٥ في حكم حديث حفظوه فسوه^٦

ومن البلوى التي لي س لها في الناس كنه

(١) زهر الآداب ٣ : ٨٤٨ والشريشى ٢ : ١٣٤ وقد نسبا في الطرائف الأدبية : ١٦٦ لابراهيم بن العباس الصورى .

(٢) معجم الأدباء ١٩ : ١٨٨

(٣) محاضرات الأدباء ٣ : ٢٥

(٤) المقرب : ٩٤ نقلًا عن أدب مصر الإسلامية : ٢٧١ وفي الطرائف الأدبية : ١٣٨ قد نسبا لابراهيم بن العباس الصورى .

(٥) المحاضرات : « فهو » موضع « صار » .

(٦) التشيل والمحاضرة : ١٠٦ وخاص المحاضر : ١٣٤ والأعجاز والإيجاز : ٢٥٥ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٨٩ ومحاضرات الأدباء ٤ : ٤٩٩ ونهاية الأربع : ١٠٢

أَنْ مِنْ يَحْسُنُ شَيْئًا يَدْعُ أَكْثَرَ مِنْهُ^١

إن المرأة لا ترى لك خوش^٢ وجهك في صداتها
وكذاك نفسك لا ترى لك عيوب نفسك في هواها^٣

قافية الاء

إذا قال لي قائل كيف أنت
لأشاء منها الرضا بالكمفاف
أقول له أنا في عافيته
وما كل نفس به راضيه

تأن في الأمر إذا رمته لا تتبعن كل نار ترى وقس على الشيء على الشيء	بين الرشد من الغي فالنار قد توقد لكي بذلك الشيء على الشيء
---	---

رضيت بها قسم الله لي
وفرضت أمري إلى خالي
كذلك يحسن فما بقى^٤
كما أحسن الله فيها مضى

١٦١ التمثيل والمحاورة :

(٢) المحاضرات : «خدوش».

^{١٨}) التمثيل والمحاورة : ٣٠١ ومحاضرات الأدباء ١ :

(٤) التمثيل والمحاورة : ١٠٦ ونهاية الارب ٣ : ١٠٢ والاعجاز والابجاز : ٢٥٦

(٥) الستان قد نسبا إلى منصور في ل ، أما في الأصل فقد نسبا لمجهول .

(٦) جامع بيان العلم ٢ :

(٧) زم الآداب : ٢

نور القبس المختصر من المقتبس

في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء

تأليف : أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني . اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ البغموري .

تحقيق : الأستاذ رودلف زلaim

صفحات : المقدمة بالعربية ٤١ . المتن والفهارس ٤٧٢ . المقدمة
بالألمانية ٣٢

طبع : ٦ دار الشر فرانتس شتاينر ، ويسابدن ، ألمانيا ، ١٩٦٤ م

يعد أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (٥٣٨٤ - ٢٩٦) من أدباء اللغة العربية المهمين المعروفيين . وكتابه «معجم الشعراء» من كتب التراث المعروفة المهمة للشعراء العرب . وقد نفت منه طبعان إلى الآن . وقد ورد بين مؤلفات المرزباني التي لم يطبع بعد ذكر كتاب «المقبس» في كتب المتقدمين ، ولكن هذا الكتاب مفقود إلى الآن ، ولم يوفق أحد للعثور عليه . وهو يشتمل على الأخبار والترجم المفصلة للنحاة والأدباء والشعراء والعلماء . وقد تم في ١٨ جزء ، ويبدو أنه كان عزيز الوجود من الأول ، فقد وجدت منه نسخة واحدة للناخيص والانتخاب في القرن السابع الهجري ، وكانت بخط المؤلف ، وموقولة على مكتبة المدرسة النظامية ببغداد .

وفي القرن السابع الهجري قد أعدت ثلاثة اختصارات لكتاب «المقبس» ، فأولاً قد قام باختصاره نجم الدين أبو النهان بشير بن أبي بكر

حامد بن سليمان الجعفري التبريزى المتوفى سنة ٦٤٦هـ باسم «شهاب القبس من كتاب المقبس»، وذلك في بداية القرن السابع. وقد ذكر السبكي في ترجمته^١ لإقامة بغداد وقيامه بالتدريس في المدرسة النظامية. وكان أصل كتاب المرزبانى موجوداً في مكتبة المدرسة النظامية. والراجح أن بشير بن حامد قد أطلع أثناء تدریسه في النظامية على هذا الكتاب فقرأه وقام باختصاره بحذف الأسانيد والطرق والتفصيلات الأخرى حتى يتناوله الناس ويتفعلوا به. وكان هذا المختصر قد تم في أربعة أجزاء. ولكنه يبدو أن الناس قد استقروا على هذا الحجم أيضاً فلم يقبلوا على الكتاب، وهكذا ضاع هو الآخر مثل أصل المرزبانى.

والاختصار الثاني للقبس قام به علي بن حسن بن معاوية باسم «ختار من كتاب المقبس في أخبار النحوين»، والأغلب أن هذا الكتاب قد ألف في القرن السابع الهجرى. ولا نعرف كثيراً عن هذا المؤلف، وقد كتب اسمه على الصفحة الأولى «علي بن حسن بن معاً» وبعد كلية «معاً» قد زاد أحد مالكى هذا الكتاب «ويا»، فصار «معاوية». وحقاً قد استغرب الاستاذ زهائم اجتماع اسم حسن ومعاوية في اب وابنه (مع اتنا نجد في تاريخ الطبرى مثل هذه الأسماء) وهو لا يجعله محلاً بل مستبعداً. وإن أواقهه على ذلك وأرجح أن الاسم المذكور هو «معالى»، ويؤيد ذلك اتنا نجد في ذلك العصر شخصية تحمل اسم «حسن بن معالى بن مسعود الباقلاني الحلى البغدادى» (٥٦٨-٦٣٧هـ) وقد ورد ذكر حسن هذا في الجوادر المصيّنة (٢٠٥) وبغية الوعاة (٢٣٠) ومعجم الأدباء (٤: ٣). وقد اخصر حسن مؤلفه من كتاب المرزبانى مباشرةً، ويدل على ذلك أنه يذكر كثيراً الأسانيد والطرق التي روتها المرزبانى. وقد حذف هذه المعلومات صاحب

(١) الطبقات الشافية الكبرى ٥: ٥٢ (طبعة عيسى اليابى الحلى بالقاهرة ١٩٦٤م).

الم منتخب بشير بن حامد ، فلو كان على بن حسن اعتمد على كتاب «الم منتخب» ل بشير بن حامد كما فعل الحافظ اليموري لما امكنته ذكر الاسانيد والطرق والمعلومات الأخرى .

وقد عثر على نسخة واحدة فقط لهذا المؤلف ، وهي محفوظة في مكتبة شهيد على باشا باسطنبول (رقم ٢٥١٥) وكما يرى الأستاذ زطهيم هي مكتوبة بخط المؤلف . ولا تشتمل هذه المخطوطة على مقدمة بل تبدأ ترجمة أبي حاتم السجستاني بعد البسمة مباشرة . وهذا هو المجلد الأول فقط ، والمجلد الثاني الذي يبدأ بترجمة عبيد الله بن محمد عائشة التيمي قد فقد .

والاختصار الثالث هو «نور القبس المختصر من المقبس» ، وقد تم ترتيبه في النصف الأول من القرن السابع أيضا . ومرتبه هو أبو الحسن يوسف بن أحمد بن محمود المعروف بالحافظ الدمشقي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ . وقد يُعرف بالحافظ اليموري أيضا . ولا نعرف من الكتاب زمن تأليفه ، والقياس أنه قد رتب قبل سنة ٦٤٦ هـ . وقد عثر له على نسخة وحيدة وهي محفوظة في مكتبة نور ثانية باسطنبول (رقم ٣٣٩١ ب) ونعلم من مقدمة اليموري أنه لم يعتمد في هذا الاختصار على أصل كتاب المرزباني ، بل ألف مختصره من الم منتخب الذي أعده بشير بن حامد فأخذ منه الترجم و المعلومات ال剩ية . وقد نقل عن أصل كتاب المرزباني قول بشير بن حامد بأن له نسخة وحيدة بخط المؤلف في ١٨ جزء توجد في مكتبة المدرسة النظامية .

وناسخ نسخة «نور القبس» هذه هو أحد بن علي بن اسماعيل بن محمد بن هشام اللخمي الاشبيلي ، وقد كملت في دار الحديث الكاملية بالقاهرة في سنة ٦٦٨ هـ وهي تحتوى على ١٧٩ ورقة و ١٢٥ ترجمة للنحوين وعلماء الأنساب ، وعلى الأشعار . والترجمة الأولى لأبي الأسود الدؤلي ، والأخيرة لوهب بن منبه . والفضل في العثور على هذه النسخة يرجع إلى الأستاذ هليوت ريتز ،

وباشارة منه قد قام تلميذه وخلفه في القسم العربي والإسلامي بجامعة فرنكفورت الأستاذ رودلف زلهايم بتصحيح وترتيب هذا الكتاب. وقد نشر المجلد الأول الذي يحتوى على المتن جمعية المستشرقين الألمانية بألمانيا في سلسلة الشرات الإسلامية. والمجلد الثاني الذي يحتوى على التعليقات والاستدراكات سيطبع فيما بعد.

والمحقق الفاضل قد كتب مقدمتين ، الأولى بالعربية في ٤١ صفحة ، والثانية بالألمانية في ٣٢ صفحة ، وقد بذل مجهوداً طيباً في عمل الفهارس ، وتحتوى على ١٢١ صفحة ، وقد دل في الهمامش على خلاف الروايات الذي وجده بين هذا الكتاب وبين مختار على بن حسن .

وبما أن المحقق قد صرخ بأنه ينشر الحواشى والتعليقات في المجلد الثاني أوجل التفصيل للكتاب إلى نشر المجلد المذكور ، ولكن النقص الذي شعرت به بشدة هو أن المحقق لم يقم بتخريج الآيات والأحاديث وأقوال الحكماء والأشعار ، وكذا لم يكتب ترجمـ الأعلام الواردة فيه . مع أن الأمرين كان لا بد منها في هذا المجلد .

والاستاذ المحقق قد بذل مجهوداً كبيراً في التحقيق وهكذا قد وصل عمله هذا إلى المستوى الذي رضى به العلامة الإمام في تصحيح المتن وكتابة التعليقات . وإن أشرف بتقديم التهنة إلى الأستاذ زلهايم وعضو جمعية المستشرقين الألمانية النشط الاستاذ ١٠ ديرتش على نشر الكتاب ، وأمل أنه سيسعد فراغاً كبيراً في المكتبة العربية .

مختار الدين أحد

عليكـه (الهند)

الشيخ محمد أبو زهرة

حملت الصحف العربية نبأ وفاة العلامة الشيخ محمد أبي زهرة في هذه الأيام فكان له أثر في نفوسنا وحزننا، توفي رحمه الله في ٨ مارس ١٩٧٤ م، بعد عمر طوبل خصب قضاه في سبيل خدمة العلوم الإسلامية والثقافة الدينية. تخرج الفقيد من الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي (أسس هذه المدرسة الشيخ محمد عبده بمعاونة الحكومة بعد أن انقطع أمله من اصلاح الأزهر) فعين مدرساً في المدارس الابتدائية والثانوية، ثم ساعد الحظ فالتحق بسلك لجنة الأساتذة بالجامعة حيث عين مدرساً ثم أستاذًا مساعدًا إلى أن أصبح أستاذًا للكرسي بكلية الحقوق بجامعة القاهرة للشريعة الإسلامية ثم صار وكيل الكلية في آخر أيامه. معلم الابتدائية يصير أستاذًا ووكيلًا لكلية يدل على جهوده وصبره بل يدل على شوقة للعلم وتطلعه للعلمي.

كانت حياة الفقيد سلسلة من الجهد والاجتهاد هو يمارس القضايا بحزم ويتحمل مصائب الدهر بعزم يقوده الأمل للستقبال الأفضل. لقد تشرفت بزيارته مراراً في بيته في مصر الجديدة بالقاهرة أيام كان أستاذًا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق فقد كان يستقبلني كما كان يستقبل الآخرين بترحاب يسأل عن أحوالنا ويحدثنا حديث الأخ إلى إخوه الصغار، لم يكن يتصنع في الكلام ولا يتكلف بل كان يمزح ويلاطف كعادة المصريين حتى يشعر الزائر أنه في بيته. كان الفقيد طلق الحديث، قوى الحجة، حل الأسلوب والبيان شديد التأثير بالقضايا الوطنية والدينية، برفع صوته ويخفض شأنه غضب ولكنه بفؤاده يهدا فيمزج كلامه بالضحكات العالية والنكت المصرية الخفيفة.

حينما قابلت الفقيد أول مرة وكنت قد قرأت بعض كتبه، كابن تيمية وأبو حنيفة وابن حنبل، قلت له إن هذه الكتب لها صدى عظيم في الأوساط الهندية فعامة العلماء والمحققين يحبونها ويعظمونها، فقد أثني رحمه الله على خدماته علماً الهنود نحو الثقافة الإسلامية والعلوم العربية فقد كان وجهاً

بالشـاء ولـي الله الـدـهـلـويـ، وصـديـقـ حـسـنـ خـانـ، وـشـبـلـ التـعـانـىـ منـ الـقـدـمـاءـ، وـالـعـلـامـةـ عـبـدـ العـزـيزـ الـمـيـنـىـ وـسـاحـةـ الـاسـتـاذـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـلـىـ النـدوـىـ مـنـ الـمـعاـصـرـينـ، فـقـدـ كـانـ يـقـولـ إـنـ الـعـبـرـيـةـ الـهـنـدـيـةـ قـدـ أـسـدـتـ دـائـماـ نـحـوـ الـعـلـومـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ خـيرـاـ.

كـانـ الـفـقـيدـ عـاصـاماـ بـعـنـ الـكـلـمـةـ: صـبـعـ نـفـسـهـ بـنـفـسـهـ وـشـقـ الـطـرـيـقـ لـنـفـسـهـ وـمـهـدـهـ، حـيـثـ نـالـ الـمـرـتـبـ الـعـالـيـةـ مـنـ الـلـمـ وـالـمـعـرـفـةـ وـأـصـبـحـ سـنـداـ فـيـ الـفـقـهـ الـإـسـلـامـيـ وـالـشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ حـتـىـ وـاـنـ الـلـجـانـ الـمـخـلـفـةـ لـشـمـونـ الـنـقـاـفـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـتـانـونـ الـإـسـلـامـيـ ماـ كـانـ تـبـتـ فـيـ اـمـرـدـونـ أـنـ تـشـيـرـ بـهـ، وـهـوـ كـانـ مـنـ الـفـلـائـلـ الـذـيـنـ درـسـواـ الـفـقـهـ الـإـسـلـامـيـ درـاسـةـ عـمـيـقةـ وـسـبـرـواـ أـغـوارـهـ ثـمـ خـرـجـواـ بـنـشـاعـجـ الـقـيـمةـ وـحـقـائـقـ ثـابـتـةـ. وـكـانـ الـفـقـيدـ أـسـتـاذـاـ لـلـشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ كـلـيـةـ الـحـقـوقـ فـقـدـ كـانـ أـسـتـاذـاـ حـقـاـ فـقـدـ أـعـطـىـ لـهـذـهـ مـادـةـ حـقـهاـ مـنـ الـدـرـاسـةـ وـالـتـدـريـسـ، مـنـ الـبـحـثـ وـالـتـحـقـيقـ، درـسـ الـشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ مـنـ الـيـنـبـوـعـ الصـافـيـ، مـنـ الـقـرـآنـ وـالـحـدـيـثـ، ثـمـ بـدـأـ يـطـالـعـ الـقـدـمـاءـ مـنـ الـأـدـوـارـ الـمـخـلـفـةـ يـسـتـفـيدـ بـيـنـ قـرـيـبـهـ وـفـيـضـ خـاطـرـهـ، فـقـدـ كـانـ الـحـكـمـةـ ضـالـلـهـ، لـذـلـكـ لـمـ يـكـنـ يـفـرـقـ بـيـنـ مـذـهـبـ وـمـذـهـبـ، بـيـنـ فـقـيـهـ وـفـقـيـهـ، بـيـنـ باـحـثـ وـباـحـثـ. بلـ كـانـ الـحـقـ وـالـصـوـابـ غـايـتـهـ وـبـغـيـتـهـ، يـبـنـاهـ وـيـقـدـمـهـ الـآـخـرـينـ. نـشـأـتـ الـمـذاـهـبـ الـفـكـرـيـةـ وـالـفـقـهـيـةـ فـيـ التـارـيخـ الـإـسـلـامـيـ فـكـانـ لـهـ أـثـرـ كـبـيرـ فـيـ الـجـمـعـ وـالـخـيـاـةـ، فـضـاعـ شـئـ كـثـيرـ مـنـ إـنـتـاجـ الـعـلـامـ وـالـمـفـكـرـينـ بـيـنـ جـهـلـ الـجـاهـلـينـ وـتـعـصـبـ الـمـعـصـبـينـ لـاـنـ صـاحـبـ كـلـ مـذـهـبـ وـفـرـقـةـ يـحـرـمـ عـلـىـ نـفـسـهـ أـنـ يـسـتـفـيدـ مـنـ آـثـارـ مـذـهـبـ آـخـرـ، مـعـ أـنـ شـاءـ الـمـذاـهـبـ الـفـقـهـيـةـ كـانـتـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ بـدـاـيـةـ عـهـدـ عـجـدـ لـاـنـبـلاـجـ الـفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ وـلـتـبـلـوـرـ الـنـقـاـفـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، لـاـنـ الـأـمـةـ الرـاقـيـهـ فـيـ كـلـ زـمـانـ تـكـونـ فـيـهـاـ الـحـرـيـةـ الـفـكـرـيـةـ وـالـعـقـلـيـةـ فـنـظـاـرـ مـوـاهـبـاـ الـفـكـرـيـةـ وـالـعـقـلـيـةـ وـالـأـدـبـيـةـ، أـمـاـ فـيـ إـيـامـ الـانـخـطـاطـ وـالـنـأـخـرـ فـيـكـثـرـ الـجـودـ وـالـنـعـصـبـ فـتـصـدـاـ الـعـوـاطـفـ وـتـجـفـفـ الـقـرـائـعـ،

لأن الحرية تقدِّم والأفلام تحطم، والأفواه تلجم والعلماء الرسِّيون يستغلون عواطف الناس باسم الدين، باسم الإيمان، حدث هذا فعلاً في التاريخ الإسلامي فالنَّسْكَةُ الْفَكَرِيَّةُ وَالثَّقَافِيَّةُ وَالعِلْمِيَّةُ كَانَتْ أَشَدَّ وَأَعَنْفَ مِنْ النَّسْكَةِ السِّيَاسِيَّةِ.

بدأت الجهود في العصر الحديث لخفيف الخلاف المذهبي، حمل لواء هذه الفكرة الشيخ محمد عبده وزملاؤه النجاء و كانت لجهودهم ومساعيهم آثار وأضحة ونتائج ملموسة. مع أن كتاباتهم كانت قليلة في هذا الموضوع ولكنها كانت مؤثرة ومحركة، فنشأ جيل من العلماء الأفاضل تبنوا هذه الفكرة وطبقوها عملياً وكان من بين هؤلاء العلامة الشيخ محمد أبو زهرة، فبدأ يقدم آثار العلماء والمفكرين من التاريخ الإسلامي في ثوب جديد وأسلوب حديث بجد واخلاص، ينقب من آثارهم ويوضح أفكارهم ويعطى كل ذي حق حقه لا ينقص منه شيئاً شيمة الباحث والمحقق، فأدت صورة آثار العلماء والمفكرين من التاريخ الإسلامي في حلقة قوية البنية والحبكة، حيث يستفيد القارئ ويتمتع الدارس بأفكار العباقرة من العصور الذهنية في التاريخ الفكري للإسلام فتجلت أفكارهم وآرائهم كبادة الزهور لكل ذهرة لون وريح ولا يستغنى من واحدة منها.

سلسلة عن الشخصيات البارزة في الفقه الإسلامي هي من أروع ما ثرّه ومواهبه، وهذه السلسلة هي:

أبو حنيفة، حياته وآثاره، الإمام مالك حياته وعصره، الإمام الشافعى حياته وعصره، ابن حنبل حياته وعصره، ابن تيمية حياته وعصره، ابن حزم حياته وآثاره، الإمام زيد حياته وعصره، الإمام الصادق. وفي جنب الشخصيات ألف كتاباً كثيرة ناقش فيها الموضوعات المهمة، أهمها:
العلاقات الدولية في الإسلام، تنظيم الإسلام للجتماع، فلسفة العقوبة في

الفقه الإسلامي ، محاضرات في أصول الفقه الإسلامي ، محاضرات في مقارنة الأدبان ، محاضرات في الوقف ، المذاهب الإسلامية ، موسوعة الفقه الإسلامي الميراث عند الجعفرية ، الوحدة الإسلامية وغير ذلك من المؤلفات الهامة والمفيدة . هذه المؤلفات والكتب تدل على سعة عالمه وعمق دراسته ، وطول باعه في البحث والترتيب والعرض ، كان رحمة الله نبيطاً دائم الحركة ، يشترك في الندوات ويسامح في المناوشات ، باقى المحاضرات في المجمع العلمية والثقافية ، كما كان يلقي الأحاديث بالاذاعة والتلفزيون ، يكتب في الجرائد والمجلات ، لقد كان في دراساته سمحاً في نقده لآراء الآخرين عفا لبنا لا يجرح مشاعرم وفي علمه الرسمي كان مثلاً عالياً ، يواكب في إلقاً المحاضرات وكان يشرف على الرسائل الجامعية ، الماجستير والدكتوراه فكان مشرقاً واعياً يقود الطالب ولا يسوقه ، يدلله على المراجع والمصادر ، ويعلمه الدراسة والتحقيق ، ويصلح التراكيب والأسلوب ، ويصحح الأخطاء والهفوات ، فقد كان أستاداً بمعنى الكلمة ، فقد أحيل إلى المعاش قبل وفاته بسنوات ولكن الكلية كانت تسعى دائماً أن يدعوه إلى إلقاء المحاضرات حيث تبقى صلته مع الكلية وطلابها . إذا نظرنا نظرة واسعة إلى أعماله وآثاره وخدماته فيحق لنا أن نقول انه كان أستاذ الجيل الجديد في الفقه الإسلامي ، مؤلفاته تكون رأة صالحة لدراسة المقارنة بين المذاهب ولموسوعة الإسلامية التي تهم المجتمع العلمية والثقافية لوضعها في هذه الأيام .

غفر الله لك يا أبا زهرة ، قد كنت زهرة مفتحة في تاريخنا الحديث ، كم تمحق مجلس بشذتها واستأنس الناظر بهجتها ، مت ولكنك تبقى حياً باً ثارك ، وغبت ولكنك تبقى في قلوب الناس في الحاضر والمستقبل ، فقد تكـ أستاداً ، و المـ الجـ عـلـمـيـةـ باـحـثـاـ ، و الـ أـمـةـ الـ عـرـبـيـةـ مـؤـلـفـاـ ، و الـ أـمـةـ الـ إـسـلـامـيـةـ دـاعـيـةـ وـ مـصـلـحـاـ .

عليكـ (الـ هـنـدـ)

محمد راشد الندوى

الدكتور السيد أحمد

انتقل إلى رحمة الله الدكتور السيد أحمد رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بنتا (المهند) بعد مرض طويل. رحمة الله رحمة واسعة.

كان الفقيد يتبع إلى أسرة كريمة في «بنتا»، في عاصمة «بهار»، وكان منتقلاً ثقافة شرقية وغربية، قد حصل على الشهادة العالمية الدينية من مدرسة شمس المدى الإسلامية وحصل على شهادة الماجستير من جامعة على كره والدكتوراه من جامعة عين شمس بالفاهرة. كان الفقيد معروفاً لدى أصدقائه به «السيد»، ولد في ١٩١٤ في مدينة بنتا بولاية «بهار»، وكان أبوه موظفاً كبيراً في الحكومة فتيسرت له سبل الدراسة والتعليم في جميع مراحلها.

وكان أخوه الأصغر السيد محمود، درس في جامعة عليكره الإسلامية، وكان طالباً نجياً ومجتهداً. بعد تخرجه من الجامعة تقدم إلى امتحان المسابقة للوظائف الحكومية، فقد نجح في المسابقة بتفوق، وارتقاً في الوظائف الهامة الكبيرة، وبعد انقسام الهند هاجر إلى ملوك باكستان، وهو الآن موظف كبير فيها.

بدأ الدكتور السيد أحمد دراسته الابتدائية والمتوسطة في مدرسة شمس المدى الإسلامية التي تشرف عليها حكومة «بهار»، وقد حصل على الشهادة العالمية بدرجة امتياز في سنة ١٩٢٩ م وكان أستاذة في المدرسة الشيخ سهول العثماني، الشيخ ديانت حسين الدر بهنگوی، الشيخ اصغر حسين البهاري، ملك العلامة، الشيخ ظافر الدين القادرى (انتقل إلى جوار رحمة الله) الشاه محمد عبد الله الأبيهري الكيابوى، الشيخ عبد الشكور المظفر پوري، السيد عبد السبحان الندوى الدسوى. درس السيد أحمد علوم الحديث وعلم

الهيئة على العلامة محمد ظافر الدين القادرى والعلوم العربية والأدبية على العلامة التدوى. أما العلوم الأخرى كالتفصير والفقه والمنطق والفلسفة فقد درسها على الأساتذة الآخرين. ومن زملائه في المدرسة الشيخ محمد قريش الشمسي وهو الآن من كبار الخطباء في اللغة الأردية، وله نشاط كبير في الحقل السياسي في مدينة كلكتا بولاية بنغال.

ان الدكتور السيد أحد قد حصل على الشهادة العالمية من مدرسة شمس الهدى الاسلامية ولكننه لم يكتفى بها بل توجه إلى دراسة العلوم العصرية التي كانت تدرس في المدارس الحكومية الخالصة، لأن الحصول على الوظائف الحكومية الكبيرة ما كان يمكن إلا أن يكون الطالب حاصلا على الشهادات التي تمنحها كليات الحكومة وجامعاتها.

فاشتاق الفقيد إلى الدراسة العصرية فقدم الامتحان الثانوى في سنة ١٩٣١ ثم قدم امتحان لisanس في جامعة بتة ونجح فيه بتفوق وامتياز في سنة ١٩٣٧.

وقد وجد الفقيد في نفسه رغبة ملحة لاكمال دراسة اللغة العربية، وكانت جامعة بتة ما كانت تمنح شهادة الماجستير في اللغة العربية في تلك الأيام، فتوجه إلى جامعة على كره الاسلامية ليسجل في قسم الماجستير. وكان من أساتذة القسم العربي في تلك الأيام شيخنا وأستاذنا العلامة الكبير عبد العزيز الميمنى، والشيخ بدر الدين العلوى، والدكتور السيد عابد أحد على و الدكتور عبد العليم الاحرارى (ت ١٩٧٦م). في جنب دراسته في اللغة العربية بقسمها سجل في قسم الشريعة الاسلامية وحصل على شهادة لisanس فيها بدرجة امتياز. ومن زملائه في قسم اللغة العربية السيد محمد يوسف من ولاية بهوپال (المتوفى ١٩٧٨م) والسيد رفيع الدين من ولاية ناكبور والسيد صدر الدين شمسي من ولاية بهار والسيد شمس الهدى من ولاية آسام.

إن جامعة عليkerه الاسلامية، هي مركز ثقافي وعلى نفس الوقت مركز دين وفكري أيضاً. ان طلابها يجدون فيها غذاء علياً وفكرياً وروحياً، وان أساتذتها كانوا يغمرون طلابهم بالحنان والاعطف، ومن حسن الحظ التق السيد احمد في هذه الجامعة بالسيد سليمان اشرف البهاري (٥/ربيع الاول ت ١٣٥٢هـ) الذي كان يشرف على الدراسات الدينية فيها، وكان الشيخ معروفاً لدى الطلاب بالعناية والكرم كما كان معروفاً في العلم والعرفان، وكان يشقق على طلابه كالاب الرحيم، ويربيهم تربية إسلامية خالصة ويأخذ بهم نحو المثل الأعلى في الكرم والشرف. وقد وجد السيد احمد عند الشيخ سليمان الأشرف الملم والفضل والكرم والخلق فأحبه جداً جداً. ووجد الشيخ في السيد احمد النجابة والرغبة الصادقة لحصول العلم، فأخذ بيده ورباه تربية إسلامية، وغرس في قلبه حب العلم والدين فكان خير غارس في تربة طيبة. فبقي السيد احمد طول حياته محباً للعلم والعلماء، يعظم الشعائر الإسلامية وآدابها، وكان يؤدى الواجبات الدينية والفرائض الإسلامية مدى حياته.

وبعد أن حصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية في سنة ١٩٣٩ م، اختارته لجنة الموظفين في حكومة بهار، لتدريس اللغة العربية في جامعة بنتا، في سنة ١٩٥٠ عين مشرفاً عاماً على الدراسات الإسلامية في حكومة بهار، وعمل مدة كمدبر مساعد للدراسات الإسلامية في وزارة التربية والتعليم.

كان الفقيد مولعاً بدراسة اللغة العربية وآدابها، وكان حريصاً أن يقوى ملكة اللغة العربية، ومن حسن الحظ قد منحته حكومة بهار منحة دراسية، لدراسة القاهرة للدراسة العالية في جامعاتها، وحين وصل إليها التحق في قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس ليحضر رسالة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، ومن حسن الحظ عين العلامة الدكتور مهدي علام مشرفاً على رسالته. وكان

موضوع رسالته: «على محمود طه بين الشعراء المعاصرين»،
باق السيد أحد ستين أو أكثر يدرس هذا الشاعر دراسة عميقة ويقارنه
بالشعراء المعاصرين، ويراجع المصادر العربية والفارسية بدقة وامان، وكان
المشرف الاستاذ الكبير الدكتور مهدي علام يقوده قيادة رشيدة، والمساعد
المشرف عبد القادر القط استاذ الادب العربي بكلية الاداب في جامعة عين
الشمس يعاونه معاونه ويدله على المراجع والمصادر ويرسم له خطة البحث
والنقد، وباق السيد أحد إلى آخر حياته يذكر هذين الأديبين الكبارين، كما
كان يذكر فضليهما وكرمهما.

في شهر اكتوبر ١٩٥٤م زرت البلاد العربية لدراسة المدارس الأدبية
واللغوية الجديدة، ولقاء العلامة والأدباء والمحققين، وقد شرفني لجنة روكيفلر
Rockefeller Foundation بمنحة لاثام دراستي العالية في جامعة أوسفورد،
ولزيارة المراكز العلمية والأدبية والثقافية للشرق الأوسط، فقد زرت بغداد،
ودمشق، وبيروت والقاهرة، فقابلت المحققين الباحثين والأدباء والكتاب فيها،
وحين وصلت إلى القاهرة كنت مشتافاً من طفولي بزيارة الاستاذ الكبير الكاتب
الشهير عبد الأدب الدكتور أحمد أمين، فقد كنت مغرماً بقراءة كتبها
وأبحاثها وأنا طالب فقد تشرفت في هذه الرحلة العلمية بمقابلة هذين العلدين الكبارين.
وقد التقى بالقاهرة صديق الفاضل الاستاذ رشاد عبد المطلب الذي
زار الهند مع زميله أحمد المصور وقد أقام في جامعة علي الكره الإسلامية
أكثر من شهر كضيف كريم، وكان رحمة الله يقابلني كل يوم ويتجول معى
ونذهب سوياً إلى مكتبة الجامعة لتصوير المخطوطات العربية النادرة فيها، فقد
أخبرني صديق رشاد عبد المطلب أن السيد أحمد إلى الآن موجود في القاهرة،
فأسرعت إلى زيارته فقد رحب بي وأكرمني. وفي تلك الأيام كان السيد

يحضر رسالته الدكتوراه . وكانت هي في آخر مرحلة . حين أكمل الفقيه رسالته ، عينت لجنة المناقشة لرسالتها من الأساتذة الدكتور طه حسين والدكتور عبد الحميد العبادى والأستاذ الشرف العلام مهدى علام ، وقد أثنت اللجنة على الرسالة كثيراً ، كما أثنت على الطالب على جهده واجتهاده ، وقوة ادراكه ، ودقة ملاحظاته ، ورشحته لشهادة الدكتوراه في الآداب بدرجة امتياز .

وقد نشرت جريدة من الجرائد المصرية بعد مناقشة رسالتها وقد أثنت عليه وكتبت بهذه العنوان :

طالب هندي يفوز باعلى الدرجات العلمية في الأدب العربي
منحت جامعة عين شمس بالقاهرة اخيراً الدكتور سيد أحمد الدكتوراه بدرجة «امتياز» في الأدب العربي . وقد بدأ الدكتور سيد احمد دراسته في مصر منذ شهر مارس سنة ١٩٥٢ وكان موضوع رسالته «علي محمود طه بين شعراء مصر المعاصرین» ، وقد استعرض في بحثه آفاق الشعر العربي في العصر الحديث كما ابرز أثر الشعر الكلاسيكي فيه ، وقارن على محمود طه بشوف و غيره من الشعراء المستحدثين . والدكتور سيد احمد هو أول طالب هندي يقوم بباحثات في الأدب العربي الحديث ويحصل فيه على هذه الدرجة العلمية الارتفاعية .
بعد عودته من مصر استمر الدكتور سيد احمد عاصراً في قسم اللغة العربية بجامعة بنته ، وكان رئيس القسم في تلك الأيام الدكتور عظيم الدين أَحمد الذى حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة باليانجا ، وكان موضوع رسالته تحقيق جزء من كتاب «شمس العلوم ودواء الكلام» من الكلمة ، لشوان بن سعيد الحميري (م ٥٧٣ هـ) ، وكان الأستاذ مولعاً للدراسة والبحث ومطيناً على المصادر الحديثة والقديمة . وحين تقاعد الدكتور عظيم الدين أَحمد ، عين الدكتور السيد علي حسن مكانه ،

فكان خير خلف لخير سلف. وكان السيد علي حسن قد حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن، وكان موضوع رسالته: «أثر اللغة الإنجليزية على اللغة العربية وآدابها». وكان قد أقام مدة في مصر لطالع فيها المصادر العربية، القديمة والحديثة. والمقالة التي قدمها الدكتور كانت قيمة ولكنها من سوء الحظ لم تنشر بعد.

وكان السيد أحمد قد زامل هذين الأساتذتين الكبيرتين، فقد وجد منها كل عناية ورعاية، وفي سنة ١٩٥٥م انتخب الفقييد عضواً في اللجنة الادارية التي تشرف على مكتبة خدا بخش، بانكى پور بنته، وتعد هذه المكتبة، من أحسن المكتبات في الهند بنوادرها وخطوطاتها. وفي نفس هذه السنة عين الفقييد مديرآً لمعهد التأليف والتحقيق للآداب العربية والفارسية. وباقي مدة طويلة مديرآً ومسرفاً على هذا المعهد الذي أسس على نفقة حكومة بهار.

وقد حقق الدكتور عدة كتب علمية، من هذه الكتب: كتاب الوصية للوفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي (المتوفى ٦٢٠ھ) وقد وجد لهذا الكتاب نسخة خطوظة نادرة في مكتبة خدا بخش، وقد طبع هذا الكتاب في سنة ١٩٥٩م وهو من منشورات المعهد العلمي. كما نشر الدكتور سلسلة من المقالات حول كتاب «حديث عيسى بن هشام» للمولى حجي وأنشر عدة أبحاث علمية ومقالات قيمة لم تنشر بعد. ويقوم القسم العربي بجامعة بنته بخدمة جليلة إذا نشر هذه الأبحاث التي تعد تحفة نادرة من آثار الفقييد.

وعين الدكتور السيد أحمد في سنة ١٩٦١م استاذآً ورئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة بنته، واستمر استاذآً ومربيآً إلى آخر حياته، محباً ومحظياً لدى الأساتذة والطلاب، يخدم اللغة العربية بجد وشوق. وكان الدكتور المثل الأعلى في السكرم والخلق، عاش حياته كلها عفآً كريماً، لم يجرح شعور ذمبل

ولا طالب ، وكان يذكر محسن الناس ، ويغض البصر عن مواضع ضعفهم ، شأن السكارى من العلماء والصلحاء الذين لا بهم إلا أن ينفوا الناس بلسانهم وقلوبهم .

كنت عرفت الفقيد منذ زمن طويل (كان من أعز تلامذة أبي وشیخى المحدث الكبير العلامة محمد ظفر الدين القادرى الرضوى رحمه الله) ورأيته من قريب وبعيد ، رافقته فى كثير من اللجان ، وكان يشرفى دائمًا بتوجيه الدعوة إلى الامتحانات فى جامعة بتنة فى قسم اللغة العربية لطلاب الماجستير والدكتوراه ، وكان يلح دائمًا أن أنزل عنده ضيفاً ، فيكرمنى وينعمنى بعطافه ولطفه وكرمه دائمًا .

قد رأيت فيه الإنسان الذى يعيش لغيره ، وكان يعمل أقربائه وأعزائه معاملة كريمة ، ويسعد إلية دانماً ، كما كان يكرم أصحابه ، ويقدر جهود زملائه ، وجدته عفأً كريماً ، سمح النفس ، حلو اللسان ، ظاهر القلب والضمير .

وكان الفقيد رحمه الله (الذى انتقل إلى جوار ربه فى شهر يونيو سنة ١٩٧٣م) طول حياته تعبرًا وتفسيرًا ، بل صورة صادقة لهذا البيت للشاعر الفارسي شمس الدين محمد «حافظ» الشيرازى الذى كان يحبه ويتغنى في وحدته :

أسانش دو گېقى تفسير ابن دو حرف است
با دوستان تلطف ، با دشمنان مدارا

(ان سر سعادة الإنسان فى الدارين تضرر فى كلتين ، وها الكرم مع الأصدقاء والساحة مع الأعداء) رحمه الله رحمة واسعة ، وأمطر على قبره شأيب رحمته ، وجعله منوراً نظراً ، وأدخله فى جنات الخلود .

جامعة علي كرثـه
مختار الدين أحمد
رئيس قسم اللغة العربية وأدابها

الهند

الدكتور عبد المعيد خان

١٩٧٣ - ١٩١٠

انتقل إلى رحمة الله عالم اللغة العربية المشهور ومدير دائرة المعارف العثمانية بجدر آباد، ورئيس التحرير لمجلة «اسلامك كاجر» Islamic Culture الدكتور عبد المعيد خان في ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ م بمسقط رأسه بجدر آباد كان الفقيد باحثاً وناقداً في اللغة العربية، وكان يتمتع بشهرة عالمية في المجالات الأدبية والثقافية، وصاحب تصانيف قيمة، وأبحاث علمية وأدبية راقية، وكان رحمة الله، مشغولاً بتحقيق وترتيب بعض الكتب العلمية، ولكن من سوء الحظ أن المنية قد خطفته قبل أن ينهي جميع مشاريعه العلمية، وقد حرمت المحافل العلمية والثقافية العالم المحقق، والباحث المقدّر والكاتب الكبير، وحرم طلابه الأستاذ المشفق، وحرم قراء «اسلامك كاجر» الكاتب السالسل والأديب الفنان، رحمة الله رحمة واسعة، وغفر له وأدخله في جنات الخلد مع العلامة والصالحين.

كان الدكتور عبد المعيد خان ولد الشيخ محمد عبد الغفور «نامي»، (المتوفى ١٩٣٩ م) المشرف على الشؤون الدينية في إمارة عاصمة حيدر آباد. وكان جديداً لأمير فيض خان، الذي أسرته تعيش حياة راضية، مرفة منعة، ولكن الحكومة الإنجليزية صادرت أملاكه بعد ثورة ١٨٥٧ م، فأكرمت إمارة حيدر آباد بهبة عقاراً له هناك، لتعيش أسرته عشية طيبة وحياة كريمة. وكان والد الفقيد، الشيخ عبد الغفور خان «نامي»، عالماً باللغة العربية، وشاعراً في اللغة الفارسية والأردية، وهو نقل «قصيدة بودة» من العربية إلى اللغة الأردية ييتا ييتا، وإن هذه القصيدة كانت من القصائد التي يقرؤن

الذين يعرفون اللغة العربية ، و يتمتعون بها ، و يدركون سرها ولكن الطبقة التي ما كانت تعرف اللغة العربية كانت محرومة من استفادتها . وقد نقلت هذه القصيدة إلى اللغة الأردية ثرآ ، ولكن لا يجد ترجمة شرعاً ، اللهم إلا ترجمة أو ترجمتين . ومن هذه الترجم المنشورة ترجمة الشيخ عبد الغفور والد الفقيه أيضاً . وقد نشرت هذه الترجمة بعنوان الدكتور عبد المعيد خان ، وكتب عليه مقدمة طويلة بعنوان «قصيدة برد و ترجمتها في اللغة الأردية » . بحث فيها قيمة كل ترجمة من الترجم الأردية و ذكر أهمية هذه الترجمة التي أبدع فيها المترجم في الدقة والابتهاج .

ولد الدكتور عبد المعيد خان في سنة ١٩١٠ م بجدر آباد ، و درس في المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية ، و حصل على شهادة الثانوية العامة سنة ١٩٢٧ م ، ثم دخل في الجامعة فحصل على شهادة ليسانس ١٩٣١ م و شهادة التبريز (الماجستير) في الآداب ١٩٣٣ م ، ثم اتسب إلى كلية الحقوق و أكمل السنة الأولى فيها ، ولكنه ترك دراستها القانونية لأنه لم يجد في نفسه رغبة و ميلاً إلى دراسة الحقوق . و حسناً فعل ، لأنه لو أكمل دراستها ، لاشغل في المحاماة أو تقدم مسابقة لوظيفة المحاكم . لو عين قاضياً فيها لحرمت المحاكل العلمية عليه الغزير و قوله القوى و حرمت آثاره الخالدة ، ولكن القدر قد خط في لوحه أن يكون كاتباً إسلامياً ولم يرد أن يكون محاماً أو قاضياً .

بعد حصوله على شهادة الماجستير في الآداب من الجامعة العثمانية بجدر آباد قد حصل على منحة دراسية من حكومة جنوب آباد لإكمال دراساته العالية في مصر . فقد وجد فرصة جميلة فتوجه إلى مصر ليمرن من العين الصافى للثقافة العربية والإسلامية ، فتسجل في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، لشهادة الدكتوراه ، وعيّن الدكتور طه حسين مشرفاً على رسالته . وكان موضوعها : « الأساطير العربية قبل الإسلام » . اشتغل الفقيه

في تحضير هذه الرسالة بجد واجتهاد وأكملها في سنتين، و منحته جامعة القاهرة شهادة الدكتوراه على هذه الرسالة القيمة. وكان عبد المعيد خان قد استشار بعالم مصر ومؤرخها الكبير الدكتور أحمد أمين في اختيار موضوع الدكتوراه. وكان هو يساعد في كل مرحلة في تحضير الرسالة، لذلك رحب بنشرها وطبعها في لجنة التأليف والترجمة والنشر التي كان يشرف عليها.

في تلك الأيام وفي يومنا هذا المستشرقون يرجحون بتحقيق الكتب المخطوطة وتصحيحها وتهذيبها وترجمتها إلى لغاتهم. قد عين الدكتور شارلز استوري (C. A. Surey) الأستاذ المشرف لرسالته. ومن حسن الحظ أنه قد وجد نسختين مخطوطتين لكتاب التشبيهات في المكتبة لاصفية بجدر آباد. وكان الدكتور عبد المعيد خان من العلماء الذين يقدرون جهود المستشرقين والمحققين الباحثين وكان يقدر إنجازهم العلمية

القيمة. في سنة ١٩٣٨ م أكمل رسالته و منحته جامعة كيمبردج شهادة الدكتوراه في الأدب.

وبعد رجوعه من إنكلترا لم يجد وظيفة تلائم ذوقه العلمي والأدبي، وكانت في تلك الأيام تصدر مجلة علمية باللغة الإنجليزية اسمها «اسلامك كاچر» Marwaduki Pickthal (ت ١٩٣٦ م) لافت باشراف الأستاذ پكتهال Marwaduki Pickthal هذه المجلة قبولاً لدى الأوساط العلمية بمقاييسها القيمة، فعين الدكتور عبد المعيد خان سكرتيراً في اللجنة الإدارية لها. وبعد أيام بدأ ياتي المخاضرات على طلاب قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية حيدر آباد بحسب أعماله في المجلة. وكتب في تلك الأيام مقالات علمية قيمة عن اللغة العربية وأدابها التي نشرتها مجلة «اسلامك كاچر»، ومجلات أخرى.

كان الدكتور طموحاً لم ينقطع من المطالعة والدراسة، ولكن من سوء الحظ أن صحته لم تساير طموحه العلمي فقد أصيب الفقيد بمرض السل في شبابه، وعملت له عملية جراحية في أحدى رئتيه وبعد العملية الجراحية أصابه الوهن والضعف ولكنه استراح مدة، فاستعاد قوته ونشاطه بعض الشيء. في سنة ١٩٤٨ م عين الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية، وترقى حتى عين أستاذاً ورئيساً للقسم.

كان الأستاذ الفقيد مغرماً باللغة العربية وأدابها، فكان يحب قسمها جداً. وبقى في هذا القسم يخدم اللغة العربية عملاً ومتعلماً، كتاباً وباحثاً إلى سنة ١٩٧٠ م حتى أحيل إلى المعاش. وهذه المدة لم ينقطع عن المجلة، بل بقى مرتبطاً بها. وفي نفس هذه السنة عين مديرًا لدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد التي كان يدير شؤونها صديقنا الأستاذ الدكتور محمد نظام الدين تغمده الله برحمته استاذ ورئيس اللغة الفارسية بالجامعة العثمانية سابقاً. وبعد تقاعده من الجامعة أكرمهته اللجنة العليا للجامعات بمساعدة مالية، وتكون

الغاية من هذه المساعدة هي أن ينهى الأستاذ المتقاعد مشاريعه العلمية. قد زار الدكتور عبد المعيد خان البلاد الغربية عدة مرات. ووُجد في كل زيارة لها شيئاً جديداً، وقد استفاد بمسكتاباتها، كما استفاد بأراء علمائها وأدبائها، واستفاد بتجارب محققيها. فطموحة العلمي قد جعله متعملاً وطالباً في كل مكان، شأن العلماء في كل زمان. قد حدثني الفقيد مرة أنه كان يمجد في كل زيارة للغرب شيئاً جديداً، وخاصة في زيارة ألمانيا لأنّه كان معجباً بعلمائها ومحققيها كثيراً، ففي سنة ١٩٣٨ م ذهب إلى ألمانيا، وقابل علمائها وأساتذتها، وتعلم اللغة الألمانية، كانت الغاية لتعلمها اللغة الألمانية هي أن يستفيد من الكتب المهمة النادرة النافعة التي ألفت في الموضوعات الإسلامية واللغة العربية.

وفي سنة ١٩٦٥ م قد أوفدته الحكومة الهندية في بعثة علمية للتبادل الثقافي بين الاتحاد السوفيتي والهند. وفي سنة ١٩٦٦ م سافر الفقيد إلى مصر وال العراق لزيارة المكتبات والاطلاع على المخطوطات الهاامة فيها ، وتصويرها لدائرة المعارف العثمانية . وقد صور عددا من المخطوطات في هذه الزيارة . العلمية الخالصة .

قد دعاني رحمة الله مرة إلى حيدر آباد لمناقشة رسالة الدكتوراه
لطالب في القسم العربي بالجامعة العثمانية وطلب مني أن أتعشى عنده وحينما ذهبت
إلى بيته الذي كان قريباً عن كلية الهندسة، فقد أراني فهرساً طولاً
للمخطوطات التي قدّها الفقيد في أثناء زيارته للبلدان المختلفة.

الفرصة . فسأر إلى كيمبردج واستراح بعض الشئ من المشكلات التي يعانيها في وطنه . فقد شرفني بارسال بعض الرسائل من كيمبردج وأشار فيها إلى هذه الأمور .

والفقيد كتب إلى بعد سنة أن جامعة من جامعات أمريكا UTAH قد وجهت إلى دعوة كأستاذ زائر ، فكتب إليه أن يقبل الدعوة وهناته على زيارته لأمريكا ، فقد قضى ستين في جو هادى وديع .

لا أعرف شيئاً كثيراً عن أسرة الدكتور عبد المعيد خان ، ولكتنى قابلت مراراً أخي له وهو أكبر منه سناً - على ما أظن - هو الأستاذ عبد المعز خان ، وهو رجل كريم ، محظ للعلم والعلماء ، يحترم التقاليد الإسلامية ، ويقيم في حبدر آباد .

قضى الدكتور عبد المعيد خان حياته كلهما وهو أعزب ، ولذلك لم يختلف ، ولكن طلابه يحملون محل أولاده الذين قد انتشروا في الشرق والغرب ، وكان يحب أولاده جداً جداً ، ويساعدهم مساعدة مادية ومعنوية ، وكذلك معاملته مع زملائه في الجامعة ودائرة المعارف العثمانية ورفقائه في إدارة «جنة إسلامك ناچر» . ولكن ما كان يرضي بالإهمال فكان يعاتبهم معايبة شديدة ، ويؤاخذهم مواخذة عنيفة ، شأن العالم المجد والباحث المدقق والعامل النشيط . كان رحمة الله روفاً مع الطلاب ولكن في نفس الوقت يحبهم أن يكونوا مجتهدين ولم يكن لپنا هنا في إصلاح أوراق الامتحان بل كان يواخذهم على كل هفوة وزلة ، لأنه كان يتمنى أن يرى الطالب قوياً في مادته ، قوياً في فنه . وكان يقرأ رسائل الدكتوراه والماجستير بعناية ولا يرشح الطالب لشهادة إلا إذا اطمأن كل اطميان .

أذكر أن رسالة من رسائل الدكتوراه قد أرسلت إليه ليعطى رأيه عليها ، فقرأها ورفض أن يرشحه للدكتوراه ، فقد طلب أنا وأستاذ

المشرف أن يعيد النظر في قضية الترشيح ولكنكـه كان ملحاً على رفضه، وأخيراً رضى على شرط أن يراجعه الطالب مراجعة دقيقة ويضيف إليها ما فات من الأمور الهامة التي ذكرها الأستاذ في المناقشة الطويلة.

كان رحـمه الله رحب الصدر لـكل ملاحظـة علمـية، أذـكر أن الجـامعة العـلـيـة قد قـرـرت أن أـكون مـمـتحـنا لـرسـالـة الدـكتـورـاه، وـكـان الفـقيـد هو الأـسـتـاذ المـشـرف عـلـيـها، حـيـنـاً ذـهـبـت إـلـى حـيـدر آـبـاد لـلـامـتـحـان وـالـمـنـاقـشـة وـكـانت قد كـتـبـت مـلـاحـظـات عـلـى قـصـاصـات مـعـدـدة وـحـينـ بـدـأـتـ المـنـاقـشـة جـعـلـتـ أـسـئـلـةـ طـالـبـ، وـالـدـكـتوـرـ عبدـ المـعـيدـ خـانـ المـشـرفـ لمـ يـتـكـلـمـ كـلـمةـ بلـ كـانـ يـصـفـيـ إلىـ مـلـاحـظـاتـ بـامـعـانـ. أـخـيرـاً قـالـ إـنـكـ قدـ قـدـمـتـ مـلـاحـظـاتـ قـيمـةـ وـتـسـعـقـ عـلـيـهاـ كـلـ تـقـدـيرـ وـإـعـجـابـ، وـشـكـرـ لـىـ عـلـىـ ذـلـكـ، شـانـ العـلـمـاءـ وـالـبـاحـثـينـ.

كان الفـقيـدـ منـ العـلـمـاءـ المـخـلـصـينـ الـبـاحـثـينـ الـذـينـ لاـ يـكـلـونـ وـلاـ يـكـلـونـ، بلـ يـمـجـدونـ نـشـوـةـ وـلـذـةـ فـيـ الجـهـدـ وـالـتـعبـ، وـكـانـ ذـاـ هـزـعـةـ قـويـةـ وـهـمـةـ عـالـيـةـ، وـيـصـمـدـ عـلـىـ رـائـهـ لـاـ يـزـحـزـحـ وـلـكـنـهـ إـذـاـ تـبـيـنـ لـهـ الـحـقـ فـلـيـتـرـدـ بـقـبـولـ رـأـيـ مـخـالـفـيـهـ، فـكـانـ الـبـحـثـ وـالـتـحـقـيقـ دـيـنـهـ وـدـيـدـنـهـ. وـالـرـغـبـةـ الـصـادـقةـ هـدـفـهـ وـغـايـتـهـ.

أـذـكـرـ حـيـنـاـ نـشـرـ «ـكـنـابـ الشـيـبـهـاتـ»ـ لـابـنـ أـبـيـ عـونـ، الـذـيـ بـذـلـ فـيـ جـهـداـ مشـكـورـاـ، كـنـتـ فـيـ تـلـكـ الـأـيـامـ أـحـضـرـ رسـالـةـ الدـكـتوـرـاهـ تـحـتـ اـشـرافـ العـلـمـاءـ الـكـبـيرـ الـحـقـقـيـ الـجـلـيلـ عـبـدـ العـزـيزـ الـمـيـمـيـ رـحـمـهـ اللهـ رـحـمـةـ وـاسـعـةـ. وـكـانـ مـوـضـوـعـ رسـالـقـيـ تـحـقـيقـ كـنـابـ «ـالـحـمـاسـةـ الـبـصـرـيـةـ»ـ لـصـدـرـ الـدـيـنـ بنـ أـبـيـ الـفـرجـ بنـ حـسـينـ الـبـصـرـيـ فـقـدـ طـالـعـتـ «ـكـنـابـ الشـيـبـهـاتـ»ـ بـشـوقـ وـرـغـبـةـ وـأـعـجـبـتـ بـجـهـدهـ وـبـحـثـهـ، أـثـنـاءـ تـحـضـيرـ رسـالـقـيـ، كـنـتـ اـنـقـبـ الـكـتـبـ الـعـرـيـةـ الـقـدـيمـةـ وـالـحـدـيـثـةـ، الـمـخـطـوـطـةـ مـنـهـاـ وـالـمـطـبـوعـةـ، فـرـأـيـتـ بـعـضـ الـأـشـيـاءـ فـيـ «ـكـنـابـ الشـيـبـهـاتـ»ـ قـدـ فـاتـهـ، فـرـتـبـهـاـ وـأـرـسـلـهـاـ إـلـىـ الدـكـتوـرـ وـأـنـاـ خـجـلـ عـلـىـ قـلـةـ بـضـاعـتـ فـرـدـدـتـ بـعـضـ الشـيـئـ ثـمـ أـرـسـلـتـ مـلـاحـظـاتـ إـلـيـهـ.

والملاحظات التي قدمتها إليه أذكر بعضها منها وهي :

(١) ذكر ابن أبي عون ثلاثة قطعات لسحيم ، فذكر في موضع واحد : قال سحيم وسرد أبيات الرجز (كتاب التشبيهات ص ٢٣٤) وفي موضع : قال عبد بن الحسحاس (التشبيهات ص ٩٥) وفي موضع آخر : « ونظر عبد بن الحسحاس إلى امرأة تضحك منه وهو يمضى به ليقتل فقال : وسرد البيت (التشبيهات ص ٣٤٢) فتصور الفاضل المحقق أن سحيم شاعر وعبد بن الحسحاس شاعر آخر (فهرست أسماء الشعراء ص ٢٣٤ ، ٩٥ ، ٢٤٢) مع أن هذا الاسم لشاعر واحد ، اسمه الكامل : سحيم عبد بن الحسحاس (ويقال سحيم الحسحاسي أيضا) وهو عبد من عباد الحسحاس بن نفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . وكتب أيضاً أن هذا الرجز لسحيم يوجد في شرح مختار من شعر بشار لابن التجيبي (المتوفى في القرن الخامس من الهجرة) ص ٢٤٠ .

(٢) ذكر ابن أبي عون (ص ٩٥) ثلاثة أبيات من القصيدة التي يسميها المفضل الضبي « الدياج الخسرواني » ، وفيها بيت :

أرتك غداة البين كفا ومعصماً ووجهاً كدينار الأغرة صافياً

ان المحقق قد عثر على بيت واحد فقط في لسان العرب لابن منظور ، فكتب أن المقطوعة توجد في المسامة لابن الشجري (ص ١٦٠) التي طبعت في دائرة المعارف العثمانية بميدن آباد وهي من مراجع الأستاذ المحقق ولاحظت أيضاً أن كلمة « دينار الأغرة » في الشعر المذكور أنساب وأقصى عندي من « دينار الأغرة » وأن الشاعر يعني بالأغرة : الملوك . وإن وجدت البيت في المسامة البصرية برواية : « دينار الهرقل » .

(٣) سرد ابن أبي عون القطعة الدالية لدبل الخزاعي (التشبيهات ص ١٣٦) والأستاذ لم يذكر أى مرجع له ، فقلت أن هذه القطعة مشهور جداً وتوجد في ديوان الحاسة لأبي تمام (٤/١٦٤) وعيون الأخبار لابن قنية (٤/٤٤).

(٤) أن المقطوعة الطويلة لأبي المول (ص ١٤٢) لم يعرف المحقق قائلها فكتب : « قيل أنه لابن يامين في نهاية الأرب (٢١٣/٦) وديوان المعانى (٥٢/٢) . مع أنها توجد في كتاب الحيوان للجاحظ (٨٧/٥) ووفيات الاعيان (٢: ٢٠٤) والشريشى (٤٠٢/٢) وهى منسوبة إلى أبي المول في هذه المصادر .

(٥) نقل ابن أبي عون رجزاً بدون نسبة الشاعر (ص ٢٣٠) والمتحقق ذكر أنه يوجد في نهاية الأرب للنويرى . فكتب إلية أنه موجود في الحاسة لأبي تمام (٤/١٦٧) .

(٦) لو شرحت بالمدى ما مسها بلل ولو تكثفها الراقون ما قدروا هذا الشعر كان مجهولاً عند صاحب كتاب التشبيهات (ص ٥٢) والمتحقق الفاضل لم يعرف قائلها أيضاً ، فذكرت أنه لعمرو بن شأس كما ورد في نهاية الأرب للنويرى ١٤٣/١٠ ، الحاسة البصرية ، الآشاء والناظائر للخالديين ، وبدون عزو في الحيوان للجاحظ ٤/٤٠٩ .

(٧) سرد ابن أبي عون شرعاً :
لم تر أن شعرى سارعنى وشعرك حول بيتك لا يسير
ولم يذكر قائله (ص ٢٢٥) مع أن أبو تمام قد ذكر الشاعر وشعره
في كتابه الحاسة .

(٨) توجد قطعة شاعر في التشبيهات المطبوعة (ص ٩٧) اسمه زويعة الملحي
وعلق عليها المحقق : وروى لذوقه الملحي ، ولم تقف على هذا الشاعر ،

لعله كا اثنين ملحنى من مليح القبيلة المعروفة من خزانة (ص ٩٧).
فذكرت أن شيخنا واستاذنا الميمى يقول إن القطعة لدولة المنجى وانه
نشر القصيدة كاملة في مجلة «الزهراء» التي كانت تصدر في القاهرة.
وبعد ارسال الملاحظات خطر يالى عسى أننى قد أساء إليه،
ولكتنى حين قابلت بمناسبة قدومه إلى جامعة على كره الاسلامية بعد
بضعة أيام هش لي وعائقى وهنائى على دقة بحثى وشكر لي وقال انك
قدمت ملاحظات قيمة ليتني تلقيتها قبل أن ينشر الكتاب لاضفتها إليه،
وأتنى أرجو أن استفيد بها في الطبعة الثانية إذا قدر لي.
وقد نشر الفقيد رحمه الله كتابا متعددة وأبحاثا قيمة تحت اشرافه
وعناته، وهي تنقسم في قسمين:

الأول: مطبوعات دائرة المعارف العثمانية وهي متعددة في الموضوعات
المختلفة. ومن برامجها الأساسية تحقيق مخطوطات عربية نادرة لاصنوفين الذين
عاشوا إلى نهاية القرن الثامن من المجرة.

ولسنا بصدد ذكرها هنا لأن فهرسها المطبوع متناول بين أيدي الناس.
والثاني: الأعمال التي قام الفقيه ببحثها و دراستها في قسم اللغة
العربية بالجامعة العثمانية بجدر آباد، وهي رسائل الدكتوراه ورسائل التبريز
(الماجستير) للطلاب التي أشرف عليها الدكتور بنفسه، ثم قام بتصحيحه
ومراجعته. منها ديوان ابن حجر السقلافي (المتوفى ٨٥٢هـ) الذي قام الدكتور
أبو الفضل بتصحيحه وتهذيبه، والمستقصى لازمخشري (المتوفى ٥٣٨هـ) الذي
صححه الأستاذ عبد الرحمن خان والمحمدون من الشعراء وأخبارهم لوزير جمال
الدين يوسف ابن القبطي (المتوفى ٦٤٦هـ). وقد قام الآخر الأستاذ الفاضل
عبد الستار خان بتصحيحه ومراجعته. ومن حسن الحظ أنه وجد نسخة مخطوطة
لهذا الكتاب بخط ابن القبطي نفسه. كنت تجذبنا لهذه الأطروحة القيمة،

قد أتعجب منهج تحقيق الاستاذ الفاضل كما أتعجبني دقة ملاحظته وسعة علمه . ان هذه السكتب الثلاثة ، قد طبعت وان الآخرين قد طبعوا في سلسلة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بجیدر آباد .

وهناك كتابان قد أشرف عليهما الدكتور عبد المعيد خان وهم : درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني (المتوفى ٤٧١ھ) الذي كانت السيدة خديجة تشار قد بدأت تصحيحها وتحقيقها على أساس نسختي اسکوریال ونور عثمانية في تركيا ، وكتاب الإمامة للرازي . الذي كان السيد محمد حميد الدين الحسامي مشغولاً بتحقيقه وتهذيبه ، واكذى اعتقد أن المحققين الفاضلين لم ينجزا عملهما ، لذلك لم يطبع هذين الكتابتين إلى الآن .

كذلك الاستاذ الفقید رسم خطة البحث والتحقيق « لكتاب التبصرة في القراءات السبع » لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي (المتوفى ٤٣٧ھ) ، الذي كان موضوع رسالة الدكتوراه للإستاذ الحافظ المقرئ محمد غوث المحاضر بقسم اللغة العربية في الكلية النظامية بجیدر آباد . ومن حسن الحظ أن الاستاذ قد انجز هذا العمل تحت اشراف الاستاذ الفاضل الاستاذ الدكتور عبد السنار خان بجد وتعب ، وطبع الكتاب بعنوان : التحقيق العلمي في قراءات القرآن السبع ، و التعليق على كتاب البقرة في القراءات ، في مطبعة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٩٧٩ م .

في جنب هذه الاعمال القيمة قد قام الدكتور عبد المعيد خان بإنجاز أبحاث ومقالات ومصنفات هي كلها نالت إعجاب العلماء و الباحثين والمحققين ، وهي :

- (١) الأساطير العربية قبل الإسلام . القاهرة ، ١٩٣٧ م
- (٢) كتاب التشبيهات لابن أبي عون ، وهو من سلسلة مطبوعات ذكرى حبيب لندن ، ١٩٥٠ م

- (٣) ديوان لقيط بن يعمر بيروت ، ١٩٧٠ م
- (٤) شعراء العربية في گولکنڈا (جیدر آباد) وهو في اللغة الانكليزية ، طبع بعنایة جامعه بمبئي . بمبئي ، ١٩٦٣ م
- (٥) رسالة في الرواية لابن سينا ونجد مع هذه المؤلفات القيمة مقالات وأبحاثا له قد ازدانت المجلات العربية والإنجليزية والأردية بنشرها خاصة مجلة «اسلامك كاجر» بجیدر آباد . وقد نالت أبحاثه تقدير الأدباء والعلماء .

وتبث هنا كشفا للبحوث والمقالات التي نشرت له في مجلة ISLAMIC CULTURE (الثقافة الاسلامية) التي تصدر من جیدر آباد

Muslim conduct of state.	المجلد ١٥ الجزء ٢ (ابريل ، ١٩٤١)
Modern Tendencies in Arabic Lit.	٢/١٥ (جولاني ، ١٩٤١)
Ibn Abi 'Aun (ابن ابی عون) A literature of the third cent.	٢/١٦ (ابريل ، ١٩٤٢)
Cultural Activities - Hyderabad.	٢/١٦ (ابريل ، ١٩٤٢)
As Sahib Ibn' Abbad (الصاحب بن عباد) as a writer and poet.	٢/١٧ (ابريل ، ١٩٤٢)
'Ahd Nama' The document of the Prophet.	٢/١٧ (ابريل ، ١٩٤٣)
Some aspects of the Arabic writings of the philosopher Ibn Sina.	٤ - ١/٢٥ (١٩٥١)
The literary and social role of the Arab Amanu- enses, during the middle ages.	١/٢٦ (جورى ، ١٩٥٢)
Arab literary theory and criticism.	٢/٢٧ (ابريل ، ١٩٥٣)
Allama Ahmad Amin. (العلامة أحمد أمين)	١/٢٩ (جورى ، ١٩٥٥)
Kitab Al Tarbi Wal-Tadwir (كتاب التربی والتذیر) by al-Jahiz edited by Charles Peilat.	١/٢٠ (جنوری ، ١٩٥٦)
Critical study of the poetry of the prophet's time and its authenticity as the source of Sira.	٤/٣٨ (اكتوبر ، ١٩٦٤)
Introducing the Middle East by A.A. Fyzee.	٤/٤٢ (اكتوبر ، ١٩٦٨)

Life of the prophet at Mecca as reflected in contemporary poetry.

المجلد ٤٢ الجزء ٢ ابريل ، ١٩٦٨

Al Manar by Hasan S. Karmi.

١/٤٦ (جنورى ، ١٩٧٢)

The Fihrist of al-Nadim - (الفهرست لابن النديم) A tenth cent. survey of Muslim culture by Bayard.

٢/٤٧ (ابريل ، ١٩٧٣)

Kitab al Qusas waI Mudhakkirin by Ibn al-Jawzi.

٢/٤٧ (ابريل ، ١٩٧٣)

A History of Arabic Literature by K.A. Fariq.

٢/٤٧ (ابريل ، ١٩٧٣)

Reviews:

Ibn Khaldun His life & works by M.A. Eran. ١/١٦ (جنورى ، ١٩٤٢)

The celebration of H.E.H.the Nizam's Birthday. ٤/١٦ (اكتوبر ، ١٩٤٢)

A conference of the Islamic Sciences in the Usmania University.

٤/١٦ (اكتوبر ، ١٩٤٢)

Publication of Dairatul Ma'arif, Osmania,

٣/٣١ (جولانى ، ١٩٥٧)

Kitab Adab As Suhba (كتاب آداب الصحبة)

٣/٣١ (جولانى ، ١٩٥٧)

by A.Rahman as Sulami.

Ibn al Hariri wa Maqamatuhu (ابن الحريري و مقاماته) ٣/٣١ (جولانى ، ١٩٥٧)

by Dr, Mohd. Ahmad

كان الفقيد يشترك في الندوات العلمية والمؤتمرات الأدبية، ويساهم فيها مساهمة فعالة، كما كان يلقي المحاضرات، ويقدم المقالات على طلاب الجامعات المختلفة في الهند. وقد وجه الأستاذ الدكتور عبد العليم الأحرارى تغمد الله برحمته رئيس قسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية بجامعة عليگرہ الاسلامية، الذى كان من أعز أصدقائه لإنقاذه محاضرة عن «الأدب العربي الجديد»، فقبل دعوه شاكرا له وألقى الفقيد محاضرة قيمة دسمة تمن عن سعة أفقه وقوة إدراكه ودقة ملاحظاته. كما ألقى الفقيد رحمة الله مقالة قيمة عن «تطور النقد العربي» في مؤتمر الدراسات الإسلامية بجامعة عليگرہ (الذى عقد فى ١٨/٦/٦٣) فأعجب الحاضرون بموادها وحسن عرضها.

كان من أهم مشاريعه العلمية بعد تقاعده من الجامعة العثمانية، هي نشر المخطوطات العربية ولا شك أنه بقى مستمراً في إنجاز مشاريعه التي تدل على جهده المتواصل ورغبته الصادقة، وحبه للغة العربية، والثقافة الإسلامية.

من هذه الكتب «نهر العيون والناظر»، لابن الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ) وكان الفقيه ينوي تحقيقه ونشره، ومن حسن الحظ أن طالبه وعزيزة له، وهي السيدة مهر النساء جعلت هذا الكتاب موضوع رسالتها للدكتوراه، وانها قد حصلت بها على هذه الشهادة.

وأخيراً قامت دائرة المعارف العثمانية بطبعه ونشره، فكانها حققت الأمينة العزيزة للفقيه. والسيدة مهر النساء هي الآن رئيسة لقسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية بجيدر آباد، وأنا سعيد أتي كنت في لجنة الامتحان والمناقشة لرسالتها، فوجدت في الرسالة جهداً وتعباً، كما لاحظت فيها عمقاً وادراكاً لأسرار لغة القرآن وجاءها فقد احسنت الباحثة في اختيار الموضوع كما أحسنت في البحث والتحقيق.

والكتاب الثاني هو «غريب الحديث»، لأبي عبيد المرادي (المتوفى ٢٢٤هـ) الذي كان من أحب كتب الفقيه وكان يمني أن يقوم هو بتحقيقه ولكن المنية لم تمهله فلم ينجز هذا العمل. ومن دواعي الغبطه والسرور أن دائرة المعارف العثمانية نفسها قد قامت بإنجاز هذا الكتاب النافع وتقديمه إلى القراء العرب فقد نشرت الكتاب في أربعة أجزاء (١٩٦٤ - ١٩٦٧) وتحقيق أمينيه، وقد نشرت الكتاب في أربعة أجزاء (١٩٦٤ - ١٩٦٧).

وفي آخر حياته كان الأستاذ عبد المعبد خان ينوي أن يكتب بحثاً كاملاً عن حياة النبي ﷺ، ليستخرج مواد بحثه من كلام الشعراء الذين عاصروه ورافقوه فكانه كان الفقيه رحمة الله يريد أن يقدم صورة صادقة لحياة رسول الله ﷺ في ضوء شعر الشعراء الذين عاشوا في عصره،

وتصوروا في شعرهم المعارك التي دارت في حياته، كما صوروا حياة النبي الخاصة وال العامة. وفدت نشر الاستاذ الفقید عددة مقالات في مجلة «اسلامك كاجر»، وأن حياته لو امتدت لانجزر هذا العمل القيم، ولقد مرت إلى الثقاقة الاسلامية ثروة علمية وتحفه نادرة ولكن المنيه لم توجله فلم ينجز هذا العمل الكبير.

نرجو لو أن زميلاً من زملاءه أو طالباً من طلابه أكمل هذا المشروع الذي كان من أعز أمانى الفقيد، ليكون هذا العمل مفيداً وتنشرح به روح الفقيد العلام وتقر عينه ويُثاجع صدره، ويُسْكُون بعمله هذا محسناً إلى روحه وإلى روح كل محب للرسول وعاشق له، عليه ألف سلام.

قسم اللغة العربية وآدابها
مخizar الدين احمد
الامين العام للجمعـع العـلـيـ عـرـبـيـ الـهـنـدـيـ
جـمـاعـةـ عـلـىـ كـزـهـ الـاسـلـامـيـةـ،ـ الـهـنـدـ



الحفلة الافتتاحية للمجمع العلمي العربي الهندي في جامعة علي كرثه الإسلامية بالهند

عقدت الحفلة الافتتاحية للجمع العلمي العربي الهندي بجامعة على كرثه في ٣٠ أكتوبر ١٩٦٦ م في كلية الآداب برئاسة معالي الأستاذ الدكتور حسني سبع بجمع اللغة العربية بدمشق (الجمهورية العربية السورية) بمناسبة قدومه إلى الهند وزيارة جامعة علي كرثه الإسلامية وقسم اللغة العربية فيها . اشترك في الحفلة سعادة الدكتور مختار الدين أحمد رئيس قسم اللغة العربية وعميد كلية الآداب بالجامعة ، والأساتذة والضيوف الآخرون . تحدث الدكتور مختار الدين أحمد أولاً وقال :

انتا اليوم تشرف بحضور معالي الأستاذ حسني سبع رئيس بجمع اللغة العربية بدمشق في حفلة الافتتاحية هذه ، فترحب به ونشكره على تشريفه ايانا ، ولا غرو فانتا تتعنى من مدة بأن نؤسس الجمع العلمي العربي الهندي على غرار جماع اللغة العربية بدمشق والفاهرة ، والمجمع العلمي العربي العراقي ببغداد . وأهدافنا لا تختلف عن اهداف تلك المجامع ، فانتا تحب في وطننا الهند أن نقوم بنشر اللغة العربية وآدابها ، ونعرف الناس بالذخائر الفكرية العربية والهنديه ، ولنقدم المؤلفات والكتب والدراسة النقدية التحليلية من قبل أعضاء الجمع وعلماء الآخرين .

وانتا تري أن نصدر مجلة تكون لسان حال للجمع تنشر فيها مقالات وبحوث أدبية وعلمية ، وتتصدر مرتين في السنة ، ونحاول فيما بعد أن تصدر أربع مرات في السنة باذن الله تعالى .

وانى أشكر من اعماق قلبي معالي الدكتور حسني سبع ، رئيس بجمع اللغة العربية بدمشق على تشريفه ايانا في هذه الحفلة

برغم برامجه المترافقـة المـكـيـفة ، رعاية له بالعلم والأدب ،
وتشجيعـا له لتأسيـس مجـمعـنا هـذا فـزـاء الله خـيرـا وبارـك الله في
عـمرـه وـمـتـعـنا بـعـلـمـه وـلـفـعـنا بـنـصـائـحـهـ الفـالـيـةـ .

ثم تفضل معالي الدكتور حسـنى سـبـحـ وـأـقـ كـلـمةـ قـيـمةـ أـعـجـبـ بـأـنـهـ
يـتـشـرـفـ بـتـأـسـيسـ بـجـمـعـ الـعـلـىـ الـعـرـبـيـ الـهـنـدـىـ ، وـاهـدـافـ الـأـدـيـةـ الـعـلـيـةـ ، وـأـعـربـ
عـنـ غـبـطـهـ وـسـرـورـهـ ، لـأـنـ الـجـمـعـ يـحـذـوـ حـذـوـ الـجـامـعـ الـعـرـبـيـ الـقـىـ هـىـ اـسـتـ
فـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ مـنـ قـبـلـ ، وـقـالـ :

إـنـهـ عـلـمـ ضـخـمـ وـنـشـاطـ عـظـيمـ ، وـصـنـعـ كـرـيمـ . أـهـنـكـ عـلـىـ تـأـسـيسـ
هـذـاـ الـجـمـعـ الـعـظـيمـ وـاـشـعـرـ بـالـسـعـادـةـ وـالـشـرـفـ بـالـحـضـورـ فـيـ حـفـلـةـ
اـفـتـاحـيـةـ الـيـوـمـ . وـأـهـنـىـ مـؤـسـسـ الـجـمـعـ الـعـلـىـ الـعـرـبـيـ الـهـنـدـىـ
سـعـادـةـ الـبـرـوـفـسـورـ الـدـكـتـورـ مـخـتـارـ الدـينـ اـحـمـدـ رـئـيسـ قـسـمـ الـلـغـةـ
الـعـرـبـيـةـ وـعـيـدـ كـلـيـةـ الـآـدـابـ بـالـجـامـعـةـ خـاصـةـ ، وـاتـقـيـ أـرـجـوـ لـلـجـمـعـ
الـتـوـفـيقـ وـالـسـدـادـ وـالـنـجـاحـ فـيـ اـهـدـافـهـ وـغـايـتـهـ ، وـاتـقـيـ عـلـىـ اـسـتـعـادـ
تـامـ لـقـدـيمـ كـلـ اـعـانـةـ وـمـسـاعـدـةـ مـنـ اـرـسـالـ الـجـلـاتـ وـالـمـصـورـاتـ ،
وـطـبـعـ الـكـتـبـ وـطـبـعـ مـؤـلـفـاتـ أـعـضـاءـ الـجـمـعـ وـالـعـلـامـ الـهـنـدـىـ ، وـلـشـرـ
بـحـوـثـهـمـ الـقـيـمةـ فـيـ مـجـلـةـ «ـجـمـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ»ـ بـدـمـشـقـ .

وـاتـقـيـ سـرـرتـ جـدـاـ بـلـقاءـ الـأـسـانـذـةـ وـالـبـاحـثـينـ وـالـطـلـابـ
الـأـعـزـاءـ ، وـفـرـحتـ كـثـيرـاـ بـزـيـارـةـ قـسـمـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـآـدـابـهاـ ،
وـأـعـدـهـاـ الـجـيـدةـ وـنـشـاطـهـاـ الـعـلـيـةـ الـعـظـيـمـ بـاـشـرـافـ سـعـادـةـ الـدـكـتـورـ
مـخـتـارـ الدـينـ اـحـمـدـ وـأـسـانـذـهـ الـقـسـمـ الـآـخـرـينـ ، أـرـجـوـ لـلـجـمـعـ الـخـيـرـ
وـالـتـوـفـيقـ وـالـسـدـادـ .

وـأـخـيـرـاـ قـدـمـ الـدـكـتـورـ الـحـافـظـ غـلامـ مـصـطفـىـ ، الـاسـتـاذـ الـمسـاعـدـ لـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ بـالـرـجـاءـ
إـلـىـ الـدـكـتـورـ حـسـنىـ سـبـحـ لـقـبـولـهـ بـعـضـوـيـةـ الـجـمـعـ الـعـلـىـ الـعـرـبـيـ الـهـنـدـىـ ، فـقـبـلـهـ شـاـكـراـ .